أحمد عزت عبد الكريم

تاريخ التعليم في مصر

١

عصر عباس وسعيد

وزارة المعارف العمومية

تاريخ التعليم في مصر

من نهاية حكم محمد علي إلى أوائل حكم توفيق

١٨٤٨ — ١٨٨٢

للدكتور

أحمد عزت عبد الكريم

مدرس التاريخ الحديث بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول

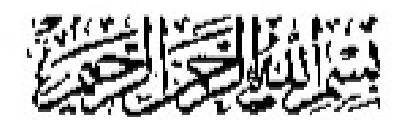
الجزء الأول

عصر عباس الأول وسعيد

١٨٤٨ — ١٨٦٣

مطبعة النصر ٢٢ شارع فاروق تليفون ٦١٥٥٥

١٩٤٥



إهداء الكتاب

إلى مقـام

حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الأول

مولاى صاحب الجلالة

إن مصر مدينة بنهضتهـــا الحالية فى شتى مرافق حياتهـــا إلى جدكم الأعلى « محمد على » الكبير ، فقد أرسى قواعد النهضة ، وشاد البناء على أساس مكين من قوة الحديد والعلم والمـــال .

حتى إذا تولى أمر مصر جدكم العظيم « إسماعيل » قوّم البناء ، وأصلح ما اعتوره من ضيق أو قصور ، ووصلت مصر — بفضـــله — إلى مصاف الدول المستنيرة الكبرى .

وكان القدر يدخر لوالدكم الجليل — أحسن الله جزاءه — فضل قيادة مصر إلى طريق الحرية والاستقلال ، واستكمال أسباب النهضة القومية . حتى إذا قضى الله أن تسلموا — مرموقين بعنايته — علم القيادة ، تبوّأت مصر فى حكمـــكم السعيد مكانـــ الزعامة فى الشرق العربى ، وتهيأت لها مقوّمات الأهلية الدولية .

مولاي صاحب الجلالة

إن هذه النهضة القومية العامة التي تدين بها مصر للميامين من آبائكم وأجدادكم إنما تعتمد — قبل كل شيء — على قوة العلم والتمكين له في حياة البلاد .

وقد توفرتُ منذ سنوات على كتابة تاريخ التعليم في مصر الحديثة ، وقد رفعت إلى سدتكم العلية منذ سنوات كتابي الأول (تاريخ التعليم في عصر محمد علي) فحاز من جلالتكم حسن القبول .

وهذا البحث الذي أتقدم به اليوم يصف تطور النهضة التعليمية بعد حياة منشئها وراعيها : محمد علي الكبير ، وما حظيت به في عهد جدكم المستنير إسماعيل من ازدهار ، وما حفل به عهده الزاهر من منشئات علمية ورعاية للعلم والعلماء .

وليس هذا البحث — يا مولاي — إلا أثراً للجهود الرائعة التي تبذلها جلالتكم لتشجيع الدراسات التاريخية : بجمع الأصول ونشر الوثائق ورعاية الباحثين .

وإنه لشرف عظيم — يا مولاي — أن أتقدم بهذا البحث التاريخي إلى سدتكم العلية وأتوجه بهذا الإهداء إلى مقامكم الكريم .

أدامك الله — يا مولاي — ذخراً للعلم والتعليم ، وأعز ملكك ، وحقق بك آمال شعبك ؟

المؤلف



فهرس الموضوعات

الكتاب الأول

التعليم فى عصر عباس الأول

١٨٤٨ — ١٨٥٤

صفحة

الكتاب الثانى

التعليم فى عصر سعيد باشا

١٨٥٤ — ١٨٦٣

صفحة

تقـــديم الكتاب

بقـــلم

حضرة صاحب العزة الأستاذ محمد شفيق غربال بك

المستشار الفني لوزارة المعارف العمومية

بعد أن أتم « الدكتور أحمد عزت عبد الكريم » كتابه في « تاريخ التعليم في عصر محمد علي » انتقل لدراسة أنظمة التعليم في عهد خلفائه : عباس الأول وسعيد وإسماعيل . وها هو ينشر اليوم كتابه الثاني في هذا الموضوع .

والكتاب الجديد يمتاز بما امتاز به الكتاب الأول من مزايا الرجوع للأصول ، ودقة البحث ، واتزان الحكم ، واعتدال الرأي ، وتحرّي وجه الحقيقة في التفكير والتعبير .

ويعالج المؤلف في كتابه الجديد ما جرى لما خلفه محمد علي للمصريين من الأنظمة التعليمية . وقد بنى العاهل البناء وأحكمه ، فلم يستطع من جاءوا بعده إلا السكنى فيه : فلا هم بقادرين — من جهة — على مغادرته والسكنى خارجا عنه ، وليست لديهم — من جهة أخرى — الكفاية والوسائل لهدمه وإقامة غيره . فلم تكن لهم مندوحة عن الاستقرار فيه ومحاولة أن يعدلوا في أقسامه ليتمكنوا من ذلك الاستقرار . ومن هنا جاءت نظم التعليم وخططه ومشكلاته في العهد الذي أرخ له المؤلف — عهد عباس الأول وسعيد وإسماعيل — متأثرة كل التأثر بما وضع محمد علي من خطط ونظم ، وما واجه من مشكلات . ولازال ظل محمد علي — وإن انتهى حكمه — مخيما على العصر التالي له ، عصر خلفائه ، ولا زال الميراث الذي خلفه محمد علي ذخراً يستمدّ منـــه

خلفاؤه مادة للعمل ، ولا نكاد نلحظ أثراً لمؤثرات قومية أو خارجية حولت تطور تاريخ التعليم عن مجراه المرسوم وعدلت به إلى أهداف جديدة . لهذا جاء تاريخ التعليم فى عصر عباس الأول وسعيد وإسماعيل استمراراً لتاريخ التعليم فى عصر محمد على ، وجاء كتاب اليوم للدكتور عزت استمراراً لكتابه الذى وضعه منذ سنين .

هذا فى مصر ، أما فى أوربا فإن هذا العصر (من سنة ١٨٥٠ إلى سنة ١٨٨٠) حافل بالحركات التى أثرت فى أنظمة التربية والتعليم ، فهذا العصر عصر النهوض القومى . والحركات القومية منها ما يهدف إلى (التجمع) كحركات الوحدة الإيطالية والوحدة الألمانية ، ومنها مايتجه إلى (التفرق) كالحركات الانفصالية فى الإمبراطورية النمسوية والإمبراطورية العثمانية . وكان لهذه الحركات القومية جميعاً أثرها القوى فى تنظيم حياة الشعوب السياسية والاقتصادية والفكرية على أساس قومى ، وكذلك كان أثرها قويا فى تطور سياسة التعليم ونظمه : فالحركات القومية التى تهدف إلى التجمع أدت الى إنشاء أنظمة قومية للتعليم ، أنظمة غير متأثرة إلا بالنزعات والأهداف القومية ، وترمى الى تربية الشعب تربية قومية . أما الحركات القومية التى اتجهت نحو التشتت ، نحو بناء قوميات على أساس عنصرى ، فقد أدت — فيما أدت اليـه — الى تأكيد الصبغة القوميـة فى روح التعليم ومعاهده وخططه وبرامجه ، ومن ذلك زيادة الاهتمام بتعليم اللغات القومية والآداب القومية والتاريخ القومى ، ونحو ذلك مما يكوّن المواطن الحق .

وهذا العصر الذى تؤرخ التعليم فيه عصر نمو الديمقراطية ، والسعى إلى بث الفكرة الديمقراطية فى نظم الحكم والاقتصاد الأهلى وفى التربية والتعليم ، فبعد أن كان التعليم ترفا لايناله إلا الأغنياء والمحظوظون ، أصبح حقاً شائعاً للجميع ، تكفله الدولة للشعب بجميع طبقاته فى مدارس التعليم الأوّلى .

وكان من الواضح أنه لا يستطاع تحقيق هذه الغايات كلها إلا إذا أخذت الدولة — ممثلة فى الإدارة المركزية للتعليم — شئون التعليم كله بين يديها ؛ فالدولة هى التى ترسم الخطوط الأساسية فى السياسة التعليمية وتضع الخطط والأنظمة وتفتح — أو ترعى — معاهد التعليم . وتبعاً لذلك تختفى — أو تقل — المؤثرات المحلية فى مسائل التعليم ، فالهيئات المحلية — إن وجدت كما هو الحال فى انجلترا — لاتستطيع أن تواصل نشاطها إلا بهدى الإدارة العامة وإشرافها ، والكنيسة — فى فرنسا — يبطل نفوذها فى تربية الناشئين .

وعلى هذا النحو يجرى تطور نظم التربية والتعليم فى أوروبا من سنة ١٨٥٠ إلى سنة ١٨٨٠ وهو تطور يتأثر — كما رأينا — بالحركات القومية والديموقراطية التى حفلت بها هذه الفترة من التاريخ الأوروبى ، وهو تطور يمس التنظيم أكثر مما يمس النظريات التربوية فى حد ذاتها ، اللهم إلا فى الدعوة إلى الحد من سلطان الدراسات الكلاسيكية وما تبع ذلك من محاولة إيجاد مكان فى المنهج للعلوم الطبيعية والتطبيقية والدراسات الإنسانية الحديثة ، وقد وجدت هذه الدعوة صداها فى التعليم الثانوى وفى التعليم الجامعى .

* * *

وهذه الفترة من التاريخ الأوروبى (١٨٥٠ — ١٨٨٠) تنتظم فى التاريخ المصرى عهد عباس الأول وسعيد وإسماعيل ، وهو العهد الذى وضع هذا الكتاب لتأريخ التعليم فيه . وقد أشرنا فى صدر هذه الكلمة إلى قوة التراث الذى خلفه محمد على وقدرته على البقاء من بعده — إن لم يكن بكامل جزئياته فبالروح والتقاليد — حتى كون المادة التى عمل عليها خلفاؤه ومنها شكلوا ما وضعوا من نظم أو أنشأوا من منشئات .

وتظهر هذه الحقيقة أقوى ما تكون فى عصر عباس وسعيد : فلا نرى فيه

إلا (نشاطاً) محدوداً فى دائرة محدودة : هى دائرة المدارس القليلة التى ظلت باقية فى ذلك العهد . فمادة العمل هى المدارس التى ظلت باقية من عهد محمد على ، والأمر لا يعدو فتح مدرسة مفروزة أو إغلاق مدرسة للهندسة أو إعادة مدرسة أخرى للهندسة وهكذا . فهو نشاط محلى ضيق الأفق محدود المعالم ، يلوح فيه مايتميز به ذلك العهد من ضيق الأفق وقلة الإنتاج .

وفى عصر إسماعيل — وفى السنوات الأولى منه خاصة — لا تزال (مادة) العمل موجودة لم تتغير فى مجموعها ، ولايزال النشاط مقصوراً — أو يكاد يكون مقصوراً — على العمل فيها ، وإنما أخذ نطاق العمل يتسع بفضل إغداق الأمير المستنير على معاهد التعليم وما استلزمه تعقد الأداة الحكومية من وفرة الفنيين على اختلاف أعمالهم . فهذا التوسع فى التعليم قد فتح أبواب المدارس لعدد من أبناء الأمة أعظم مما كانت له — قبل إسماعيل — فرصة التعليم ، فكثرت معاهد التعليم وتنوعت أنظمته وارتقت مناهج الدراسة وتغيرت أساليب الحياة المدرسية . ولكن هذا كله لم يواجه المشكلة الحقيقية الكبرى الباقية من عصر محمد على .

وقد ظهرت هذه المشكلة من أن التعليم الحديث فى مصر حين بدأ على عهد محمد على اتخذ لنفسه هدفا محدوداً عاجلا : هو إعداد الفنيين لشتى نواحى النهضة التى ابتعثها محمد على . فكانت المدارس (الخصوصية) أول ما أنشىء من مدارس ، ثم اضطرت حكومة محمد على الى خلق المدارس الأخرى التى تمد هذه المدارس الخصوصية بالتلاميذ . وهكذا بدأ نظام التعليم يتخذ شكل الهرم المقلوب : يبدأ بالقمة دون وضع القاعدة . ومثل هذا لا يمكن أن يكون نظاما قومياً للتعليم . ولكن الحق أن (القاعدة) كانت موجودة بالفعل وإن لم تكن من خلق الباشوات أو الولاة ، وتتمثل فى تلك الكتاتيب المنبثة فى مدن

مصر وقراها ، وتقدم الى صبيتها تعليما أوليا محدوداً يقوم على حفظ القرآن . ولكنها بعيدة عن سلطان الدولة ورقابتها ، أكثرها ضئيل فى الموارد فقير فى المعلمين سقيم الوضع، ووضح أن مواجهة هذه المشكلة التعليمية الكبرى يقتضى إما أن تترك هذه الكتاتيب ويهمل أمرها إهمالا تاما ، ويشرع فى خلق نظام قومى للتعليم جديد كل الجدة . وإما أن يوصل ما بين القمة حيث المدارس من الطراز الأوربى والقاعدة حيث المدارس أو الكتاتيب من الطراز العربى أو الأسلامى ، على نحو يحقق تعاون هذين الطرازين فى تعليم الناشئة ، إن لم يحقق اتحادهما ليتكون منهما نظام قومى واحد . وسعى على مبارك لبلوغ هذه الغاية ، ووضع لهذا الغرض لائحته الشهيرة (بلائحة رجب) التى تؤرخ المحاولة الحقيقية الأولى لإيجاد نظام قومى للتعليم فى مصر . وانتهى عصر إسماعيل والمشكلة الكبرى باقية لم تحل . وشهدت السنوات التالية لحكم إسماعيل (من ١٨٨٠ إلى ١٨٨٥) — فيما شهدت من محاولات الإصلاح وتجارب الحكم — محاولة أخرى لمواجهة هذه المشكلة التعليمية وحلها .

وقد بدأت التجربة الجديدة بتحديد للمشكلة تحديدا يمهد لعلاجها من أساسها : ويتضح هذا التحديد فى تفكير مصطفى رياض ناظر النظار وعلى إبراهيم ناظر المعارف وإدوار دور المفتش العام للتعليم فى ذلك الوقت . أصبح للتعليم العام أغراض واضحة تتجه نحو تمكين الفرد من أن يكون مواطناً نافعاً لنفسه ولوطنه ، أو على حد تعبير على باشا إبراهيم فى تقريره لمجلس النظار : « ينبغى اتساع دائرة المعارف بين جميع أهالى الديار المصرية وسريانها بالتدريج حتى تصل الى أهالى الأرياف ، لكى توجد عند ذرياتهم المستجدة احتياجا الى التعليم وإحساساً بما لهم من الحقوق الوطنية وما عليهم من الواجبات فى حق أنفسهم وحق عائلاتهم وحق الحكومة » . وفى ضوء هذا المبدأ تقدم (القومسيون) الذى شكل فى ذلك الوقت (سنة ١٨٨٠) لحل المشكلة التعليمية

الكبرى ، حلا يقوم على تصميم بناء قوى للتعليم يستمد مادته من كلا النظامين الأوربى والعربى . واقتضت مواجهة المشكلة الرئيسية بحث المشكلات الجانبية الأخرى وتدبير حلول لها : ومن ذلك بحث معاهد التعليم القائمة معهدا معهدا وتبين حاجاتها ومعالجة تلك الحاجات ، ومن ذلك أيضا معالجة مشكلة المعلم ومحاولة تنسيق الموارد المالية المشتتة التى ينفق منها على التعليم .

وهكذا جاء تقرير قومسيون ١٨٨٠ فأرسى الأساس لما ينبغى أن تقوم عليه كل المحاولات والتجارب التالية . والحق أن سياسة وزارة المعارف فى عهد الإشراف الإنجليزى قد استمدت بعض مقوماتها من هذه التجارب التى أجريت فى الفترة القصيرة بين ١٨٨٠ و ١٨٨٥ . فقد بذلت الإدارة التعليمية عنايتها لرفع مستوى معاهد الدراسة القائمة بالتفتيش المنظم ووضع الأنظمة الثابتة وجدية الامتحانات وتخير المشرفين ، كما بذلت عنايتها لرفع مستوى المعلم ، وهو العنصر الأساسى لنجاح أى نظام تعليمى . على أن الإدارة التعليمية فى عهد الإشراف الإنجليزى قد شغلتها هذه العناية المتصلة بالحالة القائمة عن مسايرة النمو وإفساح المجال لنشر التعليم .

وفيما عدا ذلك ظلت المشكلة التعليمية الكبرى — مشكلة التعليم القومى الشعبى — دون حل ، حتى انتهى المؤلف من كتابه . وغاية ما نرجوه أن يستمر المؤلف فى بحثه لتاريخ التعليم فى مصر ، إلى أن يصل إلى الوقت الحاضر ، حتى تصبح الصورة أمام القارئ والباحث واضحة والمادة كاملة ووسائل الحكم أهدى سبيلا ؟

شفيق غربال

تصـــدير

« أثبت ... محمد على حق ولى الأمر فى الهيمنة »
« على سياسة التعليم من أجل منفعة الوطن ، ولكنه »
« ترك للأفراد والطوائف قدرا عظيما من الحرية »
« هو أثمن ما خلفه فى سياسته التعليمية (١) » .

بهذه العبارة الموجزة وصف أستاذنا شفيق بك غربال سياسة محمد على فى التعليم . أجمل وصف . فهى تقوم على قاعدتين : أولاهما تتمثل فى حق الدولة — بل واجبها — فى الإشراف على سياسة التعليم لتوجهها إلى ما فيه صالح الدولة ، وتظهر فى النظام التعليمى الحديث الذى وضعه محمد على وأخذه بين يديه وجعل منه أداة لإعداد شباب الأمة لخدمة الدولة . والقاعدة الثانية تتمثل فى الحرية التى تركها للمعاهد القديمة : الكتاتيب والأزهر لتتابع سيرها فى الطريق الذى سارت فيه منذ قرون والحرية التى منحها للمعاهد الخارجة عن النظام القومى وهى مدارس الإرساليات والجاليات الأجنبية . حتى إذا انتهى عصر محمد على كانت مصر تملك من نظم التعليم ومعاهد العلم — بفضل سماحة محمد على واتساع أفقه — ما يقدم للباحث فى أصول التربية وطرائق التعليم حقلا مليئاً بشتى التجارب والخبرات وللباحث فى تاريخ التعليم وسياسته مجالا متسعاً للدرس والبحث والاستقصاء .

---

(١) من تقديم كتابنا « تاريخ التعليم فى عصر محمد على » .

ومن حظ الباحث أن أكثر مادة البحث لم يعف عليها الزمان . وجدنا بعضها مشتتاً في الكتب والتقارير والإحصاءات ، ووجدنا أكثرها في دور المحفوظات بعابدين والقلعة ووزارة المعارف ومتحف التعليم .

وقد قدمت إلى الجامعة منذ تسع سنوات الثمرة الأولى لبحثى فى تاريخ التعليم فى عصر محمد على ، ثم نشرته بعد ذلك بعامين . ويسرنى أن أقدم اليوم الثمرة الثانية : وهى هذا البحث فى تاريخ التعليم من نهاية عصر محمد على إلى أوائل حكم توفيق (١٨٤٨ — ١٨٨٢) . وقد قدمته إلى الجامعة فى صيف سنة ١٩٤١ فأجازته لدرجة الدكتوراه فى الآداب مع رتبة الشرف الممتازة .

* * *

وهذا العهد الذى أرخت التعليم فيه من أكثر عصور التاريخ المصرى الحديث حساسية : فقد بدأ بحادث خطير هو اختفاء تلك الشخصية التى حكمت مصر طويلا ، وطبعت بطابعها القوى مختلف مرافق البلاد ووجهت مصائرها فى السياسة والاقتصاد والثقافة والتربية والتعليم وجهة جديدة ، وانتهى هذا العصر بحادث بل بحدث — لا يقل خطراً وأثراً فى توجيه تاريخ مصر وتشكيل مصائرها : هو احتلال الانجليز مصر فى ١٨٨٢ .

فهذا العهد من — ١٨٤٨ إلى ١٨٨٢ — قد ألقى عليه إذن عبء مرهق مزدوج معاً : فقد كان عليه — أو على حاكمى مصر فيه — أن يحتفظوا بالشعلة التى أضاءها محمد على ليسلموها إلى الحفدة والذرارى ، على أن يجنبوها ما قد يعتور ضوءها من خفوت ويستعينوا بها فى تعرف الحاجات الناقصة وتفحص أوجه القصور فى شتى مرافق البلاد .

ولكن حاكمى مصر فى ذلك العصر — على محاولتهم الاحتفاظ بهذه الشعلة مضيئة — تفاوتوا فى مدى الاحتفال بها . حتى إذا تولى إسماعيل نفخ فى هذه الشعلة من روحه ، فزاد لهبها سطوعا وضوءها نفوذا . ولكن هذا كاد يحجب عوامل التعطيل والتعويق

التى فعلت فى النهاية فعلها ، فكان الاحتلال فى سنة ١٨٨٢ . وهكذا اتهم هـذا العهد (من ١٨٤٨ الى ١٨٨٢) بأنه لم يؤد الأمانة ولم يحفظ العهد ، وتنوسيت — أو أنكرت — الجهود الرائعة والخطط الموفقة التى بذلت فى نواح كثيرة من النهضة العامة . والحق أن كثيراً من هذه الخطط لو أتيح لها الاستمرار بعد ١٨٨٢ على هدى من التجارب السابقة ، وخاصة ما أجرى منها فى الفترة القصيرة (من ١٨٨٠ الى ١٨٨٢) لأنتجت خيراً كثيرا .

وإذا كانت العناية بالتعليم تتخذ فى كل أمة مقياساً لتقدمها فإن البحث الذى أنشره اليوم يوضح تماما ما كانت عليه النهضة المصرية عامة فى العصر الذى أؤرخ التعليم فيه .

وقد اقتضت دواعى البحث أن أجعله فى أجزاء ثلاثة ، ينتظم كلُّ جزء منها مجلد قائم بذاته :

١ — الجزء الأول : عصر عباس وسعيد (١٨٤٨ — ١٨٦٣) .

٢ — « الثانى : عصر إسماعيل والسنوات المتصلة به من حكم توفيق (١٨٦٣ — ١٨٨٢) .

٣ — « الثالث : ملحقات بأهم الوثائق واللوائح التعليمية ومراجع البحث .

وقد كان هدفى طوال البحث درس المسائل الآتية :

١ — نظم التعليم : « الحكومى » و « الأهلى » و « الأجنبى » ، سياسة التعليم فى كل منها ، معاهدها ، وعلاقة كل منها بالأخرى .

٢ — المحاولات التى بذلت — فى عصر إسماعيل خاصة — لإيجاد نظام قوى للتعليم فى مصر .

وقد أدى بى تشعب البحث إلى درس تفصيلات كثيرة لدقائق العمل بمعاهد التعليم رأيت أن لا غنى عنها لتكون الصورة التى جهدت فى رسمها للتعليم فى هذه الحقبة من تاريخ مصر كاملة ما استطعت إلى ذلك سبيلا .

وبعد فقد أتيح لهذا البحث أن ينشر فى الوقت الذى يعنى فيه المتحدثون على شئون التعليم برسم سياسة تعليمية جديدة وما يتبعها من أنظمة وخطط جديدة ، فإذا استطاع هذا البحث أن يهدى هؤلاء المتحدثين إلى المحاولات والتجارب السابقة فى كثير من المسائل التى لا تزال تواجهنا حتى الوقت الحاضر ، ويثير فيهم من التفكير ما يعين على استقامة الطريق ووضوح الهدف ، لحقق هذا البحث خيراً كثيراً . ذلك لأن دراسة تاريخ التعليم لا تقتصر قيمتها على توضيح ماضى الأمة فى أعزّ ناحية من تاريخها القومى ، وإنما هذه الدراسة خير هاد فى معالجة مسائل التعليم وتدبير أحكامه فى حاضر الأمة ومستقبلها .

* * *

والآن — وقد أتيح لهذا البحث أن ينشر — أشعر بأن على واجباً يجدر بى أن أؤديه ويسرنى أن أتيحت لى الفرصة لأؤديه : هو واجب التوجه بالشكر الخالص إلى حضرة صاحب المعالى الأستاذ الدكتور عبد الرازق أحمد السنهورى بك وزير المعارف العمومية ، فقد تفضل بالاطلاع على هذا البحث مخطوطاً ، وسجل لصاحبه كثيراً من عبارات الإطراء والتقدير ، وأمر بأن يطبع الكتاب على نفقة الوزارة ، فمكن لهذا البحث أن ينشر . فلمعاليه منى خالص الشكر وعرفان الجميل .

أما أستاذى الجليل ، محمد شفيق غربال بك ، فأعتقد أن نشر الكتاب فى الوقت الحاضر — وقد كانت له فى التوصية به اليد الطولى — خير مثوبة لما بذل من جهد فى الإشراف على البحث وتتبع مراحله حتى انتهى إلى المطبعة . ويضاعف شكرى له ما أسبغه على الكتاب وصاحبه من شرف التقديم إلى جمهور القارئين ، فأضاف بهذا فضلا إلى مأثور أفضاله .

ويسرني أن أقدم خالص شكري للقائمين على دور المحفوظات بعابدين والقلعة ووزارة المعارف ومتحف التعليم ، فقد كان لمعونتهم الثمينة أثرها في استجلاء كثير من النتائج الهامة التي وصلت إليها في البحث ، وأخص بالشكر حضرة صاحب السعادة يوسف جلاد باشا مدير الإدارة الأوروبية بديوان جلالة الملك المعظم وصاحب العزة چورج جندى بك رئيس قسم المحفوظات التاريخية بالديوان وحضرات الأساتذة المترجمين والموظفين بهذا القسم .

منشية البكرى — نوفمبر ١٩٤٥

أحمد عزت عبد الكريم

الكتاب الأول

التعليم في عصر عباس

١٨٤٨ — ١٨٥٤

الفصل الأول

عبـــاس والتعـــليم

تولى عباس باشـــا الحكم فى مصر فى الأيام الأخيرة من شهر نوفمبر ١٨٤٨ (ذى الحجة ١٢٦٤) ، على أثر وفاة عمه إبراهيم باشا بعد حكم قصير ، وكان جده الكبير محمد على مازال أسير المرض .

وبوفاة إبراهيم وتولى عباس ينتهى عصر محمد على بعد أن طبع حياة مصر وتاريخها بطابع لايمحى ، فقد ارتبطت حياة محمد على بحياة مصر القومية بأوثق رباط ، وفد محمد على إليها شابا مغمورا وعاش بها خير سنى حياته وأطول شطر من عمره ، وقضى بها حاكما ، ودفن بثراها بعد أن ملأ اسمه الأسماع وطار ذكره فى الشرق والغرب ، وخلف أبناء وحفدة يحكمون مصر من بعده .

قضى محمد على فى حكم مصر ثلاثة وأربعين عاما ، أدخل فى حياتها القومية من التغيير ما خلقها خلقا جديداً ووجه تاريخها وجهة جديدة ، ارتبط كل شيء فيها باسمه : خلق الرجال ووضع النظم ، ومس مختلف المرافق الحيوية ، واتصل بالزارع والتاجر والصانع وأنشأ المصانع وجيش الجيوش وبنى السفن . واستعان لبلوغ هذا كله بإنشاء المدارس يجمع لها أبناء الأهالى ليكون منهم أعوانه ورجاله ، وحنا عليهم محمد على كما يحنو على أبنائه وعلق على هذا النبت الناشىء أعذب الآمال ، فما كان هذا النبت الناشىء غذاء مصر فى

عهده ، وإنما كان غذاء الأجيال القادمة وعدة المستقبل [1] .

ولكن مدارس محمد على وإن مست الحياة القومية المصرية — أن كان قوامها أبناء البلاد — إلا أنها مستها فى رفق ولين ، وحسبك أن أكثرها كان يقوم فى حاضرة البلاد ، فلم يقدر لها أن تتغلغل فى صميم الريف حيث يعيش فلاح مصر جاداً مقبلا على عمله لا يلفته عنه سوى مايصيبه من حين لآخر من اضطراب الحكم وعبث الحاكمين .

عاشت مدارس محمد على حياتها كما تعيش المؤسسات الحكومية الصرفة ، مترفعة عن أن تمد يدها لنظام التعليم الشعبي الذى قام فى مصر منذ أجيال ، منذ بدأت مصر تتصل — عقب الفتح الاسلامى — بلغة القرآن ودينه . ولم يكن هذا التعليم الشعبي — ويتمثل فى تلك الكتاتيب المنبثـة فى مدن مصر وقراها — من عمل الحكومات أو إنشاء الحاكمين ، ولكنه كان عملا قومياً خالصاً ظل بعيداً عن تدخل السلطان إلا فيما قد يمس الآداب العامة ، كما أنه ظل عملا خيرياً يقف عليه الأغنياء من مالهم ما يقوم بأوده ويمسك على القائمين عليه رزقهم .

وكانت هذه (الكتاتيب) من البساطة فى كل شىء : فى مؤدبيها وأطفالها وأمكنتها وتعليمها ... الخ بحيث استطاعت أن تنتشر فى يسر وسهولة وأن تنال ثقة الشعب فى الريف والمدن .

وظل السلطان — فى حكم محمد على — على أن هذا الضرب من التعليم أمر خيرى يجمل بالسلطان أن يتركه لأصحابه ، وإذا أراد هو أن يعلم رهطاً من أبناء البلاد بعض

---

(١) انظر فى سياسة محمد على التعليمية كتابنا : تاريخ التعليم فى عصر محمد على ص ٢٧ — ٥٠

مايعين على إعدادهم لما يود من خدمة البلاد فليكن ذلك فى (مدارس) خاصة يقوم على إنشائها والدعوة إليها والنفقة عليها والقيام دونها يصد عنها عوادى الجهل والحرمان .

وعلى هذا النحو كان النظام التعليمى الذى أنشأه محمد على : عاش قلقاً ، معلقاً فى الهواء ، لم تمتد جذوره إلى باطن التربة المصرية . فكان من ذلك مانعرفه مما أصابه من الاستقرار حيناً والترنح حيناً آخر ، ومن التوسع حيناً والانكماش حيناً آخر .

وفى حكم إبراهيم القصير تنبه القائمون على شئون التعليم إلى فكرة التعليم الشعبي الذى تكفله الدولة فى مدارسها وتنفق عليه من الأموال العامة . ونهض للعمل فى سبيل هذه الفكرة والدعوة إليها أدهم باشا مدير ديوان المدارس ولامبير بك ناظر المهندسخانة فى ذلك الوقت [1] . ولكن الفكرة جاءت متأخرة ، ولم تمتد الحياة بإبراهيم حتى ينهض لتحقيقها .

وعلى يد عباس قبرت فكرة التعليم الشعبي وانهار النظام التعليمى الحكومى نفسه .

* * *

وليس من شك فى أن مصر أحست بفقد محمد على وإبراهيم أكبر الفراغ ، ووضح أن الميدان قد خلا من أبطاله ، وأن الحاجة ماسة إلى الرجل الذى يستطيع أن يملأ الفراغ الذى خلفاه .

ولو أن النظم التى وضعها محمد على والمؤسسات التى قام على إنشائها كان لها من قوة الرسوخ والتغلغل فى حياة مصر القومية ما يمكنها من الحياة ، لكان الأمل قوياً فى استمرارها . ولكن كل شىء كان مرجعه إرادة الحاكم وكان الزمن يتعجله ، كان

---

(١) المصدر السابق ص ١٣٧ — ١٤٤ .

محمد على يخشى أن تنتهى حياته قبل أن يتم رسالته ، ومن هنا طبعت نظمه ومؤسساته بطابع العجلة ، واشتد الشعور بالحاجة إلى الرجل الذى يتلقى تراث محمد على ويتابع سياسته ويحنو على المؤسسات التى أنشأ والنظم التى وضع .

ولكن عباسا أظهر منذ تولى الحكم فى مصر أنه لن يكون الحاكم الذى يتابع سياسة جده ويحنو على مؤسساته ويؤيد نظمه . فقد فهم عباس الموقف فى مصر على أثر توليه فهماً جديدا .

ماذا كانت تحتاج اليه مصر بعد حكم محمد على العاصف وما اكتنفه من تغييرات عنيفة واصطدام بالدولة العثمانية — صاحبة السيادة على مصر — وبالدول الأوروبية ؟

لاشك فى أن البلاد كانت فى مسيس الحاجة إلى فترة طويلة من الهدوء والاستقرار تصفى فيها ما أثارته هذه الحروب من اضطراب فى حياة البلاد الاقتصادية والسياسية والاجتماعية ، وتطرد فيها حركة الاصلاح الداخلى ، على أن يقوم هذا الاصلاح على قاعدتين :

الأولى — تقدير حاجات البلاد تقديرا صحيحاً يقوم على سياسة قومية تتجه إلى صالح المحكومين ولاتعتمد على أهواء الحاكمين .

الثانية — تقدير الحضارة الغربية تقديرا قوامه العمل على الاقتباس منها بالقدر الذى يعين على كمال الاصلاح الداخلى بعد صقله وتهذيبه والاستعانة بخبرات غيرنا فى مشكلات الحياة . ولا غرو فقد أثبتت حوادث النصف الأول من القرن التاسع عشر أن مصر لم تعد تستطيع أن تقف بمعزل عن تيارات الحضارة والسياسة الأوروبية . وكان يشارك مصر فى تلك كثير من بلاد الشرق الأخرى . وخير من الوقوف فى طريق هذه التيارات — بغية اعتراضها

أو اعتزالها وحرمان البلاد آثارها ، مسايرتها والأخذ منها مع السعي إلى تهذيبها وتجنيب البلاد ما قد يلابسها من أطماع وشرور .

والحق أن محمد على — ومن بعده إبراهيم — قد فهما الموقف بعد سنة ١٨٤٠ هذا الفهم وسيرتهما فى الاصلاح الداخلى دليل على ذلك .

أما عباس فقد اضطرب بين هذه الآراء ، وكانت سياسته الخارجية والداخلية مظهرا لهذا الاضطراب .

وإذا كنا قد نحمد لعباس — فى سياسته الخارجية — خطته فى دفع عدوان الدولة العثمانية فى الأزمة التى يسمونها أزمة « التنظيمات » ، إلا أن سيرته فى الاصلاح الداخلى كانت فشلا متصلا ، ولا يشفع له فى ذلك أن حكمه كان قصيرا . وفى رأينا أن الباعث الأساسى لهذا أن خطة عباس قامت على تسفيه الجهود التى بذلها محمد على وابراهيم فى ميدان الاصلاح الداخلى والسياسة التى اعتقد أنهما كانا يتمسكان بها ويدعوان اليها فى تقرير علاقات مصر بالدولة العثمانية والدول الأوروبية .

اعتقد عباس أن خطة محمد على وإبراهيم الخارجية كانت الاعتماد على فرنسا ، فابتعد عباس عن فرنسا وتقرب إلى انجلترا واعتمد عليها فى تحقيق مشروعاته السياسية .

واعتقد عباس أن جهود محمد على وإبراهيم فى الاصلاح الداخلى لم تثمر غير الفشل ، فأعرض عنها ، ولكنه لم يأت بما يحل محلها . فهم عباس إذن حاجة مصر إلى الهدوء والاستقرار بعد حكم محمد على العاصف على أنها نكوص عن سياسة محمد على وخططه فى الاصلاح الداخلى ، وبالغ عباس فى ذلك حتى لنعد حكمه القصير (انتكاسا) . وإذا كانت خطط محمد على قد صحبها الشطط أحيانا وقلة التقدير للحاجات الشعبية أحيانا أخرى فقد كان الزمن كفيلا بأن يهذب هذا كله ، على أن تقوم عليها يد صناع يتوافر

لها حسن القصد وكمال التجربة . ولكن عباسا بالغ فى النظرة إلى أوجه القصور والنقص فى أعمال محمد على ، وبدلا من أن ينهض لاصلاحها أو إكمالها استقر رأيه على إلغائها .

ولسنا نود — وليس هذا مجالنا — أن نتتبع خطى عباس فى شتى مناحى العمل ، ولكنا نقتصر على بيان خطته فى مسائل التعليم .

وجاءت صفحة عباس لدى أكثر الكتاب والمؤرخين صفحة سوداء : فمنهم من يعتبر عهده « عهد رجعية ففيه وقفت حركة التقدم والنهضة التى ظهرت فى حكم محمد على ، وأنه كان « قبل ولايته الحكم وبعد أن تولاه خلوا من المزايا والصفات التى تجعل منه ملكا عظيما يضطلع بأعباء الحكم ويسلك بالبلاد سبيل التقدم والنهضة . . . وبالجملة فلم تكن له ميزة تلفت النظر سوى أنه حفيد رجل عظيم أسس ملكا كبيرا ، فصار اليه هذا الملك دون أن تؤول اليه مواهب مؤسسه ، فكان شأنه شأن الوارث لتركة ضخمة جمعها مورثه بكفاءته وحسن تدبيره وتركها لمن هو خلو من المواهب والمزايا »[1] .

« أما المدارس فقد ساءت حالتها فى عهده فألغى معظمها (بعد الذى عطل منها فى أواخر عهد محمد على) وأقفلت أبوابها بين عالية وثانوية وابتدائية ولم يبق منها إلا النزر اليسير ، وكأنما كان عباس يكره العلم والتعليم ؛ فإنه لم يكتف بأغلاق معظم المدارس بل أنفذ إلى السودان طائفة من كبار علماء مصر فى ذلك العهد »[2] .

ومن المؤرخين من يرى أن « أبرز صفات حكومته ، عداؤه الوحشى للحضارة

---

(١) عبد الرحمن بك الرافعى : عصر اسماعيل ج ١ ص ٩ — ١٠ .

(٢) المصدر السابق ص ١٥

الأوروبية ونفوره الشديد من جميع الأعمال التي تألف منها مجد جده والتي جهد في تحطيمها شيئاً فشيئاً » [١] « وما كاد يتولى مقاليد الحكم - وكان الشيخ العظيم ما زال حيا - حتى كان أول أعماله إلغاء أكثر المدارس التي أسسها محمد على وطرد الموظفين الأوروبيين، وفي مقدمتهم كلوت بك الذي طالما عمل لتقدم الصحة في مصر .... » [٢].

وكان عباس « مغرما بالاقامة في الجهات البعيدة الموحشة وكان يتجنب جهد طاقته أن يتصل بالناس، حتى يتسنى له أن يعيش بصحبة حيواناته وعلى الأخص كلابه وخيوله التي كان يربي منها العدد الكبير » [٣].

ويروى مؤرخ للتعليم في مصر أن عباسا كان يدرك الحاجة إلى إصلاح أساسي، فبدأ بأن أصدر الأمر بقفل المدارس حالا، ولقد كان عنده الرغبة في أن يعيدها إلى الحياة، ولكن مشاغل أخرى شغلته عما كان ينتويه فأهمل التعليم، والمدارس التي ظلت باقية إنما تدين ببقائها إلى ما كان يحوطها من إهمال [٤].

وظل الأمر على هذه الصورة حتى نهض للدفاع عن عباس أحد الكتاب المحدثين: يرى مستر « دن » (Dunne) أن عباسا كان أكثر إدراكا لحاجات بلاده من الرجال المحيطين به، وأنه اذا كان قد أهمل في صباه الثقافة الأوروبية فانه لم يهمل الثقافة الاسلامية. وقد حكم مصر ست سنوات منحت البلاد من السلام والهدوء ما كانت بحاجة اليه بعد حكم محمد على وإبراهيم الذي أرهق البلاد، وإذا كان عباس قد كره الأوروبيين واعتزل

---

(١) Sammarco, Précis de l' Histoire d' Egypte T. IV p. 4.

(٢) Ibid. p. 5.

(٣) Ibid p. 9.

(٤) Dor, L' Instruction publique en Egypte, p. 214.

المجتمع فقد فعل ذلك ليحول دون توغل النفوذ الأوروبي[1] .

أما عن إلغاء عباس المدارس فيذهب الأستاذ « دن » إلى أن الكتاب المصريين يقيسون المستوى العقلي والتقدم بمجرد عدد المدارس وطلابها ومقدار المال الذي يصرف عليها ، أما النوع والكفاية فيهملونهما أو ربما لا يفهمونهما ؛ واذا كان النظام التعليمي قد فشل في حكم محمد علي — وهو قد فشل بالتأكيد — فلماذا إذن يراد من عباس أن يكون كبش الفداء[2] .

فأقوال الأستاذ دن كما ترى أقرب إلى الاعتذار منها إلى الدفاع .

أما عن فشل النظام التعليمي الذي وضعه محمد علي في حكم واضعه نفسه فأمر ينفرد في تقريره مستر دن ، ولم نجد مصدرا آخر يذهب في هذا الأمر مذهبه ، وليس في الوثائق ما يؤيده . واذا كانت حكومة محمد علي قد رأت في سنة ١٨٤٠ أن تتجه بالتعليم والمدارس وجهة جديدة فأنقصت عدد تلامذتها وفصلت بعض معلميها ، فلم يكن في ذلك فشل النظام التعليمي ، وإنما هو أمر دعا اليه مجرد الاقتصاد . وقد درسنا بالتفصيل في كتابنا « تاريخ التعليم في عصر محمد علي »[3] مقومات هذه الحركة ، حركة تنظيم التعليم في سنة ١٨٤٠ ، وقد فضلنا — توكيدا لصفتها وأثرها في التعليم — أن ندعوها حركة (التنظيم الثاني) على اعتبار أنها (نظمت) التعليم المرة الثانية بعد تنظيمه أول مرة في سنة ١٨٣٦ ، فقد احتفظ محمد علي بأكثر المدارس التجهيزية والخصوصية ، مع تحديد عدد تلامذتها ،

---

(١) Dunne, An Introduction to the History of Education in Egypt. p. 289.

(٢) Ibid. p. 291.

(٣) ص ص ١٢٣ — ١٣٦

واذا كانت مكاتب المبتديان بالأقاليم قد اقتصر منها على أربعة مكاتب — عدا مدرسة المبتديان بالقاهرة — فالنظام التعليمى ظل مع هذا سليما .

ليس معنى هذا أن هذا النظام التعليمى كان محكما ، وأنه كان خاليا من وجوه النقص ، لم نقل هذا ولم يقله أحد . ولكن وجود هذا النقص لايبرر ما أقدم عليه عباس — وسعيد من بعده — من تقويض النظام التعليمى وهدم المدارس ووقف الحركة التعليمية . والنفوس القوية المستنيرة تقدم على الاصلاح وتراه خيرا من الهدم على أى حال . وهنا نكرر ما ذكرناه من أن عباسا كان يرى أسوأ الرأى فى منشئات محمد على . ويزيد عباس تمسكا بهذا الرأى بعض ما حدث فى أوائل حكمه حينما جمع المهندسين والأطباء البيطريين ودعا إلى امتحانهم ، ومالبث أن اتخــذ من نتيجة هذا الامتحان ذريعة لتسفيههم وتسفيه النظام التعليمى كله .

كان عباس يضيق بالاصلاح ويرى فى الهدم أقرب الوسائل وأيسرها إيثارا (للعافية) . وليس يعنينا ماقيل من أنه كان ينتوى إعادتها إلى الحياة لو مدّ الله فى حكمه ، فليس فى سيرته ما يشير إلى شىء من ذلك .

ثم هناك حركة أخرى أغفلها سائر المؤرخين الذين كتبوا عن محمد على عامة والتعليم فى عهده خاصة ، وهى الحركة التى كانت ترمى إلى تجديد أساليب التعليم فى المكاتب الابتدائية وإنشاء المكاتب الأهلية أو مكاتب « الملة » كوسيلة لنشر التعليم الأولى « الحكومى » . واحتضن إبراهيم فى حكمه القصير هذه الحركة المباركة ، وعمل لنجاحها أدهم باشا مدير ديوان المدارس فى ذلك الوقت وأنفذ لامبر بك ناظر المهندسخانة إلى انجلترا لدراســة الموضوع والاستنارة بنتائج دراســته عند تنفيذ المشروع فى

مصر [١] . وبتولى عباس قضى على هذه الحركة الناشئة .

* * *

كان عباس يمثل (النعرة) التركية فى حكم البلاد أتم تمثيل . حقا إن وظائف الدولة الكبرى كانت فى عصر محمد على احتكارا للطبقة الأرستقراطية التركية . ولكن محمد على كان يحرص دائما على أن يطامن من عنف هذه الطبقة واعتزازها بأصولها ، وأنف محمد على أن يكون (الحسب) وحده مقياسا للحظوة وعلو الشأن . ولم يشأ أن تكون هذه الطبقة قاصرة على الترك وحدهم ، فلم تكن هذه الطبقة كلها تركية الجنس ، بل لقد كانت أرستقراطية (لغوية) قبل أن تكون (جنسية) ، فإن فيها أخلاطا من أمم الشرق الأدنى كالسوريين والأرمن وغيرهم ، وكانت هذه الطبقة تتسع كذلك للمصريين الذين يؤهلهم تعليمهم ووظائفهم لحذق اللغة التركية والاندماج فى أفراد هذه الطبقة . ذلك أن محمد على كان يرى « فى أولاد مصر نجابة وقابلية للمعارف » [٢] وأنه عز عليه أن يرى العقول المصرية تضيع هباء ، فعول على أن ينقذ لمصر تلك الثروة العقلية التى لا تعدلها ثروة » [٣] . واستطاع محمد على أن ينقذ قدرا ليس بالقليل من هذه العقلية ، وبدأ أبناء البلاد يلون مناصب كثير منها رئيسى ، وأصبح لهم بالتدريج فى إدارة البلاد ومعاهد التعليم فيها شأن . وهكذا رفع التعليم فى مصر رهطا من أبناء البلاد إلى مصاف الحاكمين ، وكان يرجى تقدم كبير فى هذه الناحية لو عاش إبراهيم طويلا . فقد كان أكثر

---

(١) انظر فى هذا الموضوع كتابنا : تاريخ التعليم فى عصر محمد على ص ١٣٧ — ١٤٤ و ٢٠٥ — ٢١٠ .

(٢) الجبرتى : عجائب الآثار . المجلد الرابع ص ٢٧٢

(٣) من تقديم الأستاذ شفيق بك غربال لكتابنا تاريخ التعليم فى عصر محمد على . صحيفة ن

من أبيه اتصالا بالمصريين واهتماما بتكوين الدولة المصرية المستقلة دون كبير اهتمام بروابط التبعية العثمانية أو قيود السياسة الدولية ، وعرف عنه تقديره للعقلية المصرية واحتفاله لتقدمها والسعي لشق السبيل أمامها . ولكن عباسا كان يمثل الارستقراطية التركية فى أضيق حدودها وأشكالها : فطرابيش مستخدمي الحكومة وأزياؤهم يجب أن تكون على مثال ما يلبسه الموظفون فى (دار السعادة) [١] وعليهم أن يرسلوا الحاتم كما يفعل الموظفون فى دار السعادة أيضا [٢] ولم يكتف عباس بالمظاهر الخارجية وحدها ، بل نراه يكاد يقصر اهتمامه على تعليم أبناء الترك دون المصريين : عز عليه أن يرى بعض أولاد الترك يتشردون فى شوارع الاسكندرية فأمر بجمعهم وإلحاقهم بالمدرسة التي أنشأها لتعليم ابنه (إلهامي باشا) ، وبهذه الوسيلة يكسب الوطن عنصرا صالحا . [٣] ولم نسمع شيئا يظهر اهتمامه بآلاف (المشردين) من أبناء البلاد !

وفى مدرسته الحبيبة اليه — مدرسة المفروزة — جمع عباس صفوة أبناء الترك فى كمال الجسم وتناسق الخلق ، حتى إذا ذهب يتفقدهم واحدا واحدا رأى فيهم من لا يرتاح إلى خلقه ، فحكم بأنه من أبناء الفلاحين وأمر بإخراجه من صفوف الطلبة [٤].

وأبقى عباس من المدارس وجمع لها من التلاميذ ما يكفى فقط لتخريج العدد

---

(١) أمين باشا سامي : تقويم النيل وعصر عباس وسعيد م ١ ج ٣ ص ٢٤ ودفتر ١٢٩ (مدارس عربى) ص ٢١٤٢ رقم ٢ ٣ الى مدرسة المبتديان وفى ١٢ رمضان ١٢٦٥ ودفتر ٤٧١ (معية تركى) رقم ٥٠ من مدير التشريفات إلى مدير الجهادية فى ٢١ رمضان ١٢٦٦

(٢) أمين باشا سامي : تقويم النيل وعصر عباس وسعيد م ١ ج ٣ ص ٢١

(٣) المصدر السابق ص ٣٠

(٤) محفظة ٣ (مدارس) رقم ٢٥٨ ودفتر ٤٦٧ (معية تركى) ص ٢٢ رقم ١١٨ أمر إلى ديوان المدارس فى ٢٥ جمادى الثانية ١٢٦٥ .

الكافى لادارة المرافق المحدودة التى أبقاها : فهو محتاج إلى مهندسين لأبنيته وقصوره فليبق المهندسخانة لتخرج له المهندسين ، وليكل إليها هى نفسها إعداد تلامذتها الجدد . وجيشه ومستشفياته محتاجة إلى أطباء فليبق مدرسة الطب ، أما تلامذتها فلتأخذهم من أى مصدر شاءت : فآنا من الأزهر وكتاتيب البلاد وآنا من المهندسخانة . أما المدارس الحربية فليجمعها فى مؤسسة واحدة و (ليفرز) لها صفوة التلامذة من غلمان الترك .

ولاشك فى أن عباسا كان يود لو ملأ جميع المدارس بغلمان الترك ، ولكنهم لايكفون فليأخذ من أبناء البلاد ، وليعمل على فصلهم عن آبائهم وعائلاتهم ، حتى ليختار لهم أسماء تركية ويحرم عليهم وعلى أساتذتهم أن ينادوهم بأسمائهم الحقيقية ، ومن يفعل ذلك من التلاميذ جوزى بخمسة وعشرين سوطا ، فان كان من المدرسين فجزاؤه أن يحبس تسعة أيام [١] .

وعباس يؤنب طلبة البعثة المصريين – أو الفلاحين – بأنهم مازالوا متخلقين « بطباع الخونة التى هى طباعكم الأصلية » ، ويتهددهم باعادتهم إلى القرية وتلبيسهم ملابس الفلاحين وسلكهم فى فلاحة الأراضى [٢] .

ويعز على عباس أن ترتب الوقائع لعدد كبير من الموظفين والعلماء والتلاميذ وأعيان المصريين ، فقرر قصرها على أصحاب رتبة الأميرالاى وما فوقها . ذلك لأنه استشاط غضباً حين علم أنها ترسل « لجماعة أمية وسفلة مثل حسن آغا وكيل الخرج

---

(١) دفتر ٢١٣٥ (مدارس تركى) ص ٤٦ رقم ١٣ إلى المبتديان والمهندسخانة فى ٣ المحرم ١٢٦٧ .

(٢) دفتر ٢٣٨ (مدارس عربى) ص ٣٦١ رقم ٧٢ الى التلامذة المصريين بمدينة ميونيخ فى ٥ ذى الحجة ١٢٦٨

وفيض الله أغا الطاهى وموسى اليهودى الآلاتى . . . فلما رأيت ذلك خجلت من نفسى ورأيت أن ارسال الجريدة إلى أمثال فيض الله أغا وحسن أغا من الأمية والجهلة الذين لايعرفون معنى الجريدة لا سيما موسى اليهودى الآلاتى فقد عددت إرسال الجريدة لهم ذلا زائداً » [١] .

ويمرض حصانان لعباس فيشتد ألمه ، ولا يرى له عزاء إلا فى الحقد يصبه على مدرسة الطب البيطرى بأساتذتها وتلامذتها ، فيشردهم إلى (اسطبل) منوف ثم يعصف بالمدرسة فيأمر بالغائها [٢] .

ونظن أن ماقدمنا بين يديك يكفى للدلالة على أن عباسا كان قليل الاحتفال بالعقلية المصرية قليل الثقة بها راغبا عن بذل المال فى سبيلها .

وهنا نصل إلى الفكرة التى طافت بذهن عباس — بل تملكته — طوال حكمه : وهى فكرة الاقتصاد الشديد فى الصرف على معاهد التعليم . والاقتصاد فى حد ذاته ليس عيبا ، بل لقد كان وقتئذ واجباً يأخذ به حاكمو مصر أنفسهم ، فقد كانت البلاد وشيكة الخروج من حروب أنهكت قواها فى المال والرجال . ولقد كان من قواعد سياسة محمد على نفسه بعد سنة ١٨٤٠ الاقتصاد فى الصرف على مختلف مرافق البلاد ، على أن لا يعطل ذلك اضطراد الاصلاح . وقد رأيت [٣] المجهود الذى بذله أعضاء لجنة تنظيم التعليم فى سنة ١٨٤٠ للتوفيق بين الاقتصاد وحاجات البلاد التعليمية . ولكن الاقتصاد عند عباس لم يكن سياسة مرسومة يمليها عليه الشعور بضرورة

---

(١) دفتر ٤٨٤ (معية تركى) رقم ٦٠ إلى مجلس الأحكام فى غرة ذى الحجة ١٢٦٨

(٢) دفتر ٤٤٩ (معية تركى) رقم ٣٧ إلى الكتخدا فى ٢٥ ربيع الآخر ١٢٦٥

(٣) تاريخ التعليم فى عصر محمد على للمؤلف ص ١٣٥

التنسيق بين مختلف حاجات البلاد فى حدود طاقتها المالية ، إذ بينا نراه يضن بالمال على معاهد العلم فيأمر بوضع (ترتيب) على أثر (ترتيب) لزيادة الاقتصاد فى مصروفاتها ، إذ بنا نراه ينفق المال الجم فى بناء قصوره بالعباسية وبنها والطور والدار البيضاء وغيرها .

وقد بلغ من أمر هذا (الاقتصاد) الشديد أن كان يعيش ديوان المدارس شهراً بل أشهراً لا يجد من المال فى خزانته ما يؤدى منه ما حق عليه أداؤه للمقاولين والعمال والموظفين بل ولا للطلاب والطالبات [1] . وأكثر من ذلك أن ديوان المالية نفسه — وهو المصدر الذى تستمد منه سائر الدواوين حاجتها من المال — كانت خزانته تبقى وقتا طويلا قبل أن تزود بالمال [2] .

* * *

والآن فلنتتبع الخطوات التى نفذ بها عباس آراءه تلك وسياسته فى التعليم : على أثر تولى عباس الحكم فى مصر بدأ ديوان المدارس يضع لوائح جديدة يحقق بها رغبة عباس فى الاقتصاد ، ولهذا الغرض أوقف نقل التلامذة وترقية الموظفين وتعيين الخدم . . الخ ، وكان على رأس ديوان المدارس فى ذلك الوقت إبراهيم أدهم باشا . وقد أبقاه عباس مديرا للديوان ، لما كان بين الرجلين من سابق الود .

ولا شك فى أن أدهم قد استشعر الألم لوقف المشروع الذى بدأ فى حكم إبراهيم : مشروع مكاتب « الملة » . ولكنه مع هذا أقبل على عمله يسعى لانقاذ معاهد العلم القائمة ،

---

(١) دفتر ١٦٠ (مدارس عربى) ص ٤٠٣ رقم ٢٤٧ من المالية فى ٢٩ المحرم ١٢٦٦ ودفتر ٣٠٧ (مدارس عربى) ص ٣١٣٩ رقم ١١٦٨ إلى المالية فى ١٦ شعبان ١٢٧٠ .

(٢) دفتر ١٢٨ (مدارس عربى) ص ١٦٢٨ رقم ١١٩ إلى قنصل دولة فرنسا فى ١٨ ربيع الأول ١٢٦٥ .

يحدوه الأمل في الباشا الجديد وحظوته لديه .

ولكن سياسة عباس بدأت تتكشف شيئاً فشيئا ، ووضح لأدهم أن الأمر أخطر من مجرد اقتصاد لبعض المال ، وأن الوالى الجديد لا يكن لمعاهد العلم القائمة صادق الرغبة . وآية ذلك أن عباسا لم ينتظر حتى تصدر اللوائح التى كان أدهم جادا فى وضعها بل أصدر أوامره بما يلى :

(١) نقل مدرسة الطب البيطري إلى منوف فى نوفمبر ١٨٤٨ [١] ثم إلغاؤها بعد ذلك بشهرين وبضعة أيام [٢] .

(٢) فصل المدارس الحربية — المشاة والفرسان والمدفعية — عن ديوان المدارس وإلحاقها بديوان الجهادية فى فبراير ١٨٤٩ [٣] ، ثم إلغاؤها جميعا [٤] وعلى أنقاضها أنشئت المدرسة المفروزة .

(٣) إلغاء المدرسة البحرية فى فبراير ١٨٤٩ [٥] .

---

(١) دفتر ١٢٧ (مدارس عربى) ص ١٢٥٣ رقم ٥١٩ الى مدرسة الطب البيطرى فى ٥ صفر ١٢٦٥ .

(٢) دفتر ٤٤٩ (معية تركى) ص ٢٧٢ رقم ٣٧ أمر الى الكتخدا فى ٢٥ ربيع الثانى ١٢٦٥ .

(٣) دفتر ١٢٨ (مدارس عربى) ص ١٧١١ (عرض) إلى مدرسة السوارى فى ٢٠ ربيع الثانى ١٢٦٥ .

(٤) دفتر ٢١٣٣ (مدارس تركى) ص ٥٢ فى ٢٤ المحرم ١٢٦٦ .

(٥) دفتر ٢١٣١ (مدارس تركى) ص ١٤ رقم ١٠ من ديوان البحرية فى ٤ ربيع الثانى ١٢٦٥ .

(٤) الغاء مكاتب المبتديان جميعا بالأقاليم فى مارس ١٨٤٩ [١] .

(٥) إحالة كلوت بك إلى المعاش فى ابريل ١٨٤٩ [٢] .

(٦) تحويل المكتب العالى إلى (أورطة) خاصة تمهيداً لتكوين المدرسة المفروزة [٣] .

أدرك إبراهيم أدهم باشا من سلسلة الأوامر هذه أن عهداً جديداً قد بدأ للتعليم فى مصر ، وأنه لن يستطيع أن يعمل فى ظل هذا العهد الجديد ، فخرج من ديوان المدارس فى مارس ١٨٤٩ .

وفى غيبته عن ديوان المدارس صدرت اللوائح التى نظمت التعليم لأول مرة فى حكم عباس باشا فى ١٣ شعبان ١٢٦٥ (يونية ١٨٤٩) [٤] .

وبناء على هذا (الترتيب) هبطت ميزانية التعليم من : — [٥]

---

(١) دفتر ٢١٢٦ (مدارس تركى) ص ٨٦ رقم ١٥٢ إلى مديرية الغربيـــة فى ٤ جمادى الأولى ١٢٦٥ .

(٢) Documents concernant le Dr. Clot Bey. p. 8.

(٣) دفتر ١٢٩ (مدارس عربى) ص ٢٠٥٢ رقم ٦٨ إلى المكتب العالى فى شعبان ١٢٦٥ .

(٤) دفتر ٤٦٧ (معية تركى) ص ٢٥٥ رقم ١٢٠٨ أمر إلى ديوان المدارس فى ١٣ شعبان ١٢٦٥ — وقد صدر أمر عباس باشا بترجمة هذه اللوائح من اللغة التركية الى اللغة الفرنسية تمهيداً لطبعها ونشرها ، ولكننا نأسف لأننا لم نعثر عليها .

(٥) دفتر ٤٦٧ (معية تركى) ص ١٣٩ رقم ٤٥ أمر الى ديوان المدارس فى ١٣ شعبان ١٢٦٥ .

بارة	قرشا	
٣٥	١٧٢٫٢٨٢	في الشهر إلى :
—	١٤٩٫٣٦٠	« « فيكون الوفر :
٣٥	٢٢٫٩٢٢	« « أو ٢٠ بارة ٧٤ قرشا ٢٧٥٠ جنيها في السنة .

وكتب ديوان المدارس إلى المدارس القائمة : المبتديان والتجهيزية والمهندسخانة والطب والألسن يدعوها إلى أن (ترتب) شأنها طبقاً لما جرت به اللوائح الجديدة : ففصلت كل منها بعض تلامذتها ومعلميها وخدمها ورتبت فرقها ودروسها بما يلائم النظام الجديد [١] .

واستعاض ديوان المدارس عن هذا الانكماش بتوسع في ناحية أخرى غير ناحية التعليم، إذ أحيل ديوان عموم الأبنية على ديوان المدارس في لوائح شعبان ١٢٦٥ [٢] .

ويبدو أن عباس باشا قد أقنع أدهم بالعودة إلى ديوان المدارس ، فعاد إليه في أكتوبر ١٨٤٩ (ذى الحجة ١٢٦٥) بعد غيبة نحو سبعة أشهر . وأراد عباس أن يظهر عطفه على مدير ديوان المدارس فمنحه رتبة المير ميران ومرتبها .

ولكن لا لوائح شعبان ١٢٦٥ ولا عودة أدهم باشا إلى ديوان المدارس استطاع أن ينقذ المدارس من المصير الذى أعدّه لها عباس .

بدأ عباس (عهده) مع ديوان المدارس بالوعيد والتهديد : كتب إلى مديره في أوائل

---

(١) دفتر ١٢٩ (مدارس عربى) ص ٢١٤٠ رقم ٧٠٣ الى مدرسة الألسن في ١٧ شعبان ١٢٦٥

(٢) دفتر ١٨٢ (مدارس عربى) ص ٢٩٦٨ رقم ١٢٦٣ الى المالية في ٧ رمضان ١٢٦٧

سنة ١٢٦٦ ه لما وصلت إلى المنيا هذه المرة دعوت المهندسين المتخرجين في ديوان المدارس الذى هو مؤسس لتثقيف الشعب وتنشئة رجال نافعين للوطن وعند اختبارى إياهم وجدتهم مجردين بالكلية من العلم والعمل . . . وفضلا عن هذا وجدنا بعضهم غير ملمين بعملية ضرب الأرقام ، فعجبنا من ذلك وسألناهم : كيف يؤدون عملية الحساب مع كونهم مهندسين ، فأجابوا بأنهم يؤدونها بمساعدة الكتبة الأقباط . فبينما نحن ننتظر فائدة منهم للبلاد قد وضح أنهم السبب فى خرابها . لذلك أستحلفكم بالله أن تصلحوا أعمالكم ، كى هذا الاهمال ، ولتعلموا أن دوام هذه الحالة سيضطرنى إلى إلغاء ديوان المدارس الذى هو أساس الرق وطرد أساتذته . وأمر عباس بطرد أولئك المهندسين وعدتهم خمسة عشر مهندساً وتوعد بالعقاب من يعود إلى استخدامهم . كما أمر بتعيين خمسة من أكفاء المهندسين ليقوموا بعمل المهندسين المفصولين متوعدا بامتحانهم عند عودته من سياحته بالوجه القبلى « فاذا تبين أنهم جاهلون أيضاً ولا يصلحون إلا لجلب الخسائر فحتما سأطردهم من الخدمة أيضاً وسأضطر إلى إلغاء ديوان المدارس »[1] .

ويبدو أن المهندسين الجدد قد أنقذوا الموقف ... وديوان المدارس !

على أن روح الحذر والشك هذه التى كان يكنها عباس نحو دواوينه والمحيطين به والناس أجمعين لم تفارقه : من ذلك أنه أمر بأن لا يرقى موظف من موظفى الديوان إلا بعد أن يؤدى امتحاناً دقيقاً أمام هيئة من الموظفين الاخصائيين فى فنه ، على أن تضمن اللجنة فى ذيل تقريرها الذى ترفعه إليه هذه العبارة « حيث أنه أصبح من اللازم ترقية فلان إلى رتبة (كذا) بناء على ما وجهنا إليه من الأسئلة المتعلقة فأجاب عليها بالوجه

(١) دفتر ٤٦٨ (معية تركى) ص ٨٧ رقم ٤٨٩ من الجناب العالى الى مدير ديوان المدارس فى ٣ المحرم ١٢٦٦

اللائق وأنه فيما بعد إذا اقتضى الأمر وأعيد امتحانه فى حضور ولى النعم فأنه سينجح فى أدائه ، وفى حالة عدم نجاحه فنحن نتحمل المسئولية ونرضى بالعقوبة التى توقع علينا »(١).

ولم تمض شهور معدودات على صدور لوائح شعبان ١٢٦٥ حتى اتجه الرأى إلى وضع لوائح جديدة تشبع رغبة عباس فى الاقتصاد ، وعهد الى لامبير بك بوضع هذه اللوائح . وفى رأينا أن اختيار لامبير بك ناظر المهندسخانة للقيام بهذا العمل راجع إما إلى رغبة عباس فى أن تكون مدرسة المهندسخانة محورا للنظام التعليمى الجديد ، أو إلى تأثير أدهم باشا الذى كان قد عاد الى ديوان المدارس ، وقد رأيت الصلة الوثيقة بين الرجلين ، وقد كان من مظاهرها إيفاد لامبير إلى انجلترا — فى حكم إبراهيم — لدراسة مشروع التعليم الشعبى تمهيدا لتعميمه فى مصر . ويبدو أن لامبير مضى فى عمله محاولا أن يوفق ما استطاع بين رغبة عباس فى الاقتصاد الدقيق وبين مطالب التعليم فى مصر وأمله فى الاحتفاظ بالنظام التعليمى الذى اشترك فى وضعه منذ أربعة عشر عاما والذى جنت منه مصر أطيب الثمار . ومن ذلك أنه حاول — بعد إلغاء مدرسة المبتديان — أن يحتفظ بالمدرسة التجهيزية معهد امستقلا يعـــد للمدارس الخصوصية (٢) . ووضع لامبير بك « ترتيبا » للمدارس الملكية والرصدخانة « يبلغ مصرفه نحو ٢٠ ألف كيس » فلما عرضه على الوالى « استعظمه » (٣) ، ورأى أنه « اشتمل على محاذير لا مسوغ

---

(١) محفظة ٤ (مدارس) رقم ٦ من عباس الى مدير ديوان المدارس فى ٣ ربيع الأول ١٢٦٦ ودفتر ٤٦٨ (معية تركى) ص ١١٤ رقم ٦٢٠ من عباس الى مدير ديوان المدارس فى ٣ ربيع الأول ١٢٦٦

(٢) دفتر ١٤٤ (م عربى) ص ٨١٦ الى المهندســخانة فى ٢٨ المحــرم ١٢٦٦ ودفتر ١٤٥ (مدارس عربى) ص ٢٧٧ الى الجهادية فى ٢ ربيع الأول ١٢٦٦

(٣) على مبارك : الخطط التوفيقية م ٣ ج ٩ ص ٤٤

لها : مثلا قرر تدريس مقامات الحريري وغيرها من الكتب التي لا حاجة للتلاميذ بها ولا سمح تدريسها في مدرسة ، وقرر تطويل مدة الدرس زيادة عما يلزم ، وقرر فتح عدة ورشات في نفس المدارس (لعله يقصد المهندسخانة) لترميم مهمات المدرسة بينما أن مهمات الجيش يجرى تصميمها وترميمها في ورش المهمات ، وهذه الورشات والمدرسة كل منها في محروسة مصر ، وفيما قرره من فتح تلك الورشات إيقاع الحكومة في مصاريف في غير محلها »[١] .

في تلك الأثناء كان نجم جديد قد بدأ يتألق في الأفق : فقد عاد — مع من عاد من أعضاء البعثات — شاب مغمور تخرج في المهندسخانة ثم درس بمدرسة سان سير العسكرية بفرنسا : هو « على مبارك » ، عاد قبل أن يتم دراسته ، فألحق أولا بمدرسة المدفعية بطرة ثم طلبه سليمان باشا الفرنساوي « رئيس الجهادية » أو « رئيس الرجال » كما كان يدعى[٢] ليكون في معيته « فيستخدمه في محل مناسب بالاسكندرية »[٣] فأجيب إلى طلبه ، ويبدو أنه كان يقصد إلحاقه بجاليس بك (Gallice) الذي كان يعمل إذ ذاك في تحصينات الاسكندرية[٤] . وقدم على مبارك الى عباس ، ولم تمض على ذلك أيام حتى عاد عباس فطلب الى سليمان باشا أن يرسل اليه على مبارك سريعا إلى الخانقاه[٥] . وذلك لأن عباسا كان يقض مضجعه ما انتواه من أن يختبر

---

(١) محفظة ٤ (مدارس) رقم ١٥ أمر الى صدير المدارس في ٢٤ جمادى الآخرة ١٢٦٦

(٢) ويقصد به « رئيس هيئة أركان حرب الجيش المصرى » .

(٣) محفظة ٤ (جهادية) رقم ٦٨ أمر الى مدير الجهادية في ٢٥ ذى القعدة ١٢٦٥

(٤) Dunne, op. cit. p. 297-298.

(٥) محفظة ٤ (جهادية) رقم ٨٣ أمر الى مدير الجهادية في ٢٦ ذى الحجة ١٢٦٥ .

بنفسه أو بمن يثق به موظفى الحكومة المتخرجين فى المدارس ، وعول — كما رأيت — على أن يبدأ بالمهندسين المتخرجين فى مدرسة المهندسخانة والتابعين لديوان المدارس ، واعتزم أن يكل هذا العمل إلى شبان لم تربطهم بغيرهم صلات من الود أو التعاطف أو المصلحة . فلم يجد خيراً من مهندسيه الشبان الذين عادوا حديثا من فرنسا وهم على مبارك وحماد عبد العاطى وعلى إبراهيم . ولهذا الغرض دعاهم إليه فى الخانقاه . ويصف على مبارك هذه المقابلة (التاريخية) التى وضعت أساس الصلة بين عباس وعلى مبارك والتى عادت على النظام التعليمى فى مصر بأخطر النتائج . . . قال على مبارك : « وقال عباس وقد أمرت بامتحان مهندسى الأرياف ومعلمى المدارس لأن الكثير منهم ليسوا على شيء ، وجعلتكم من أرباب الامتحان) ، وشرط علينا أن لا نتكلم إلا بالصدق ولو على أنفسنا ، وإذا عثر على أحد منا كذب فى شيء فجزاؤه سلب نعمته وإلباسه لباس الفلاحين وسلكه فى سلكهم ، ثم حلفنا على ذلك واحداً واحداً خلفنا ، وحينئذ أنعم علينا برتبة الصاغقول أغاسى وأعطانا نيشانات الرتبة » [1] .

ومضى « الأفندية الامتحانجية » فى عملهم ، ولا شك فى أن عباسا قد ارتاح لأن نتائج الامتحانات قد أثبتت فى المدارس وخريجيها رأيه . فراح يتهكم على المدارس وديوانها ويهدد الجميع بالعقاب [2] .

أما على مبارك — وقد بدأ حياته الوظيفية على هذا النحو — فقد أدرك الفرصة المواتية فحرص على أن لا تفلت منه ، وراح يتنقل فى « الركاب الأصفى » من إقليم إلى

---

(١) على مبارك : الخطط التوفيقية م ٣ ج ٩ ص ٤٤ .

(٢) دفتر ٤٦٨ (معية تركى) ص ٨٧ رقم ٤٨٩ من الجناب العالى إلى ديوان المدارس فى ٣ المحرم ١٢٦٦ .

إقليم يمتحن هذا ويفصل ذاك ويعين ذلك ، وبدأ يتصل بمعهده القديم — المهندسخانة — يمتحن خريجها ويفحص عن كتبها الخ (١)

وزاد على مبارك بعباس اتصالا ، ولاح لعباس أنه قد وقع على الشاب المستعد لأن ينفذ له أغراضه ويتحمس لها ، فمضى يعتمد عليه دون أدهم ولامبير وغيرهما من شيوخ العهد (البائد) .

وكان لامبير قد فرغ من ترتيبه للمدارس الملكية والرصدخانة ، وقد بلغت ميزانيتها بمقتضاه — على مايقول على مبارك — نحو ٢٠ ألف كيس (أى ١٠٠ ألف جنيه) فاستكثر عباس هذا المبلغ ودعا إليه (مستشاريه) الثلاثة ، وأحال عليهم الترتيب الذي وضعه لامبير — ناظرهم وأستاذهم القديم — وطلب اليهم أن ينظروا فيه وأن يضعوا ترتيبا آخر يكون أكثر اقتصادا ، على أن يبقى الأمر سرا بينهم . ولكن مضى الوقت ولم يتفق (الفرسان الثلاثة) على رأى ، وخشى على مبارك «فوات الوقت قبل تمام العمل ، فشرعت وحدى فى عملها من غير انتظار لرأى أحد ، فعملت لجميع المدارس ترتيبا بلغ مصرفه ألف كيس وجعلت أساس ذلك احتياجات القطر لاغير ، وأن جميع المدارس الملكية تكون فى محل واحد تحت إدارة ناظر واحد ، وأسقطت الرصدخانة بالمرة من الترتيب لعـــدم وجود من يقوم بها حق القيام إذ ذاك من أبناء الوطن مع احتياجها إلى كثرة المصرف ، وأبديت فى الترتيب أنه يلزم توجيه جماعة إلى بلاد الافرنج ليتعلموا فنون الرصدخانة وبعد قدومهم يصير فتحها وإدارتها ، وعينت لذلك محمود باشا الفلكي وكان إذ ذاك برتبة صاغقول أغاسى وإسماعيل باشا الفلكي وحسين بك

(١) دفــتر ١٤٨ (مدارس عربى) ص ١٧٧٤ رقم ٣٠٣ الى المهندسخانة فى ٢ جمادى الأولى ١٢٦٦ .

ابراهيم وكانا من التلامذة الذين تمموا دروسهم ، ثم قرأت ذلك الترتيب على رفيق فلم يوافقانى عليه ، فقلت هو عندنا محفوظ فإن لم نعمل غيره نقدمه ليمتنع عنا اللوم ؛ وقد كان ذلك عين الصواب ، لأنه بعد قليل طلب منا تقديم الترتيب ، ولم تكن عملنا غير هذا فقدمناه ، فاستغربه المرحوم عباس باشا وعجب مما فيه من الأصول المخترعة مع قلة مصرفها ، وقال من عمل هذا ، فقلت أنا عملته » . [1] ولا شك فى أن عباسا قد سر كثيرا (لهذه الأصول المخترعة) التى انتظمها هذا (الترتيب) الذى يهبط بميزانية التعليم من مائة ألف جنيه الى خمسة آلاف جنيه فقط ، ولكنه لم يرد أن يقطع فى هذا (الترتيب) الجرىء برأى ، وخاصة لما وجد من خلاف بين أعضاء اللجنة ، فأحاله عباس باشا على مجلس خاص مكون من رئيس مجلس الأحكام ورئيس مجلس العسكرية ومدير الجهادية ومدير المشتريات ومدير الخارجية وكتخدا الباشا وترجمانه وكاتب الخارجية ورئيس الصيادلة ، ودعى لامبير إلى شهود المجلس ، وطالت المناقشة — فيما يقول على مبارك — ثمانية أيام ، وأخيرا رآه المجلس «موافقا للمطلوب ، وفهم من إفادته التى قدمها أنه إذا أحيل إلى عهدته إجراء ذلك الترتيب بسبب أنه من ذوى المعرفة والكفاءة فإن إحالته اليه تكون سببا فى حسن تنفيذه » . وأقر المجلس وجهة نظره والتمس من عباس باشا الموافقة على الترتيب ومكافأة صاحبه برتبة الأميرالاى «ليزداد شوقه ، وتنمو رغبته فى نيل الرضاء العالى ، ونصبه «ناظرا للمدارس التى اقترح افتتاحها فى تقريره الذى وضعه » . أما لامبير بك فينقل إلى عضوية مجلس سك النقود ، وهى الوظيفة التى كان يشغلها من قبل . ووافق عباس باشا على هذا كله وأصدر أوامره إلى ديوان

(١) على مبارك : الخطط التوفيقية م ٣ ج ٩ ص ٤٤ — ٤٥

المدارس بتنفيذه[١] .

وقد بلغ من ارتياح عباس لهذا النظام الجديد وحرصه على توفير أسباب نجاحه أن أقال مدير ديوان المدارس القديم ، إبراهيم أدهم باشا ، بعد تعيين على مبارك بيومين اثنين متعللا بتقدمه فى العمر ، وأتى للمدارس بمدير جديد . وهكذا وضع (ترتيب سنة ١٢٦٦) — وهو الترتيب الذى نظم التعليم طوال عصر عباس — فى خارج ديوان المدارس ، فلم يكن له فى وضعه شأن ، حتى لقد شرع على مبارك ينفذه قبل أن تصدر اللائحة رسميا : فضم المبتديان والتجهيزية إلى المهندسخانة[٢] ، وكان الديوان يبعث إليه من وقت إلى آخر يستوضحه بعض ما غمض عليه من اللوائح الجديدة[٣] .

وفى ١٧ رجب ١٢٦٦ (مايو ١٨٥٠) وافق الجناب العالى نهائيا على الترتيب الجديد وأصدر أوامره بتنفيذه إلى ديوان المدارس[٤] .

وتتلخص هذه اللوائح — وليس لدينا نصها الكامل — فى جعل مدرسة المهندسخانة محورا للنظام التعليمى الجديد ، فتضم إليها مدرستا المبتديان والتجهيزية ، ولذلك كان على مبارك بك يدعى (ناظر المهندسخانة ومامعها) . أما مدرسة الطب فتبقى قائمة بنفسها تابعة لديوان المدارس من جهة وشورى الأطباء من جهة أخرى . أما المدارس الحربية

---

(١) محفظة ٤ (مدارس) رقم ١٥ أمر الى مدير ديوان المدارس فى ٢٤ جمادى الآخرة ١٢٦٦ .

(٢) دفتر ١٥٣ (مدارس عربى) ص٣٥٨٨ رقم ١٠٤ الى شورى الأطباء فى ٢ رجب ١٢٦٦

(٣) دفتر ١٥٣ (مدارس عربى) ص٣٦٠١ رقم ٤٩٢ الى المهندسخانة فى ٢٣ رجب ١٢٦٦

(٤) دفتر ٤٦٨ (معية تركى) ص ١٥٨ رقم ٢٤ من الجناب العالى الى مدير ديوان المدارس فى ١٧ رجب ١٢٦٦ .

فقد قام على أنقاضها المدرسة الحربية المفروزة وتكون — هي الأخرى — قائمة بذاتها تابعة لديوان الجهادية . وهكذا ترى أن من أهم القواعد التي قام عليها التنظيم الجديد جمع كل من المدارس المدنية (الملكية) والحربية في مؤسسة واحدة ، وتتبع الأولى ديوان المدارس والأخرى ديوان الجهادية . وستكون هذه القاعدة من الأسس التي سيتمسك بها على مبارك حين يصبح مديراً للمدارس في عهد اسماعيل .

الفصل الثانى

الادارة التعليميـــــة

ديوان المـــدارس

لم يشأ عباس باشا أن يدخل تغييرات خطيرة على النظام الادارى الذى وضعه محمد على : نظام الدواوين والمجالس ، وفوق هذه الدواوين والمجالس إرادة « الجناب العالى » . ومن هـذه الدواوين ديوان المدارس ، احتفظ به عباس . فظل الديوان — كما كان منذ أنشىء فى سنة ١٨٣٧ (١) — الادارة المهيمنة على شئون التعليم والمدارس الحكومية . وليس من شك فى أن اختصاص الديوان (الفنى) أو (التعليمى) قد أصبح — على أثر إلغاء أكثر المدارس — محدودا ، فقد كان هذا الديوان يشرف — فى حكم محمد على — على عدد من المدارس والمكاتب الابتدائية فى القاهرة والأقاليم وعلى عدد آخر من المدارس التجهيزية والخصوصيـة فى القاهرة والاسكندرية ، وعلى الرغم ممـا أصاب التعليم فى سنة ١٨٤٠ — ١٨٤١ من التحديد أو التنظيم — إن شئت — (٢) فقد ظل ديوان المدارس

---

(١) انظر فى إنشاء ديوان المدارس كتابنا : تاريخ التعليم فى عصر محمد على ص ١٠٣ — ١٠٥ .

(٢) انظر المصدر السابق ص ١٢٣ — ١٣٦ .

قائما له من نشاطه المتسع ما يجعل له خطره بين الدواوين والمجالس .

وقد رأيت أن عباسا لم يشأ — على أثر توليه — أن يدخل انقلاباً فى التعليم ومعاهده ، فاحتفظ بأكثرها واحتفظ لها بديوانها ، وقنع — فى لائحة ١٣ شعبان ١٢٦٥ — باقتصاد مبلغ ليس بالقليل من ميزانيتها .

ولكن عباسا بدأ عهده مع ديوان المدارس بالوعيد والتهديد . وقد رأيت تهديده بإلغاء الديوان لما امتحن بعض المهندسين وقدر جهلهم .

ومضى عباس ينفذ سياسته فى التعليم دون إشراك لرجال ديوان المدارس ، ولم يعد ديوان المدارس يشرف إلا على معهدين اثنين : هما مدرسة المهندسخانة بأقسامها الثلاثة ومدرسة الطب وما يلحق بها . وانتزعت الحكومة التعليم العسكرى وما يعد له من اختصاص ديوان المدارس وجعلته للجهادية . وحتى المهندسخانة كان لها من إدارة ناظرها الطموح « على مبارك » صاحب الحظوة لدى « الدولة » الجديدة ، دولة عباس ورجاله ما يهيء لها قسطا كبيرا من الاستقلال . أما مدرسة الطب — وقد فقدت جانبا كبير من تقاليدها التى وضعها لها مؤسسها الأول « كلوت بك » — فقد مضت تتأرجح بين ألوان من الثقافات الأوروبية توحى بها أهواء الوالى وحاشيته ولم يكن لديوان المدارس فى توجيهها نصيب . وحسبك أن اللوائح التى وضعت فى سنة ١٨٤٩ والتى نظمت التعليم طوال حكم عباس ، وضعت فى خارج ديوان المدارس ، وضعها أولا لامبير بك ثم على مبارك بك ، بل لقد بلغ من تحرج الديوان أن أبى مديره أن يتقدم بها إلى الوالى مؤثراً أن يتقدم بها واضعوها بأنفسهم[1] . وكذلك لا نكاد

---

(١) دفتر ٢١٢٤ (مدارس ترکی) ص ١٣١ رقم ٥٢ الى مدرسة المهندسخانة فى ١٩ جمادى الأولى ١٢٦٦ .

نحس أثر الديوان فى وضع مناهج الدراسة بالمعاهد التابعة له ، أو بعبارة أخرى اقتصر عمله الفنى أو التعليمى على دائرة جد محدودة .

على أنا لا ننسى أن ديوان المدارس قد ورث عن الحكم الماضى إرثاً عظيما عمل جاهداً على الاحتفاظ به : هذا الارث هو تلك النزعة إلى المركزية الشديدة فى تسيير الشئون ، وقد كانت عماد نظام محمد على الادارى ، وقد بلغ من شدة تلك النزعة المركزية أن الديوان كان يأمر بأن لا يلحق تلميذ بالمدارس أو يفصل منها إلا بعد أن يؤتى به إلى الديوان ليراه رجاله ويكشف عنه طبيبه [٢] وإلا تعرض ناظر المدرسة للعقاب [٣] ، بل لقد أراد الديوان أحيانا أن يستوثق من صحة نتائج الامتحانات التى أجرتها المدارس فأعاد اختبار تلامذتها بحضور مديره [٤] ، ورغب مرة فى أن يكشف عن قدرة التلامذة والمعلمين فى (الخط) فكتب إلى المهندسخانة لتبعث اليه بنماذج من (خطوطهم) [٥] ، هذا عدا ما احتفظ به الديوان — فى الناحية الادارية — من تعيين الموظفين على اختلاف مراتبهم وتأديبهم . . . . الخ ، ونقل التلامذة من فرقة إلى أخرى ومن مدرسة إلى أخرى وتوقيع العقوبات والتحرج عن صرف أى قدر من المال إلا باذنه . والمتتبع لأعمال ديوان المدارس فى حكم عباس — كما تبدو من سجلاته —

(٢) دفتر ١٥٤ (مدارس عربى) ص ٢٠٩ رقم ٥٦٧ الى المهندسخانة فى ١٣ شعبان ١٢٦٦ ودفتر ١٥٧ (مدارس عربى) ص ٣٤٠٣ رقم ٢٦٣ الى مدرسة الطب البشرى فى ٣٠ ذى القعدة ١٢٦٦ .

(٣) دفتر ٣٩٣ (مدارس عربى) ص ٤٦٤٢ رقم ٧٨٣ الى المهندسخانة فى ١٨ ذى القعدة ١٢٧٠ .

(٤) دفتر ١٦٨ (مدارس عربى) ص ٨٠ رقم ٦ الى مشورة الأطباء فى ٢ ذى القعدة ١٢٦٦

(٥) دفتر ٣٠٤ (مدارس عربى) ص ٢٤٠٥ رقم ٤٧٣ الى المهندسخانة فى ١٧ جمادى الثانية ١٢٧٠ .

يدرك لأول وهلة كيف طغت الأعمال (الادارية) على نشاط الديوان طغياناً تاماً، فكان هذا من أوضح أضرار النظام المركزي .

ولكن ديوان المدارس كان يتصرف في هذه المسائل وأشباهها في حدود (أبعاديته) أو ميزانيته . أما مازاد على ذلك فالبت فيه من اختصاص (مجلس الأحكام) [1] وكان أعلى هيئة إدارية في حكم عباس .

على أن ديوان المدارس قد استعاض عن هذا النشاط التعليمي المحدود بنشاط ملحوظ في ميدان آخر اضطر إليه اضطرارا ، فتحمله ضيقاً به راغباً عنه ، لأنه لم يكن يتصل بما ينبغي أن يقتصر عليه ديوان المدارس من شئون العلم والتعليم : هو ميدان العمل في الأبنية والعمائر . وقد اجتاز ديوان المدارس مثل هذه (المحنة) أول حياته في سنة ١٨٣٧ حين أثقلته حكومة محمد على بشئون الكتبخانات والمعامل والمتاحف وقناطر الدلتا ومطبعة بولاق والوقائع المصرية وشئون الهندسة واسطبلات شبرا والرواتب حينا وورشة آلات الجراحة والأجزخانات والمساقى والحدائق وغيرها حيناً آخر . على أن ديوان المدارس قد حرص على أن يتخفف من أكثر هذه (الفروع) حتى استقام له الأمر في أواخر حكم محمد على ، فأصبح لايتبعه — عدا المدارس والمكاتب — سوى المطبعة والكتبخانة والقناطر [2] .

---

(١) دفتر ١٤٢ (مدارس عربى) ص ٤٧٠ رقم ٤٧ الى مجلس الأحكام فى ٢٩ ذى الحجة ١٢٦٥ ودفتر ١٤٤ (مدارس عربى) ص ٨٣٤ رقم ٧٤ الى مجلس الاحكام فى ٢٧ المحرم ١٢٦٦ — انظر ترتيب مجلس الأحكام فى كتاب (المحاماة) لفتحى زغلول ص ٦٣ وما بعدها (ملحقات) .

(٢) تاريخ التعليم فى عصر محمد على للمؤلف ص ١٠٧ و ١٠٨

أما عباس فقد ألحق منذ أول حكمه ديوان الأبنية وما يتبعه من مصلحة الجيارة وأقسام العمارات بديوان المدارس [١] واستغرقت شئون البناء أكثر عمل الديوان، ذلك لأن عباساً كان كلفاً ببناء القصور فى جهات متفرقة، فكانت له قصور فى بنها والعباسية والطور وطريق السويس وغيرها. حتى إذا تصفحنا سجلات (استحقاقات) ديوان المدارس وجدنا أكثر موظفيه من المهندسين ومن يتصل عملهم بالأبنية والعمائر، وكذلك المتصفح لسجلات الديوان يجد (أن الطوب والرمل والجير) وغيرها من مواد البناء قد (طغت) على شئون العلم والتعليم حتى لا تكاد تعثر منها على شىء فى صفحة وصفحات، ولهذا كان الديوان يدعى أحياناً (ديوان المدارس والأبنية) [٢].

ويلوح أن ديوان المدارس قد ضاق بهذا ذرعاً وحاول أن يتخفف منه ما استطاع إلى ذلك سبيلا، فكتب إلى المالية بأنه غير ملزم بأداء مصروفات العمائر أو تنظيم شئونها الكتابية والحسابية [٣] وأن ليس عليه سوى الاشراف عليها من الناحية الفنية الهندسية [٤] وكان هذا الأمر موضع جدل طويل بين ديوانى المدارس والمالية. ولما بدىء بأنشاء الخط الحديدى بين القاهرة والاسكندرية طلب عباس إلى مدير المدارس، أن يفتح

---

(١) دفتر ١٨٥ (مدارس عربى) ص١٤ ٣٤ رقم ٢٦٥٥ الى محاسبجى بك فى ٣ ذى القعدة ١٢٦٧

(٢) دفتر ١٦٨ (مدارس عربى) ص ٩٧، رقم ٥٧ الى المالية فى ١٧ ذى القعدة ١٢٦٦

(٣) دفتر ٢٥٤ (مدارس عربى) ص ٣٤٠٩ رقم ٨٥١ الى المالية فى ١٠ جمادى الاولى ١٢٦٩

(٤) دفتر ١٨٣ (مدارس عربى) ص ٣٠٧٦ رقم ٢٤٤٠ إلى محاسبجى بك فى ٢٠ رمضان ١٢٦٧

عينيه لأشغال السكة وإلا فإنه هو يفتحهما له »[1] ؟

ولم يستطع ديوان المدارس أن يتخلص من شئون البناء والعمارة حتى انتهى حكم عباس الأول ووضع سعيد باشا حداً لهذا كله ، فألغى ديوان المدارس جملة . والراجح أن قيام ديوان المدارس على شئون البناء والعمارة كان أهم مادعا حكومة عباس باشا إلى الاحتفاظ به ، فلما تولى سعيد وتخلص من هذه الشئون لم يجد مبررا لبقاء الديوان فألغاه .

فروع ديوان المدارس

في (الترتيب) الصادر في ١٣ شعبان ١٢٦٥ (يونيه ١٨٤٩) أحيل ديوان عموم الأبنية وفروعه على ديوان المدارس وكان من قبل تابعا (للخزينة الخديوية) فلما ألحقت الخزينة بالمالية أحيلت الأبنية على المدارس[2] . ولكن ديوان الأبنية — بعد ضمه إلى ديوان المدارس — احتفظ في أول الأمر بموظفيه وحساباته وسجلاته ، وكان ذلك مدعاة للاضطراب والتبذير ، مما دعا إلى عقد لجنة بديوان المدارس للنظر في هذا الأمر ، فقر رأيها على إلغاء (ديوان) الأبنية وضم أعماله جملة إلى ديوان المدارس ، وصدر بذلك أمر مجلس الأحكام في ١٤ جمادى الأولى سنة ١٢٧٠ (فبراير ١٨٥٤)[3] .

(١) حفظة ٤ (مدارس) رقم ٩١ أمر إلى مدير المدارس في غاية المحرم ١٢٦٨ .

(٢) دفتر ١٨٢ (مدارس عربي) ص ٢٩٦٨ رقم ١٢٦٣ إلى المالية في ٧ رمضان ١٢٦٧

(٣) دفتر ٣٠١ (مدارس عربي) ص ١٨٥٨ رقم ٦٧٦ إلى المالية في ١٧ جمادى الأولى ١٢٧٠ .

وفى سنة ١٢٦٦ (١٨٤٩ — ١٨٥٠) كانت (فروع) ديوان المدارس كما يلى [١] :

(ا) جهات لها حسابات خاصة بها : المطبعة . جبل المرمر . المحصورة (العباسية) .

(ب) جهات ليس لها حسابات خاصة بها : مدرسة المهندسخانة . مدرسة الطب البشرى . مخزن مهمات الأبنية . مطبعة الديوان الخديوى . قسم عمارات القلعة . مخزن المدارس . مخزن الأخشاب . مخزن قسم بولاق . قسم شبرا . قسم عمارات المحروسة . الكتبخانة [٢] . البركة (يقصد حديقة الأزبكية) . مصلحة العربخانة . السواقى . قسم مصر القديمة . الجيارة .

وفى سنة ١٢٦٩ (١٨٥٢ — ١٨٥٣) زيد على هذه الفروع : عمارة بنها وعمارة وابور باسوس . وفى العام التالى (قبل إلغاء الديوان ببضعة شهور) بطل العمل فى (العباسية) والسواقى وقسم شبرا وألغى مخزن المدارس [٣] ، وأصبحت الفروع التابعة لديوان المدارس ستة عشر (فرعا) [٤] .

أقسام الديوان

قسمت اللجنة التى عهد إليها تنظيم التعليم فى سنة ١٨٤١ (١٢٥٧هـ) العمل بديوان المدارس على أقلام ثلاثة : القلم العربى والقلم التركى وقلم الهندسة . وظل هذا التقسيم قائما إلى نهاية عصر محمد على مع تغييرات اقتضاها حسن توزيع العمل [٥] .

---

(١) دفتر ١٦٨ (مدارس عربى) ص ١٥٢ رقم ٢١ إلى الحسابات فى ١١ ذى القعدة ١٢٦٦ .

(٢) لم تكن الكتبخانة داراً للكتب بمعناها المعروف وإنما كانت داراً لبيع الكتب .

(٣) دفتر ٢٩٣ (مدارس عربى) ص ٢٤٠ رقم ١٩ إلى المطبعة فى ١٤ ذى الحجة ١٢٦٩

(٤) دفتر ٣٢٥ (مدارس عربى) ص ٩ رقم ٥ إلى المطبعة فى ١٧ ذى الحجة ١٢٧٠ .

(٥) تاريخ التعليم فى عصر محمد على — للمؤلف ص ١١٠

وتشير سجلات الديوان فى عهد عباس إلى الأقلام التالية [١] :

(١) قلم الهندسة : وناظره حماد افندى عبد العاطى [٢] زميل على مبارك فى البعثة إلى فرنسا ، وفى أوائل حكم سعيد كان ناظر هذا القلم « اليوزباشى سلامه افندى » وقد التمس مدير الديوان ترقيته [٣] .

(٢) قلم تركى ومحاسبة أو قلم تركى وخزينة : وناظره « قائمقام على علوى أفندى » وقد خدم فى ديوان المدارس منذ إنشائه ، وأنعم عليه برتبة القائمقام فى سنة ١٢٦٣ ، وقد التمس مدير الديوان ترقيته فى أوائل حكم سعيد [٤] . وكان قلم المحاسبة يدعى أحياناً « ورشة الحسابات » [٥] . وفى أواخر عهد الديوان كانت هناك وظيفة « مفتش حسابات المدارس » وكانت موكولة إلى « محمد عصمت أفندى » [٦] وكان من قبل معاونا بالديوان .

---

(١) وهذه السجلات هى سجلات الاستحقاقات (بالقلعة) وسجلات (القيودات) و (المحافظ) بعابدين .

(٢) دفتر ١٧٢ (مدارس عربى) ص ٨٤٣ رقم ٥٦٠ الى حماد افندى ناظر قلم هندسة فى ٢٢ المحرم ١٢٦٧

(٣) محفظة ٤ (معية تركى) رقم ٣٨٦ من مدير الديوان الى كاتب ديوان الخديو فى ١١ صفر ١٢٧١ .

(٤) دفتر ١٨٢ (مدارس عربى) ص ٢٨٠٢ رقم ١٢٠٠ الى المالية فى ١٦ شعبان ١٢٦٧ ودفتر ٣١٢ (مدارس عربى) ص ٤٤٩٧ رقم ٢٤٣٥ الى ناظر قلم تركى ومحاسبة فى ٢٨ شوال ١٢٧٠ ومحفظة ٤ (معية تركى) رقم ٣٨٦ من مدير الديوان الى كاتب ديوان الخديو فى ١١ صفر ١٢٧١ — وكان هذا القلم يدعى أحيانا قلم الخزينة وقلم تركى .

(٥) دفتر ١٧٠ (مدارس عربى) ص ٤٠٩ رقم ١٢٦ الى المطبعة فى ٧ ذى الحجة ١٢٦٦

(٦) دفتر ٣٣٣ (مدارس عربى) ص ١٩٦ رقم ١٤٩ من المالية فى ٣ صفر ١٢٧١

(٣) قلم تحريرات المدارس : وناظره « مصطفى افندى عبد العزيز » [١] وكان يدعى كذلك « القلم العربى » . وكان ناظره فى أوائل حكم سعيد الصاغقول محمد بهجت افندى ، وقد التمس مدير الديوان ترقيته فى أوائل حكم سعيد [٢] .

(٤) قلم المشتريات [٣] : وكان يشرف على شراء الأدوات والمواد اللازمة للمدارس والعمائر ، وكان يضم أحيانا الى قلم (تركى وخزينة) .

ولكل قلم ناظر ورئيس (أو خليفة) وعدد من الموظفين .

على أن هناك قلمين هامين يكادان يستقلان فى طبيعة عملهما عن ديوان المدارس وإن كانا يتبعانه ويمتان اليه بأقوى الصلات : وهما قلم الترجمة ، وسنتكلم عليه عند الكلام على مدرسة الألسن ، وقلم الوقائع .

قلم الوقائع

منذ أنشئت صحيفة الوقائع المصرية فى سنة ١٢٤٤ (١٨٢٨) جعلت تابعة لديوان المدارس ، فأنشئ لها بالديوان قلم خاص يشرف على جميع شئونها من تحرير وتوزيع وحساب .

وفى الأيام الأخيرة من حياة إبراهيم باشا أنشئ قلم جديد للترجمة بالقلعة ، وأحيلت

---

(١) دفتر ٢٠٢ (مدارس عربى) ص ١٠٩٠ رقم ٤٨٤ الى الحسابات فى ٢٩ ربيع الأول ١٢٦٨ .

(٢) محفظ ٤ (معية تركى) رقم ٣٨٦ من مدير الديوان الى كاتب ديوان الخديو فى ١١ صفر ١٢٧١

(٣) دفتر ٢٨٢ (مدارس عربى) ص ١٧٩٨ رقم ٢٦٥ من مدرسة الطب البشرى فى ١٧ جمادى الأولى ١٢٦٩

عليه شئون الوقائع المصرية [١]، وكتب الديوان إلى مختلف المصالح والدواوين يبلغها أن المسائل التي تستحق النشر في الوقائع ترسل أولا بأول إلى قلم الترجمة [٢].

ولكن مدرسة الألسن مالبثت أن طالبت ديوان المدارس بإعادة مترجمي القسم العربي (أي الذين يقومون بالترجمة من الفرنسية إلى العربية) من قلم الترجمة إلى مكانهم الأول بمدرسة الألسن ، فوافق الديوان . وكذلك أعيد قلم الوقائع إلى مكانه السابق بالديوان [٣].

وعين ديوان المدارس موظفا يطوف بالدواوين ليجمع الحوادث والمسائل التي يراها جديرة بالنشر [٤]، وكتب إلى الدواوين طالبا أن « تضبط كافة مايحدث بطرفهم اللايق درجه بالوقائع المصرية من الأمور والمصالح حتى يرد لهم الأفندي المعين لتدارك وجلب الحوادث من الجهات ..... حتى لايصير دخول الوقائع في سلك التأخير ويكون نشرها بأوقاتها حسب الأصول » [٥].

أما تحرير الوقائع وتصحيحها فكانا عالين على مصححي مطبعة بولاق [٦].

---

(١) تاريخ التعليم في عصر محمد علي : للمؤلف ص ٣٤٤

(٢) دفتر ١٣٦ (مدارس عربي) ص ٨٦٣ رقم ١٥٤ الى مدرسة الطب البشري في ٢٦ جمادى الأولى ١٢٦٤

(٣) دفتر ١٢٩ (مدارس عربي) ص ٩٧٧ رقم ٢٧١ الى مدرسة الألسن في ١٨ المحرم ١٢٦٥ ودفتر ١٤١ (مدارس عربي) ص ٢٣٦ رقم ٧٧ الى قلم الحسابات في ١٩ ذي القعدة ١٢٦٥

(٤) دفتر ١٥٤ (مدارس عربي) ص ٢٧٨٧ رقم ٧٦٩ الى الجهادية في ١٠ شعبان ١٢٦٦

(٥) دفتر ١٧٦ (مدارس عربي) ص ١٦٣٨ رقم ٦٩٣ الى المالية في ٢١٤ ربيع الثاني ١٢٦٧

(٦) دفتر ١٥٩ (مدارس عربي) ص ٣١١ رقم ١٨٤ من المطبعة في ١٣ المحرم ١٢٦٦

وعــــدا هذه الأقلام كان بديوان المدارس ، ورشتان ، أي إدارتان للحسابات : وهما ورشة الاستحقاقات (أي الماهيات) وورشة العمارات والعهد والتشغيل [1] .

مدير ديوان المدارس

تولى عباس الأول في نوفمبر ١٨٤٨ (٢٧ ذى الحجة ١٢٦٤) وكان على رأس ديوان المدارس ، إبراهيم أدهم باشا ، فأبقاه في منصبه . وقد قيل إن عباسا كان منذ حداثته يميل إلى أدهم ، وإلى عباس يرجع الفضل في أن عفا محمد على عن أدهم — على أثر إعادته إلى مصر من انجلترا مغضوبا عليه — وعينه مديرا لديوان المدارس [2] . وقد شغل أدهم هذا المنصب منذ وفاة مصطفى مختار بك أول مدير لديوان المدارس

ـــ ومن هؤلاء المصححين : الشيخ محمد المرصفى والشيخ محمد قطه العدوى (دفتر ٢٤٣ مدارس عربى ص ١٣٨٥ رقم ٢٤٢ الى الحسابات فى ٨ صفر ١٢٦٨) والسيد محمد شهاب الدين أفندى (الباشمصحح) والشيخ محمد نجا (دفتر ٢٤٦ مدارس عربى ص ١٨٩٢ رقم ٣٢٧ الى المطبعة فى غاية صفر ١٢٦٩) والشيخ سليمان السباعى والشيخ سليمان العدوى (الباشمصحح) دفتر ١٦٠ مدارس عربى ص ٤٣٠ رقم ٣١١ من المطبعة فى غاية المحرم ١٢٦٦

وكانت الوقائع المصرية توزع (اجباريا) ويخصم ثمنها من كل موظف مصرى أو غير مصرى يبلغ مرتبه ألف قرش أو يزيد عليه (دفتر ١٤٩ مدارس عربى ص ٣٢٧ رقم ٥ الى مديرية المنوفية فى ٢٠ ذى الحجة ١٢٦٥) ثم صدر أمر المالية بأن الوقائع لاترتب إلا للحائزين رتبة الامير الاى وما فوقها ، أما من دون ذلك فلا ترتب له الوقائع إلا بحسب رغبته (دفتر ٢٥٣ مدارس عربى ص ٣٢٤٤ رقم ٦١١ الى الحسابات فى ٢٣ ربيع الثانى ١٢٦٩)

(١) انظر دفتر ١٦٢٩٩ (استحقاقات) بدار المحفوظات بالقلعة .

(٢) أمين باشا سامى : تقويم النيل ج ٢ ص ٤٩٥

فى مايو ١٨٣٩ حتى انفصل عنه فى مارس ١٨٤٩ ، وبذلك أتيحت للديوان — فى هذه السنوات العشر — إدارة متصلة خبيرة بشئون التعليم فى البلاد .

على أن أدهم باشا ما لبث أن ضاق ذرعا بخطة التهديد التى اتبعها عباس باشا بإزاء ديوان المدارس، وآثر أن ينجو بنفسه من ذلك الجو العاصف الذى لم يكن يتوقعه من الأمير الذى لمس عطفه من قبل . ولاشك فى أن أدهم كان يألم إذ يرى مشروعاته التعليمية التى كان قد بدأها فى حكم إبراهيم توقف بل يقضى عليها [١] ، وأعوانه (كرفاعه رافع وبيومى وغيرهما) يشتتون ، ولوائح جديدة توضع للتعليم ، لهذا كله اعتزل أدهم باشا منصبه فى ٢٤ مارس سنة ١٨٤٩ [٢] .

وتضرب أكثر المراجع صفحا عن المدير الذى خلفه . على أن الوثائق التى بين أيدينا تذكر « اسم كامل باشا يوسف » مديرا لديوان المدارس فى جمادى الثانية ورجب سنة ١٢٦٥ [٣] (مايو ١٨٤٩) . والدكتور سالم باشا سالم يذكر فى ترجمته لحياته [٤] أن ديوان المدارس كان بالأزبكية وناظره المرحوم كامل باشا [٥] .

ويبدو أن عباسا قد عاد إلى سابق عطفه على أدهم ، واستطاع إقناعه بالعودة إلى الديوان الذى قام على خدمته سنوات كثيرة . وكانت اللوائح الأولى التى صدرت فى

---

(١) انظر كتابنا : تاريخ التعليم فى عصر محمد على ص ١٤١-١٤٣ ؛ ٢٠٩-٢١٠

(٢) أمين باشا سامى : التعليم فى مصر ص ١٠٩

(٣) محفظة ٤ (جهادية) رقم ٢٨ أمر الى مدير الجهادية فى ١٣ جمادى الثانية ١٢٦٥ ورقم ٣٨ فى ٤ رجب ١٢٦٥ .

(٤) على باشا مبارك : الخطط التوفيقية م ٤ ج ١٣ ص ١٢٩

(٥) ولده « يوسف باشا كامل » صهر محمد على — أمين باشا سامى : تقويم النيل ٢ ج ٣ ص ٢٩

١٣ شعبان ١٢٦٥ (يونية ١٨٤٩) قد وضعت فى غيبة أدهم عن الديوان ، وألغيت مكاتب المبتديان بالأقاليم ، ورأى أدهم أن الأمر لايعدو اقتصاد بعض المصروفات . وحسبه أن معاهد الدراسة مايزال أكثرها قائما . لهذا قبل أدهم أن يعود مديرا لديوان المدارس فى ذى الحجة ١٢٦٥ (أكتوبر ١٨٤٩) [١] . وأراد عباس أن يظهر له عطفه عليه فنحه أرفع رتبة عسكرية ، وهى رتبة الميرميران ومرتبها (١٥٠٠ جنيه فى السنة) فى ٢٦ صفر ١٢٦٦ [٢] (ديسمبر ١٨٤٩) .

على أن أدهم باشا مالبث أن أدرك أن لوائح شعبان ١٢٦٥ لم تكن سوى مقدمة لما مابعدها ، ووجد أن الأمر أخطر مما كان يظن ، فان رجلا (مغمورا) قد بدأ نجمه فى التألق (وهو على مبارك) ، وقد عهد اليه عباس بوضع لوائح جديدة بعد أن رفض تلك التى وضعها (لامبير) صديق أدهم . وهذه اللوائح الجديدة تلغى أكثر المدارس وتحصر التعليم كله — فيما عدا مدرسة الطب والمدارس العسكرية — فى معهد واحد هو مدرسة المهندسخانة . أيقن أدهم أنه لايستطيع العمل فى ظل النظام الجديد الذى يراد فرضه على التعليم فى البلاد ، وأنه لا يستطيع أن يتحمل مسئولية تنفيذ نظام وضعه آخرون . أما عباس فقد أيقن كذلك أن من العبث أن يكل إلى أدهم تنفيذ النظام الجديد وأن من الخير أن يكل ذلك إلى رجل (غريب) عن ديوان المدارس .

وصدرت لائحة على مبارك فى ٢٤ جمادى الثانية ١٢٦٦ (ابريل ١٨٥٠) ووافق عباس باشا على تعيين (على مبارك بك) ناظرا على المهندسخانة ليشرف على تنفيذ

---

(١) محفظة ٤ (جهادية) رقم ٧٧ أمر الى مدير الجهادية فى ٢ ذى الحجة ١٢٦٥

(٢) دفتر ٤٦٨ (معية تركى) ص ١١٤ رقم ٦٢٣ أمر الى مدير المدارس فى ١٩ ربيع الاول ١٢٦٦ .

لائحته (١)، وبعد ذلك بيومين اثنين أصدر عباس باشا أمرا إلى (الكتخدا باشا) بفصل أدهم باشا من ديوان المدارس، مستندا إلى أنه بلغ من السن مبلغا لا يستطيع معه أن يقوم بما يتطلبه منصبه من « زيارة المعاهد والمدارس على الدوام وتفتيشها والفحص عن أحوالها وشئونها » وبتعيين عبدى شكرى بك الياور بالمعية مديرا لديوان المدارس « نظرا لكفاءته ودرايته »، مع توجيه رتبة اللواء اليه ومنحه مرتبها (٩١٠ جنيهات فى السنة) (٢) . وفى اليوم التالى (٢٧ جمادى الثانية) وجه عباس إلى أدهم خطابا خاصا يبلغه فيه إقالته من منصبه ويؤكد له حرصه على مودته. قال الوالى « إنكم وإن كنتم من رجال الدولة المخلصين والممتازين بالعلم والمعرفة، وقد أظهرتم الصدق والاستقامة فى جميع الوظائف التى قمتم بأدائها لغاية الآن وفقا للرغائب العالية، فإن سن الهرم سيحول دون استمراركم فى أداء الوظيفة، وحيث أن ديوان المدارس من الدوائر الجسيمة وأن المصلحة تقضى بأن يكون مديرها رجلا قوى الجسم سريع الحركة والتنقل، بناء عليه ونظرا لكونكم من قدماء الرجال المتحلين بالاستقامة والذين قاموا بأداء خدمات نافعة، فقد بدر إلى خاطرنا إعفاؤكم من مديرية ديوان المدارس وتعيينكم عضوا بمجلس الأحكام ». وفى ختام الكتاب طلب الأمير إلى صديقه القديم أن « يذكره دائما بالخير والبركة وبدوام الحضور لزيارته كسابق العهد » (٣) .

إلا أن (سن الهرم) لم تمنع عباسا نفسه من الاستفادة من (خبرة) أدهم باشا فى

---

(١) محفظة ٤ (مدارس) رقم ١٥ أمر الى مدير المدارس فى ٢٤ جمادى الآخرة ١٢٦٦ .

(٢) دفتر ٤٦٨ (معية تركى) ص ٢٢٥ رقم ١١٤٣ أمر الى الكتخدا باشا فى ٢٦ جمادى الثانية ١٢٦٦ .

(٣) دفتر ٤٦٨ (معية تركى) ص ١٢٢ رقم ١٣٥ أمر الى أدهم باشا فى ٢٧ جمادى الثانية ١٢٦٦ .

أعمال أخرى غير عضوية مجلس الأحكام . قيل إن أدهم باشا عين — فى وقت نقله من ديوان المدارس — مفتشاً للمهمات الحربية وناظر الأوقاف الحرمين الشريفين [١] . على أن الوثائق تتحدث عنه — بعد أربعة أشهر من انفصاله عن المدارس — ومديرا للتجارة والمبيعات بالاسكندرية » [٢]. كما أن شيخوخة أدهم لم تمنع سعيدا فى أول حكمه من أن يعين (الوزير) القديم مديرا لديوان الخارجية ومفتشا عاما المدارس ثم محافظا للقاهرة . كما أنها لم تمنع اسماعيل بعد ذلك من إعادته فى أوائل سنة ١٨٦٣ إلى منصبه القديم فى ديوان المدارس .

ومات إبراهيم أدهم باشا فى سنة ١٨٦٩ [٣] .

أما المدير الجديد لديوان المدارس — عبدى شكرى باشا — فقد كان من رجال الجيش . ذكر المغفور لهما أمين باشا سامى والأمير عمر طوسون [٤] وعنهما نقل الكتاب المحدثون [٥] أنه نجل حبيب أفندى مأمور الديوان الخديوى على عهد محمد على وأنه أرسل فى بعثة سنة ١٨٢٦ إلى فرنسا ودرس الإدارة المدنية ، ولما عاد إلى مصر عين ناظراً لمجلس الملكية ، ثم ترقى حتى عينه عباس باشا مديراً لديوان المدارس .

والواقع أن عبدى شكرى هذا نجل حبيب افندى قد توفى فى سنة ١٢٥٠ (١٨٣٤)

---

(١) على باشا مبارك : الخطط التوفيقية م ٣ ج ١٢ ص ٥ ومرمنك باشا : حقائق الاخبار ج ٢ ص ٢٦٢ .

(٢) محفظة ٤ (جهادية) رقم ١٩٥ أمر إلى مدير الجهادية فى غرة ذى الحجة ١٢٦٦

(٣) على باشا مبارك : الخطط التوفيقية م ٣ ج ١٢ ص ٦

(٤) البعثات العلمية ... ص ٣٤ — ٣٥

(٥) Dunne, op. cit. p. 292.

فى حياة أبيه [١] . أما « عبدى شكرى » الذى نحن بصدده فقد درس بمدرسة قصر العينى ثم تخرج فى مدرسة المدفعية بطرة وترق فى السلك العسكرى ، وفى عهد عباس عين قائمقام المفروزة ثم منح رتبة الأميرالاى وألحق بمعية الوالى ، ثم عين مديراً لديوان المدارس مع ترقيته إلى رتبة اللواء . وظل مديراً لديوان المدارس حتى ألغى الديوان فى ١٦ ديسمبر سنة ١٨٥٤ (١٠ ربيع الاول ١٢٧١) . وتقلبت الأحوال بعبدى شكرى : فعين مأموراً بضبطية مصر ثم فصل « بناء على كذبه وعدم ناموسه » ، ثم عين عضواً بمجلس استئناف مصر ، وأخيراً أحيل إلى المعاش فى رجب ١٢٨٢ (١٨٦٦) وتوفى فى ١٧ ديسمبر سنة ١٨٩٠ [٢] .

وكيل الديوان

بدأ حكم عباس الأول فى نوفمبر ١٨٤٨ ووكيل ديوان المدارس « القائمقام إبراهيم رأفت افندى » فأبقاه الوالى فى منصبه . وبعد قليل أنعم عليه برتبة الأميرالاى [٣] .

وقد شغل إبراهيم رأفت هذا المنصب من ١١ سبتمبر ١٨٤٨ فى عهد نظارة إبراهيم أدهم باشا للديوان وظل يشغله إلى نوفمبر ١٨٤٩ [٤] . ولم يكن رأفت غريباً عن المدارس : فقد قضى حياته الوظيفية متنقلا بين أقلام الديوان وإدارة المدارس ، كان معاونا بديوان المدارس ثم نقل وكيلا للمدرسة التجهيزية ثم ناظراً لها فى أوائل

---

(١) دفتر ٥٧ (معية تركى) رقم ٢٥٣ الى حبيب افندى فى ٤ جمادى الأولى ١٢٥٠ : محمد على يعزى حبيب افندى فى ابنه عبدى بك .

(٢) أخذنا هذه المعلومات من ملف معاش ورثة عبدى شكرى باشا بمحفوظات القلعة .

(٣) محفظة ٣ (مدارس) رقم ٢٦١ أمر الى مدير ديوان المدارس فى ٢٨ رجب ١٢٦٥

(٤) دفتر ١٦٢٩٩ (استحقاقات) بدار المحفوظات بالقلعة .

سنة ١٨٣٧ ، وكان وهو فى منصبه هذا يلقى دروسا فى الهندسة والجبر على الطلاب بطريقة حببته إليهم وأطلقت لسان على مبارك بالثناء عليه [١] .

حتى إذا أعيد تنظيم المدارس فى سنة ١٨٤١ وضمت المدرسة التجهيزية إلى مدرسة الألسن تحت إدارة رفاعه بك رافع الطهطاوى نقل إبراهيم بك رأفت ناظرا للقلم العربى بديوان المدارس . وظل به إلى أن عين وكيلا للديوان فى سبتمبر ١٨٤٨ [٢] .

وخلفه فى وكالة الديوان « القائمقام حسن أفندى » ، وقد ظل فى منصبه هذا من أول ديسمبر سنة١٨٤٩ إلى قبيل إلغاء الديوان فى عهد سعيد فى ١٠ ديسمبر ١٨٥٤ [٣]. وبذلك عمل تحت نظارة أدهم باشا ثم عبدى باشا للديوان .

وقد حاز حسن أفندى ثقة عبدى باشا ، فكتب قبل إلغاء الديوان ملحاً بترقيته إلى رتبة الأميرالاى كأسلافه وكلاء الديوان ، « وهو يعمل منذ ست سنوات ويؤدى الخدمات الأميرية المفروضة عليـــه بعبودية وينجزها فى أوانها بالصدق وحسن الاستقامة » [٤] .

موظفو الديوان

ويعاون المدير والوكيـل فى سائر مايطلب منهم أداؤه — عدا نظار الأقلام — « معاونو الديوان » . وقد قلنا عنهم فى عصر محمد على إنهم عيون الديوان التى ينظر بها فى

---

(١) على باشا مبارك : الخطط التوفيقية م ٣ ج ٩ ص ٣٨

(٢) تاريخ التعليم فى عصر محمد على للمؤلف ص ١١٠ و ٢٣٥

(٣) أمين باشا سامى : التعليم فى مصر ص ١٠٩ ودفتر ١٦٣٠١ (المحفوظات) بالقلعة .

(٤) محفظة ٤ (معية تركى) رقم ٣٩٤ من مدير المدارس الى كاتب الديوان الخديوى فى ١٠ صفر ١٢٧١

المؤسسات التابعة له ، وكانوا حلقة الاتصال بين الادارة المركزية في الديوان وفروعه [1].
على أن مهام المعاونين أخذت تنحصر في الشئون الادارية البحتة ، وأخصها شراء الأدوات والمواد اللازمة للمدارس والأبنية وتحقيق بعض القضايا وجرد المخازن .. الخ [2]

أما العمل الكتابي بالديوان فيقوم به الكتبة المختصون في سائر الأقلام ، ويرأسهم « باشكاتب الديوان » . أما الأعمال الحسابية فيشرف عليها « ريس الحسابات » ، ويبدو أن هاتين الوظيفتين أصبحتا وظيفة واحدة ، يتقلدها موظف واحد كان يدعى أحيانا « باشكاتب وريس محلة المدارس » [3] .

وكانت « مواد الكتابة والكتاب » في سائر الدواوين يرأسها موظف كبير يلقب « بمحاسبجي بيك » « أو محاسبجي مصر » [4] .

وقد أدى الاغراق في بناء القصور وغيرها إلى اتساع العمل بالديوان [5] ، فوضع الباشكاتب « ترتيبا جديدا » عن « كتاب عموم وفروع الديوان » بلغت به الزيادة عن

---

(١) تاريخ التعليم في عصر محمد علي للمؤلف ص ١١٦ — ١١٧

(٢) نذكر من هؤلاء المعاونين : محمد أمين . أبو السعود . مصطفى خلوصي . سليمان افندي . سليم افندي . عبد الله السيد . عبد القادر افندي . حسن المصري . محمد عصمت . حسين عبد الحليم . حسين شاكي .

(٣) دفتر ٢٤٣ (مدارس عربي) ص ١٢١٧ رقم ١٠ الى محاسبجي مصر في ٢٢ صفر ١٢٦٩ — وقد شغل هذا المنصب على التوالي المعلم غالي منصور . الشيخ محمد طه . الشيخ ابراهيم عمران . الشيخ صالح محمد .

(٤) دفتر ١٨٥ (مدارس عربي) ص ٣٤١٤ رقم ٢٦٥٥ الى محاسبجي بيك في ٣ ذي القعدة ١٢٦٧

(٥) دفتر ٢١٩ (مدارس عربي) ص ٤٣٨٧ رقم ٣٧٣١ الى محاسبجي مصر في ٨ ذي القعدة ١٢٦٨

ترتيب شعبان ١٢٦٥ مبلغاً زهيداً [١] وزيد عدد الخدم من ١٨ إلى ٢٣ خادماً [٢] .

أما الخدمة الصحية بالديوان وفروعه فقد عهد بها إلى طبيب خاص للديوان يقوم على فحص التلاميذ الجدد والموظفين المرضى [٣] .

وقد اقتضى عمل الديوان فى الأبنية والمشتريات . . . الخ تعيين «سماسرة» للديوان ، وكان الديوان يطلب تعيينهم من «سر تجار المحروسة» بعد الضمانة عليهم بمجلس التجار» [٤] ، على أن يكونوا «ذوى لياقة ومفهومية» [٥] .

مكاتب الديوان

كان الديوان أول إنشائه — فى سنة ١٨٣٧ — فى قصر الدفتردار بالأزبكية وبق

---

(١) دفتر ٢٤٢ (مدارس عربى) ص ١٣١٧ رقم ١٠ إلى محاسبجى مصر فى ٢٢ صفر ١٢٦٩

(٢) دفتر ١٦٢ (مدارس عربى) ص ٧٩٢ رقم ٧٦ من المعية فى ١٤ محرم ١٢٦٦ ودفتر ٢١١ (مدارس عربى) ص ٢٨٦٧ رقم ١٢٥٤ الى المالية فى ٢٣ رجب ١٢٦٨

(٣) وقد شغل هذا المنصب سنوات طويلة «مسيو أوزير» وقد فصل فى سنة ١٢٧٠ لمرضه ورغبته الاقامة فى أوروبا - دفتر ٣٠٥ (مدارس عربى) ص ٣٦٣٤ رقم ١٦ الى شوراى الأطباء فى ٧ رجب ١٢٧٠ - ثم عين فى وظيفته مؤقتا «زهران افندى» طبيب المهندسخانة (دفتر ٣٠٩ مدارس عربى ص ٣٦٠٥ رقم ٦٦٢ الى المهندسخانة فى رمضان ١٢٧٠) حتى نقل الدكتور أنطونيو كولنتى حكيمباشى اسبتالية البحرية طبيبا بديوان المدارس (دفتر ٣٣٨ (مدارس عربى) ص ١٨٥ رقم ١٩٢ من ديوان الجهادية فى ١٣ صفر ١٢٧١)

(٤) دفتر ١٧١ (مدارس عربى) ص ٦٧٢ رقم ٤٥٨ الى سر تجار المحروسة فى ٦ المحرم ١٢٦٧

(٥) دفتر ١٥٣ (مدارس عربى) ص ٢٧٢٢ رقم ٢٠٣٨ فى ٥ شعبان ١٢٦٦

به تسع سنوات ، وفى جناح منه كانت مدرسة الألسن وقلم الترجمة ، حتى ضاق المكان فبنى للديوان بناء جديد بالناصرية يجاور مدرسة المبتديان ونقل إليه فى سنة ١٨٤٥ . وظل ديوان المدارس بالناصرية نحو خمسة أعوام ونصف عام [١] ، نقل بعدها إلى « دائرة السلحدار بالقلعة » [٢] ، وجعل بناء الديوان بالناصرية ومدرسة المبتديان داراً للضيافة (مسافرخانة) [٣] .

---

(١) تاريخ التعليم فى عصر محمد على للمؤلف ص ١١٨ — ١١٩

(٢) دفتر ٢٩٣٢ (مدارس تركى) ص ٥٢ فى ٦ المحرم ١٢٦٦

(٣) دفتر ١٦١ (مدارس عربى) ص ٧٣١ رقم ٢٤٦ من ديوان كتخدا فى غرة ربيع الثانى ١٢٦٦

الفصل الثالث

معاهد الدراسة

المدارس الملغاة

مكاتب المبتديان بالأقاليم

يرجع إنشاء المكاتب الابتدائية بالأقاليم إلى أوائل سنة ١٨٣٣ ، وقد توسعت حكومة محمد على فى إنشائها حتى بلغ عددها فى ثلاث سنين سبعة وستين مكتبا[1] . أما الغرض من إنشائها فقد وصفه محمد على بأنه « تعليم وتثقيف أبناء العباد »[2] .

وبذلك كانت هذه المكاتب أولى المؤسسات التعليمية التى تنشئها الحكومة فى عواصم الأقاليم وقراها . فلأول مرة فى تاريخ مصر الحديث نرى التعليم « الحكومى » يتغلغل فى قرى مصر يحمل إلى أهلها تعليما أوليا بسيطا كانوا فى أشد الحاجة إليه ، على أنا يجب ألا ننسى أنه إلى جانب هذه المكاتب (الأميرية) كانت تقوم المكاتب (الأهلية) البعيدة عن سلطان الحكومة ورقابتها ، ولاشك فى أن عددها كان أكبر من مكاتب

---

(١) تاريخ التعليم فى عصر محمد على للمؤلف . انظر عن مكاتب المبتديان الفصول الثلاثة الأولى من الكتاب الثالث .

(٢) دفتر ٥٨ (معية تركى) رقم ٥٩٢ الى محرم أغا فى ١٩ ذى القعدة ١٢٤٩

الحكومة ، وكانت أشد قدرة على اجتذاب الأطفال وإن كانت أضعف منها مورداً وعلما .

حتى إذا كانت سنة ١٨٣٦ — ١٨٣٧ اعتزمت حكومة محمد على أن تسلك مكاتبها الابتدائية جميعاً في سلك واحد وأن تربط ما بينها وبين مراحل التعليم الأخرى ، فوضعت لائحة للتعليم الابتدائي ، نصت المادة الأولى منها ، على أن المراد من مدارس المبتدئين تحضير التلاميذ وتهيئتهم إلى مدرسة التجهيز ونشر مبادىء العلوم للأهالى » . وجرت المادة الثانية بأن يكون عدد المدارس الابتدائية خمسين مدرسة بالقاهرة والاسكندرية والمدن الرئيسية بالأقاليم .

ثم تناقص عددها حتى أصبحت ثمانية وثلاثين مكتباً في سنة ١٨٤٠ ، كان نصيبها جميعاً الإلغاء في الترتيب الأول الذى وضع في سنة ١٨٤١ ، ثم أعيد افتتاح أربعة منها في الترتيب الثاني في هـــذا العام أيضاً لتعد — مع مدرستي المبتديان بالقاهرة والاسكندرية — تلاميذ للمدرسة التجهيزية .

وعلى الرغم من أن قلة عدد مكاتب الأقاليم قد مكّن الحكومة من أن تحسن القيام على شأنها بتزويدها بالرجال الصالحين والأدوات الصالحة ، على الرغم من هذا فإن حكومة عباس لم تشأ أن تمد لها في فرصة الاصلاح ، ولم تشأ أن تتخذ منها نواة صالحة لتعليم أولى — ابتدائى في الأقاليم ، ولم تعد هذه الفكرة إلى الظهور إلا على يد اسماعيل ، بعد ذلك باثنى عشر عاما .

ولى عباس الحكم ومكاتب المبتديان قائمة في بوش وأسيوط والزقازيق وأبى زعبل ، والعمل جار لتنفيذ الأمر العالى الذى صدر في أوائل سنة ١٢٦٣ (١٨٤٧ م) بإنشاء مكاتب (الملة) في كل قسم من أقسام القاهرة الثمانية « حسب الأصول الحديثة

المرعية فى أوربا ، مع الاستعانة بغلة وقف الحرمين ، وقد أحيلت نظارة هذا الوقف إلى عهدة مدير ديوان المدارس [1] وأنشىء فعلا من هذه المكاتب « مكتب المظفر » [2] .

ولكن لم تمض شهور على تلك الحركة الفتية حتى عاجلها الفناء .

لم ينتظر عباس صدور لائحة شعبان ١٢٦٥ ، بل عاجل مكاتب الأقاليم بالالغاء فى الفترة التى اعتزل فيها أدهم باشا الديوان أول مرة ، بالأمر الذى أصدره فى ٤ جمادى الأولى سنة ١٢٦٥ [3] (مارس ١٨٤٩) : « بما أن مدرسة المبتديان الكائنة بالمحروسة وجدت الآن كافية لأداء مطلوب المدارس الميرية فصار الآن لالزوم لمكاتب المبتديان الكائنة بالأقاليم بطرف الميرى ، (أى على نفقة الحكومة) وصار مقتضى إبطالهم ، إلا أنه من كون لم يزل مقصود الإرادة العلية تعليم وتربية الأهالى وحسن تقدمهم واكتسابهم الرفاهية ، رؤى ألا يصير قطع وإزالة التعليم كلية من تلك المكاتب ، بل أن يصير رفت التلامذة والمستخدمين فقط من دفاتر الميرى ويصير إبقاء جميع الخوجات بالمكاتب المذكورة بمرتباتهم على طرف الميرى لأجل تعليم أولاد الأهالى الراغبين فى تعليم أولادهم بدون مقابل ، وجعل تلك المكاتب إلى الملة (يقصد جعلها أهلية) بدلا عن كونها ميرية ، وأن يصير فرش محلات الدروس بالحصر كالسابق من طرف الميرى (بعد أن كان قد استبدل بها مقاعد من خشب) ، ويصير إبقاء نفر فراش ونفر سقا فى كل مكتب لأجل نظافته وكنسه ورشه ، وإن كل من أراد تعليم ولده

---

(١) دفتر ١١٧ (مدارس عربى) ص٢١٨ رقم ٧ إلى الروزنامة فى ١٢ ذى القعدة ١٢٦٤

(٢) دفتر ١٢٩ (مدارس عربى) ص ٢٠١٦ رقم ٢٥٠ الى مدرسة المبتديان فى ١٢ جمادى الثانية ١٢٦٥

(٣) دفتر ١٢٨ (مدارس عربى) ص ١٧٤٨ رقم ٢٧٨ الى قلم الحسابات فى ٤ جمادى الأولى ١٢٦٥

من الأهالى فقيراً كان أو غنياً يحضر ولده إلى أحد المكاتب المذكورة يتعلم بدون مقابل ويحضر إلى المكتب صباحا ويتوجه لأهله مساء . وإذا أراد إخراجه من المكتب فلا يكون لأحد سبيل عليه . وحيث عرض ذلك للأعتاب الكرام وجد ذلك موافقا للإرادة العلية ، فتحرر لحضرات المديرين بما لزم عن ذلك ، وتحرر لنظار المكاتب الأربعة بأنه بوصول الأوامر يصير رفت جميع التلامذة والمستخدمين الكائنة بالمكاتب لغاية وصول الأوامر ، ويصير إشعار الديوان عن تاريخ الرفت ، وأن يصير تخلية سبيل التلامذة لأجل توجههم لأهلهم ، وأن يصير إرسال كشف إلى المديريات بمرتب جميع الخوجات وأحد الفراشين وأحد السقايين الذين يلزم إبقاهم بالمكتب لخدمته ونظافته لأجل قيدهم بموجبهم بالمديرية ، وأن يصير تسليم الحصر والألواح الموجودة بالمكاتب إلى الباشخوجات وأخذ السندات اللازمة عليهم ، وماعدا ذلك من مهمات الميرى يصير إحضارها مع النظار لأجل تسليمها لمدرسة الألسن ، ماعدا التعيين والطبالى والمنقولات التى لايجب جلبها لهذا الطرف يصير تسليمها بأشوان المديريات ويؤخذ بها السندات اللازمة ، وأن ملبوسات التلامذة السابق خصمها بالأبعادية (أى على ميزانية الديوان) لا تؤخذ منهم ، واستحقاقهم الباقى يصير إضافته جهات بحساب الشهر المفتوح حسابه ، وأن يصير حضور الكتاب مع النظار لهذا الطرف لأجل تقديم الحسابات المطلوبة للديوان » .

وكذلك كتب ديوان المدارس إلى المديريات بما تقدم ، وذكرها « بأن وجود هـــذه المدارس على الوجه المطلوب يتوقف على مبلغ عناية حكام المديريات التى تقوم فيها هذه المدارس ، وحيث أن من البداهة أن كل مدير مكلف بأمر تعليم وتثقيف أهالى مديريته فقد عرض على الجناب العالى إحالة إدارة مدارس الأقاليم على

المديرين لملاحظتها وتفقدها »[1] .

وهكذا اختفت مكاتب الأقاليم في ظلام الجهل والحرمان ، ولم نعد نسمع عنها شيئا ، وتخلت الحكومة عن واجب من أهم واجباتها في تعليم ناشئة البلاد .

مدرسة المبتديان بالقاهرة

كانت مدرسة المبتديان بالناصرية[2] من أكثر المدارس المصرية ازدهارا ، وكانت تعد نموذجا للمدارس الابتدائية الأخرى ، فكانت لهذا مركز « التجديد » في التعليم الابتدائي : إذ أنشئ بها قسم خارجي نستطيع أن نعد إنشاءه دليلا بارزا على نجاح المدرسة في اجتذاب طبقة من الأهالي لايريدون أن تتكلف الحكومة في تربية أبنائها ماتتكلفه لسائر الناس .

كما ألحق بها مكتب أنموذجي يسير على طريقة مستحدثة في تعليم الصبية : هي طريقة لانكستر الانجليزية ، ليكون نواة لتعميمها في المكاتب الابتدائية القائمة والمكاتب المزمع إنشاؤها .

على أن هذا كله لم يحل دون هدمها في أوائل حكم عباس باشا الأول ، بدأت مدرسة المبتديان تقاسي حين أقدمت الجهادية على « فرز » أكثر من نصف عدد تلامذتها (٢٧١

---

(١) دفتر ٢١٢٦ (مدارس تركي) ص ٨٦ رقم ١٥٢ الى مدير الغربيــة في ٤ جمادى الأولى ١٢٦٥

(٢) انظر عن مدرسة المبتديان في عهد محمد علي : تاريخ التعليم في عصر محمد علي للمؤلف ص ٢١١ — ٢٢٠

تلبيذا) وانتزعتهم من المدرسة [١] . ولكن ديوان المدارس مازال يشعر بضرورة المحافظة على مدرسة المبتديان . لهذا أبقى عليها فى ترتيب ١٣ شعبان ١٢٦٥ ، كما أبقى على المدرسة التجهيزية والمدارس الخصوصية . وأصبحت مدرسة المبتديان موئلا للتلاميذ الذين فصلوا من المكاتب والمدارس الأخرى [٢] . وخيل إلى الديوان أن القدر يدخر للمدرسة حياة طويلة ، فأخذ يشير عليها بكتب المطالعة متعددة حتى لا يسأم التلميذ من المطالعة فى كتاب واحد [٣] ، وبضم اليها تلاميذ جددا وبحفظ بالمكتب والمستجد ، وهكذا .

ولكن (السياسة العليا) كانت تتجه وجهة أخرى وتبيت للمدارس خطة جديدة ، بدأ تنفيذها فى أواخر سنة ١٢٦٥ (أكتوبر ١٨٤٩) بابعاد مدرسة المبتديان (هى والمدرسة التجهيزية) من قلب العاصمة إلى أبى زعبل فى البناء الذى كانت تشغله مدرسة المشاة التى نقل تلامذتها إلى الجيزة [٤] . وأخذت مدرسة المبتديان تقاسى فى مكانها الجديد : فالأمراض تفتك بتلاميذها والطبيب لايجد صيدلية أو دواء والسلطات تصم أذنيها عن شكواه [٥]. وكانت المدرسة تجود إذ ذاك بآخر أنفاسها ، فى الأيام الأولى

---

(١) دفتر ١٢٩ (مدارس عربى) ص ٢٠٠٠ رقم ٢٣٤ ورقم ٢٣٦ الى مدرسة المبتديان فى ٢٩ جمادى الاولى ١٢٦٥ ؛ ص ١٩٩٤ رقم ٣٠٠ الى قلم الحسابات فى ٢٩ جمادى الثانية ١٢٦٥

(٢) دفتر ١٢٩ (مدارس عربى) ص ٢٠٤٦ رقم ٢٥٩ الى المبتديان فى ٢٤ جمادى الثانية ١٢٦٥

(٣) دفتر ١٤١ (مدارس عربى) ص ٣٠٣ رقم ١٩ إلى المبتديان فى ٦ ذى الحجة ١٢٦٥

(٤) دفتر ٢١٣٢ (مدارس تركى) ص ٣٧ فى ١٩ ذى الحجة ١٢٦٥

(٥) دفتر ١٤٢ (مدارس عربى) ص ٤٠٤ رقم ١٦ ، ١٧ الى شورى الاطباء فى ٢٦ وآخر ذى الحجة ١٢٦٥

من عام ١٢٦٦ - وقبل صدور الترتيب الثانى - « تعلقت الارادة الآصفية بلغو مدرسة المبتديان » ، وعهد إلى على مبارك بأن يفحص تلامذتها فمن وجده صحيح الجسم موافقا للتعليم ظليقه بالقسم التجهيزى ، وأما المعلمون فيمتحنهم فمن نجح بقى بالمدرسة ومن لم ينجح كتب عنه للديوان . أما التلاميذ الجدد الذين يقبلون بالقسم التجهيزى فلا يجب أن يتعدوا الثامنة ، ويشترط فيهم أن يعرفوا قراءة القرآن والخط وأن يكونوا معتدلى الأعضاء صحيحى الأبدان [1] .

وأكد الترتيب الجديد هذا القرار ، فجعل من مدرسة المهندسخانة معهداً ينتظم - عدا قسم الهندسة - قسما ابتدائيا وآخر تجهيزيا .

المدرســـة التجهيـــزية

تركنا المدرسة التجهيزية - فى أواخر عصر محمد على - وقد ضمت فى ترتيب سنة ١٨٤١ إلى مدرسة الألسن تحت إدارة رفاعة بك رافع ، وقرر لها ثلاثمائة تلميذ . وليس من شك فى أنها قد أفادت من نظارة رفاعة المستنيرة الحازمة ، فأدخلت بها مواد دراسية جديدة [2] .

على أن القدر كان يدخر لها فى أول حكم عباس نهاية عاجلة .

بدأت المدرسة التجهيزية حياتها فى أول هذا الحكم مطمئنة إلى مصيرها ، فأخذت تتزيد من تلامذتها ، فألحقت بها عدد كبيراً من تلامذة المبتديان [3] وشرعت تختار من

(١) دفتر ١٤٣ (مدارس عربى) ص ٦٩٠ رقم ٢٣ الى المهندسخانة فى ١٧ المحرم ١٢٦٦

(٢) عن المدرسة التجهيزية فى عصر محمد على انظر تاريخ التعليم فى عصر محمد على للمؤلف ص ٢٢١ — ٢٣٥

(٣) دفتر ١٢٩ (مدارس عربى) ص ٢٠٠٠ رقم ٢٣٦ الى مدرسة المبتديان فى ٢٩ جمادى الأولى ١٢٦٥

الكتب أصلحها للتلاميذ .[١] وقد أبقى عليها ترتيب ١٣ شعبان ١٢٦٥ ، على أن حياتها فى أواخر ذلك العام بدأت تضطرب : فقد صدر الأمر بإخلاء مكانها فى الأزبكية ، فنقلت مدرسة الألسن إلى الناصرية مكان المبتديان ونقلت التجهيزية مع المبتديان إلى أبى زعبل [٢] وأصبحت المدرستان تحت إدارة ناظر المبتديان عبدالقادر أفندى ، وكان بها إذ ذاك من التلاميذ ١٦٥ (مع أن المرتب لها من التلاميذ ٣٢٥) وعدد معلميها وضباطها ٣٥ [٣] .

وأخذت المدرسة تقاسى فى مكانها الجديد : طالبت بزيادة عدد تلامذتها وأساتذتها وتعيين طبيب لها والابقاء على مستشفاها [٤] ، وضاق الديوان ذرعاً بهذه المطالب التى لايستطيع تحقيقها ، فأمهلها حتى يعود « ولى النعم وسيعمل ترتيب عن المدارس » [٥] . وبدأت تصفية المدرسة ، فامتحن « على مبارك » تلامذتها وأخرج منهم عدداً ليس بالقليل ، وجدهم « عادمين العلم ولا لهم منفعة بالمدرسة وأغلبهم كبار السن » [٦] ، حتى ،

---

(١) دفتر ١٤١ (مدارس عربى) ص ٣١٥ رقم ٦٠ الى مدرسة الألسن فى ٦ ذى الحجة ١٢٦٥

(٢) دفتر ٢١٣٢ (مدارس تركى) ص ٣٧ فى ١٩ ذى الحجة ١٢٦٥

(٣) دفتر ١٦١ (مدارس عربى) ص ٧٥٨ رقم ٦٥ من التجهيزية فى ٨ المحرم ١٢٦٦

(٤) دفتر ١٦١ (مدارس عربى) ص ٧٥٨ رقم ٧٦ من التجهيزية فى ١٤ المحرم ١٢٦٦ ودفتر ١٤٣ (مدارس عربى) ص ٦٥٩ رقم ٢٨ الى شورى الأطباء فى ١٩ المحرم ١٢٦٦

(٥) دفتر ١٢٧ (مدارس عربى) ص ١٣٨١ رقم ٣٩١ إلى مدرسة الألسن فى ٥ صفر ١٢٦٥ .

(٦) دفتر ٦٠ (مدارس عربى) ص ٥٦٠ رقم ١٢٠ من المهندسخانة فى ١٨ صفر ١٢٦٦

هبط عدد تلامذتها إلى نحو نصف العدد المقرر لها [١] . وعلى أثر ذلك فصل لفيف من أساتذتها وموظفيها [٢] .

وتم إلغاؤها كمدرسة مستقلة فى ٢٤ رجب ١٢٦٦ ، ونقل ناظرها — عبد القادر أفندى — معاونا بقلم المشتريات بالديوان ، وقيد موظفوها مستودعين بثلث مرتباتهم [٣] . ووضعت تحت نظارة « على مبارك » ناظر المهندسخانة وعين وكيلا لها « محمد مصطفى افندى أبوسن » أحد معلمى المهندسخانة . وطلب الناظر الجديد أن ينقل تلاميذ التجهيزية إلى مكان قريب من مدرسته إما بالمحروسة أو ببولاق [٤] ، وانتهى الأمر بنقلهم إلى المهندسخانة ببولاق .

وهكذا خلت أبو زعبل والخانقاه من أية منشأة تابعة لديوان المدارس [٥] .

---

(١) دفتر ١٦٣ (مـــدارس عربى) ص ١٠٧٦ رقم ١١٧ من التجهيزية فى ٢٩ جمادى الأولى ١٢٦٦ .

(٢) دفتر ١٤٧ (مدارس عربى) ص ١٥٤٢ رقم ٦٩٩ إلى الحســـابات فى ١٣ ربيع الثانى ١٢٦٦ ، دفتر ١٤٩ (مدارس عربى) ص ١٨١٧ رقم ٧٧٠ إلى الحسابات فى ١٠ جمادى الأولى ١٢٦٦ .

(٣) دفتر ١٥٥ (مـــدارس عربى) ص ٣٠١١ رقم ١١٩٨ الى الحســـابات فى غرة رمضان ١٢٦٦ .

(٤) دفتر ١٦٤ (مـــدارس عربى) ص ١٢٥٨ رقم ٥١٠ من المهندسخانة فى ٢٨ جمادى الثانية ١٢٦٦ .

(٥) دفتر ١٥٥ (مـــدارس عربى) ص ٣١٤٧ رقم ٨٧٦ الى الجهادية فى ٢٤ رمضان ١٢٦٦ .

المــــدارس الخصوصـــية

مدرســــة الألسن

أنشئت مدرسة الألسن فى سنة ١٨٣٥ ، وما لبثت أن أصبحت إحدى الدعامات القوية للحركة التعليمية فى عصر محمد على [١] . والفضــــل فى ذلك يعود إلى مؤسسها وناظرها « رفاعة رافع الطهطاوى » : فقد جهد ليهيئ تلامذته على تشرب الثقافتين العربية والأوروبية ، فكان منهم المعلمون والمترجمون . وقد عمل رفاعة بك على أن يجعل من مدرسته مؤسسة كبيرة تنتظم معاهد عدة : فبعد سنة ١٨٤١ ضمت إليها المدرسة التجهيزية وأنشئت أقسام لدراسة الفقه والادارة الملكية والادارة الزراعية والمحاسبة ، هذا عدا قلم الترجمة الذى نظم فى سنة ١٨٤١ وقام سنوات طويلة على إمداد المدارس بما تحتاج إليه من الكتب المعربة فى مختلف العلوم .

كما كان بمدرسة الألسن مخزن عام يقوم على إمداد المدارس بالأدوات والملابس وغيرها . وكان بها كذلك دار صغيرة للآثار وأخرى للكتب الأجنبية . وإلى جانب هذا كله كان رفاعة بك يشرف على امتحانات المكاتب الابتدائية ، فيطوف بها ويمتحن تلامذتها ويفتش عن شئونها . وهكذا تغلغلت مدرسة الألسن فى سائر نواحى النهضة التعليمية ، وكان لها فى إذكائها أثر ملحوظ . ولكن مدرسة الألسن كانت إحدى ضحايا أهواء عباس الأول .

وقد قيل فى تعليل ذلك ما شاع من سوء التفاهم أو الكراهية بين عباس باشا ورفاعة ، تلك الكراهية التى لاحقت رفاعة ، فلم تقنع بالغاء المدرسة بل طاردته حتى السودان .

---

(١) انظر كتابنا : تاريخ التعليم فى عصر محمد على ص ٣٢٩ — ٣٣٩ .

وأنشأت له مدرسة ابتدائية بالخرطوم نصبته على إدارتها ، ويرى بعض الباحثين فى ذلك إصبع «على مبارك» الذى عاد من أوربا مليئاً بالأطماع ، والذى كان ينفس على رفاعة ما أصاب من مكانة . وقد قرب عباس إليه على مبارك وأبعد رفاعة إلى السودان ، فلما خلفه سعيد قرب إليه رفاعة وأبعد على مبارك إلى القرم . كما يحتمل أن رفاعة قد لاقى معارضة من بعض المشايخ المتعصبين الذين ربما عدوه متطفلا على ميدانهم فى دراسة الشريعة والفقه [1] . ومن هذا كله تجمع الحقد على رفاعة والكيد له ولمدرسته .

بدأ العمل بإلغاء قسم الفقه بالمدرسة وفصل أساتذته وتحويل تلامذته إلى تعلم «المحاسبة» [2]. وتلا ذلك (فرز) عدد كبير من طلبة المدرسة وفصلهم منها [3]. ولم يستطع الترتيب الذى وضع فى شعبان ١٢٦٥ إنقاذ المدرسة طويلا .

وفى الشهر الأخير من عام ١٢٦٥ (أكتوبر ١٨٤٩) صدر الأمر بنقل مدرسة الألسن إلى مكان مدرسة المبتديان بالناصرية ، وبذلك حرمت المدرسة من مكانها الذى عاشت فيه أربعة عشر عاما : وضاق بها مكانها الجديد حتى اضطروا إلى نقل «الكتبخانة الافرنكية» و «الأنتيكات» إلى المهندسخانة ببولاق [4]. ولم تمض أيام على ذلك حتى ألغيت مدرسة الألسن فى شهر المحرم سنة ١٢٦٦ (نوفمبر ١٨٤٩) وضم تلامذتها إلى

---

(١) Dunne, op. cit. p. 296 - 7

(٢) دفتر ١٢٨ (مدارس عربى) ص ١٧٧٣ رقم ٥٤٩ الى مدرسة الألسن فى ١٧ جمادى الأولى ١٢٦٥ .

(٣) دفتر ١٢٩ (مدارس عربى) ص ٢٠٠٥ رقم ٥٨٦ الى مدرسة الالسن فى ٥ جمادى الثانية ١٢٦٥ .

(٤) دفتر ١٤١ (مدارس عربى) ص ٢٤٩ رقم ٧١ الى مدرسة الألسن فى ١٥ ذى الحجة ١٢٦٥ .

المدرسة التجهيزية قبيل إلغائها . (١) واقتصر رفاعة بك على نظارة قلم الترجمة (٢) ، وبعد قليـــل رحل إلى الخرطوم (٣) . ثم بدأ العمل فى بناء فندق (شبرد) مكان مدرسة الألسن بالأزبكية (٤) .

قلم الترجمة

أما قلم الترجمة فكان له مصير آخر :

كان إنشاء قلم الترجمة ثمرة من ثمرات تنظيم التعليم فى سنة ١٨٤١ : جعل أربعة أقسام وضم إلى مدرسة الألسن ، بل يمكن القول بأنه كان (امتدادا) لهذه المدرسة ، إذ كان يلحق به خريجوها ليمرنوا على أعمال الترجمة ، وكادت تقتصر على ترجمة المؤلفات الفرنسية إلى اللغة العربيـة .

وفى أواخر سنة ١٢٦٤ شرع إبراهيم باشا فى إنشاء قلم جديد للترجمة إلى اللغة التركية ، وكتب إلى ديوان المدارس بامتحان المترجمين بالديوان وفروعه وغيرهم ممن لهم كفاية

---

(١) دفتر ١٦٠ (مدارس عربى) ص ٢٠ رقم ١٩ من المدرسة التجهيزية فى ٢ صفر ١٢٦٦ ويذكر أمين باشا سامى — خطأ — أن مدرسة الألسن ألغيت فى مايو ١٨٥١ (التعليم فى مصر القسم الخامس من الملحقات ص ٤٦)

(٢) دفتر ١٤٤ (مـــدارس عربى) ص ٨٥٧ رقم ٤٤٣ الى ناظر قلم ترجمة فى آخر المحرم ١٢٦٦

(٣) دفتر ٢١٣٣ (مدارس تركى) ص ١٢٠ فى رجب ١٢٦٦

(٤) دفـــتر ٢١٣٤ (مدارس تركى) ص ١٨ فى ٩ جمادى الأولى ١٢٦٦ ، ودفتر ٦١ جزء رابع (معية عربى) ص ٧٠٧ رقم ٧٢٨ الى المالية فى أول رجب ١٢٦٧

ودراية فى الترجمة من المعاونين والكتبة لاستخدام الناجحين منهم فى القلم الجديد [١].
أما قلم الترجمة الملحق بمدرسة الألسن فقصر على الترجمة إلى اللغة العربية كقسم من القلم الجديد . وجاء فى جريدة الوقائع ما يلى [٢] :

« لما كانت ترجمة الكتب المرغوبة التى تشتمل على القوانين والتراتيب والآداب وسائر العلوم والفنون النافعة من اللغة الفرنساوية إلى التركية والعربية وطبعها ونشرها وسيلة عظمى لتكثير المعلومات المقتضية وقضية مسلمة عند أولى النهى ، وكان حصول ذلك لا يتأتى إلا بوجود المترجمين البارعين فى ألسنة الافرنجى والتركى والعربى واجتماعهم فى محل واحد وقسمهم إلى قلمى ترجمة وضمهم إلى نظارة حضرة أمير اللواء كانى بك وكيل ديوان التفتيش الفريد فى فن الترجمة المشهور بالسلاسة والبلاغة ، حصل فتح القلمين كما ذكر وقد تعين حضرة رفاعة بك أميرالاى الذى كان ناظر مدرسة الألسن التابعة إلى ديوان المدارس ناظراً على قلم الترجمة العربى فى معية حضرة الأمير المومى إليه » . وجعل قلم الترجمة الجديد — وقد ضم إليه قلم الوقائع أيضاً — تابعاً للديوان الخديوى وأقيم بديوان الغورى بالقلعة [٣] . على أن الاقامة بالقلعة لم تطب لرفاعة

---

(١) محفظة ٣ (مـــدارس) رقم ٢٤٢ من عباس الى مدير المدارس فى ١٧ ذى القعدة ١٢٦٤

(٢) الوقائع المصرية : العدد ١٢٧ فى ٢٦ ذى القعدة ١٢٦٤

(٣) على مبارك : الخطط التوفيقية م ٥ ج ١٧ ص ٦٤ ودفتر ٢٦ ٢ (مدارس تركى) ص ٣٨ رقم ٢٧ فى غرة ذى الحجة ١٢٦٤ ، ص ٤٢ رقم ٢ الى مـــدير قلم الترجمة فى ٤ ذى الحجة ١٢٦٤

وتلامذته المترجمين (١). واستقر الرأي على إعادة قلم الترجمة إلى تبعيته لديوان المدارس ، فانقسم قسمين : قسم الترجمة العربية ونقل إلى مكانه القديم بمدرسة الألسن وقسم الترجمة التركية وقلم الوقائع بديوان المدارس (٢). وأزمع قلم الترجمة أن يعود إلى نشاطه القديم . على أن هذا الاضطراب قد أثر في نظام القلم ونشاط موظفيه ، حتى لقد شكا رفاعة بعض مترجميه وطلب توقيع الجزاء عليهم (٣) .

على أن إلغاء مدرسة الألسن في نوفمبر ١٨٤٩ لا شك قد أثر أثراً بليغاً في قلم الترجمة ورجاله ، فقد حرمه الدعامة القوية التي كان يعتمد عليها في عمله الفني وحرم المصدر الذي كان قائماً على تغذيته بالمترجمين ، كما حرم ناظره رفاعة بك المكانة السامية التي كانت له في دوائر التعليم . وبعد أشهر رحل رفاعة إلى السودان ، ولم يستطع القلم أن يحيا بعد فقد مؤسسه ومديره فتشتت رجاله (٤) . إلى أن أعيد تكوينه — على يد رفاعه نفسه في أوائل حكم سعيد .

---

(١) دفتر ٢١٢٦ (مدارس تركي) ص ٤٠ رقم ١٥ الى مصلحة المباني في ٩ المحرم ١٢٦٥ ودفتر ١٢٦ (مدارس عربي) ص ٩٧٧ رقم ٢٧١ الى مدرسة الألسن في ١٨ المحرم ١٢٦٥

(٢) دفتر ٢٢٦ (مدارس تركي) ص ٤٦ رقم ٢٠ الى الديوان الخديوي في ٢١ المحرم ١٢٦٥

(٣) دفتر ١٤١ (مدارس عربي) ص ٣١٩ رقم ٦٥ الى مدرسة الألسن في ... ذي الحجة ١٢٦٥

(٤) يتردد في الوثائق الى سنة ١٢٦٨ ذكر قلم الترجمة ، دفتر ٢١٢ (مدارس عربي) ص ٣٢٨٨ رقم ٤٩ الى المهيئة في ٢٠ شعبان ١٢٦٨ ويقول Dunn ص ٢٩٦ من غير أن يذكر المصدر الذي أخذ منه أن قلم الترجمة ظل قائماً حتى حكم سعيد باشا ، وأنه يبدو أن على مبارك قد ضمه اليه لأنه كناظر لمدرسة المهندسخانة أخذ على عاتقه مهمة إمداد المدارس بالكتب المدرسية .

مدرسة المحاسبة

في سنة ١٨٣٦ أنشئت مدرسة للمحاسبة بالسيدة زينب لتخريج كتاب لفرق الجيش والمصالح والدواوين ، وبعد عامين رؤى إلغاؤها والاكتفاء بتدريس المحاسبة لتلاميذ مدرسة الألسن .

ونزع عباس باشا إلى إنشاء قسم خاص لتعليم فن المحاسبة « قصداً لإزالة تسلط القبط على هذا الفن وجعله تحت يد المسلمين »[1] . ففي أوائل حكمه (في جمادى الأولى ١٢٦٥) أمر بإنشاء قسم خاص للمحاسبة بمدرسة الألسن ، واختير له أربعون من تلامذة وأسبرانات وملازمى مدرسة الألسن ليتعلموا على « علي رجمي افندي » ، ورتبت لهم الأدوات اللازمة ، وكان منهم أغلب تلامذة قسم الفقه[2] . وكان يكتفي في التلميذ الذي يطلب التحاقه بقسم المحاسبة أن يكون « خطه مناسبا ويعرف بعضا من الحساب » ، وعين لهم معلمون جدد[3] . وكان الديوان يتجه في كل شئون المدرسة إلى « محاسبجي مصر » ، وهو المتحدث على شئون الكتابة والكتاب في مختلف الدواوين والمصالح ، بل كان يرسل إليه التلاميذ الجدد قبل إلحاقهم بالمدرسة .

وعلى الرغم من إلغاء مدرسة الألسن في نوفمبر ١٨٤٩ فقد بقي قسم المحاسبة أو

---

(١) علي باشا مبارك : الخطط التوفيقية م ٥ ج ١٧ ص ٦٥

(٢) دفتر ١٢٨ (مدارس عربي) ص ١٧٥٩ رقم ٥٣٤ إلى مدرسة الألسن في ١٤ جمادى الأولى ١٢٦٥ وص ١٧٧٣ رقم ٥٤٨ في ١٧ منه .

(٣) دفتر ١٢٩ (مدارس عربي) ص ٢٠٣٦ (عرض) الى مدرسة الالسن في ٢٢ جمادى الثانية ١٢٦٥ و ص ٢١٦٧ رقم ٤٤١ في ٢٥ شعبان ١٢٦٥

مدرسة المحاسبة قائمة تحت نظارة رفاعة بك ناظر قلم الترجمة بالديوان ، وإن كان رئيسها المباشر هو « على أفندى رحمى » وهو « خريجها » الذى استقل بإدارتها — بعد رحيل رفاعة — تحت رياسة محاسبجى مصر [1] . وبعد عام كامل تخرج أول فريق من تلامذتها ، وكانوا ستة وثلاثين تلميذاً ، وقدرت لكل منهم فى وظيفته الجديدة مائة قرش فى الشهر وأوصى بهم (باشكتاب) الدواوين ليوالوهم بعنايتهم [2] .

وظل عباس بعد المدرسة بعطفه فأصدر أمره باختيار أربعين تلميذاً ليحلوا محل المتخرجين فيها [3] . وبلغ من تشجيع الحكومة لهم أن رفعت عنهم ضريبة (الفردة) التى كانت تجبى على جميع الموظفين وذلك « لأجل ترغيبهم فى تعلم الكتابة » [4] ، ورتبت لهم مرتبات تفوق مرتبات التلامذة فى سائر المدارس [5] .

على أن (أهواء) عباس المتقلبة لم ترحم المدرسة التى طالما مدّ لها فى رعايته ، فصدر أمره الى المالية فى ٢٥ ذى القعدة ١٢٦٧ (أغسطس ١٨٥١) — أى بعد عامين من

---

(١) دفتر ١٤٦ (مدارس عربى) ص ١٣٧٧ رقم ٨١٣ الى ناظر قلم ترجمة فى ٢٦ ربيع لاول ١٢٦٦

(٢) دفتر ٢٢١ (مدارس عربى) ص ١٤ رقم ٧ من المالية فى ٢٩ ذى القعدة ١٢٦٧

(٣) دفتر ١٦٠ (مدارس عربى) ص ٥٣٤ رقم ٢ من أعتاب كرام إلى الديوان فى غرة ربيع الثانى ١٢٦٦

(٤) دفتر ١٦٤ (مدارس عربى) ص ١١٦٩ رقم ٧٨٨ من المالية فى ١١ جمادى الثانية ١٢٦٦

(٥) دفتر ١٥١ (مدارس عربى) ص ٢٢٧ رقم ٨٩٤ إلى الحسابات فى ١٨ جمادى الثانية ١٢٦٦

إنشاء المدرسة — بإلغائها وفصل معلميها وتوزيع تلامذتها على المديريات والدواوين[1] .

المكتب العالى

أنشىء المكتب العالى بالخانقاة فى يوليه ١٨٣٦ ، لتعليم مماليك الجناب العالى واليتامى والأطفال الآخرين الذين يحظون بالعطف السامى مع أنجال الحضرة الخديوية ، وقد تلقى العلم به من أبناء محمد على الأميران عبد الحليم بك ومحمد على بك . ولهذا كان المكتب تابعا للديوان الخديوى ، ولكن كان لديوان المدارس الإشراف الفنى عليه . ثم نظم المكتب ثلاثة أقسام : ابتدائى وتجهيزى وخصوصى ، وقد بلغ من شدة الإقبال عليه أن بلغ عدد تلامذته قبيل انتهاء عصر محمد على ٦٤٠ تلميذا[2] .

ضاق عباس بالمكتب العالى كما ضاق بأكثر المؤسسات التعليمية التى أنشئت فى حكم محمد على ، فبدأ بتشريد تلامذته : أرسل نفرا منهم إلى المكتب الذى أنشأه لتربية ابنه إلهامى ، ثم أرسل أكثرهم إلى مدرسة الألسن حتى ضاقت بهم فتقرر أن يقضى (البكوات) منهم الليل فى بيوتهم ويتوجهوا إلى المدرسة فى الصباح[3] . وكانت مدرسة الألسن تحتضر إذ ذاك . فما لبث هؤلاء التلامذة أن رفت بعضهم ووزع

---

(١) دفتر ٢٢١ (مدارس عربى) ص ١٤٠ رقم ٧ من رحمى بك محاسبجى مصرفى ٢٨ ذى القعدة ١٢٦٧

(٢) تاريخ التعليم فى عصر محمد على للمؤلف ص ٢٤١ — ٢٤٨

(٣) دفتر ١٢٨ (مدارس عربى) ص ١٧٧٣ رقم ٥٤٧ إلى مدرسة الألسن فى ١٧ جمادى الأولى ١٢٦٥

البعض الآخر على المدارس الباقية [1] .

وفى لائحة شعبان ١٢٦٥ جعل المكتب العالى ، أورطة خاصة وصار ترتيبها بمعرفة الجهادية لا بمعرفة المدارس ، [2] . وبذلك أصبح المكتب العالى نواة أورطة أو مدرسة المفروزة . وعلى هذا النحو كانت نهايته — أما بناؤه فى الخانقاه فجعل مستشفى للمرضى [3].

مدرســـة الطب البيطـــرى

رأيت أن عباسا الأول بمجرد توليه الحكم أوحى إليه خلقه القائم على الحذر والشك وقلة ثقته بالمؤسسات التعليمية القائمة بامتحان خريجى هذه المدارس . بدأ بالمهندسين ثم بالأطباء البيطريين ، وقام ديوان المدارس على امتحانهم وأرسل إلى المعية بيانا بالناجحين منهم طالبا تعيينهم فى فرق المدفعية والفرسان وفى الأقاليم التى تكثر فيها المواشى ، وينصح بإسكانهم فى أماكن مناسبة على أن يقوموا بعلاج دواب الأهالى ومواشيهم المريضة وتتحمل الحكومة جانبا من مرتباتهم ، ويكلف المتعهدون والعمد والأهالى بإعطائهم أجورهم فى مقابل علاج دوابهم . أما الأطباء الذين ثبت عدم صلاحيتهم

---

(١) دفتر ١٢٩ (مدارس عربى) ص ٢٠١٣ رقم ٢٩٥ الى مدرسة الألسن فى ٩ جمادى الثانية ١٢٦٥

(٢) دفتر ١٢٩ (مدارس عربى) ص ٢٠٥٣ رقم ٦٨ إلى المكتب العالى فى ٥ شعبان ١٢٦٥ . وقد ذكر أمين باشا سامى خطأ أن المكتب العالى ألغى فى سبتمبر ١٨٥٢ (التعليم فى مصر القسم الخامس من الملحقات ص ٥٢) .

(٣) دفتر ٢٩٩ (مــدارس عربى) ص ١٤٤٨ رقم ٥٦١ إلى الجهــادية فى ١٠ ربيع الثانى ١٢٧٠ .

فقد وافق الديوان على فصلهم[1]. وطبيعى أن الوالى لم يرتح إلى نتيجة الامتحان وزادته اعتقادا فى فشل المدارس ؛ أساتذتها وخريجيها وتلامذتها. وبدأ الجو متجهما أمام مدرسة الطب البيطرى. ولكن الديوان — وكان أدهم باشا مازال مديره — يعمل على انقاذ المدرسة ، فيحاول أن يبرر الحاجة اليها فيذكر للوالى « ان الحاجة ستمس أيضا إلى التلامذة ، كما أن الأساتذة والمدرسين سيستخدمون فى تفاتيش المواشى بالمناوبة »[2].

أما عباس فكان إذ ذاك قد ضاق بالمدارس وإن لم يقر رأيه بعد على إلغائها. فكما شتت المدارس وأرسل بها بعيداً عن نظره فى القاهرة — إلى أبى زعبل. كذلك أصدر أمره بنقل مدرسة الطب البيطرى من إسطبل شبرا إلى الوجه البحرى. وأنفذ الديوان بعض كبار الأطباء ليزور (اسطبلات) الحكومة فى الوجه البحرى ، فلم يجد فى نبروه وشبين الكوم محلات خالية ، ورأى « أن اصطبل منوف جاهز وموافق ». فأرسل الديوان إلى المدرسة يأمرها برفت بعض تلامذتها وإلحاقهم جنودا بمدرسة الفرسان وإبقاء تلامذة الفرقة الأولى بشبرا (١١ تلميذا) وترحيل ثلاثة من مدرسيها مع الستة عشر تلميذا الباقين إلى منوف يصحبهم بعض الخيول والموظفين. أما اسطبل شبرا فيبقى به بعض الأطباء المدرسين لعلاج الحيوانات المريضة التى تفد اليه ، كما يبقى بالمستشفى البيطرى الملحق بالاسطبل بعض الأطباء والموظفين « انهو القضايا الطبية التى ترد من الجهات »[3].

---

(١) دفتر ٤٦٣ (معيه تركى) ص ٢٧ رقم ٢٥٣ الى المعية فى ١٦ ذى الحجة ١٢٦٤

(٢) دفتر ٤٦٦ (معية تركى) رقم ١٨٢ الى المعية فى ٢٦ ذى الحجة ١٢٦٤ .

(٣) دفتر ١٢٧ (مدارس عربى) ص ١٢٥٣ رقم ٥١٩ الى مدرسة الطب البيطارى فى ٥ صفر ١٢٦٥ و ص ١٢٧٢ رقم ٢٦٣ الى مدرسة السوارى فى ١٢ منه .

وهكذا تشرد أساتذة المدرسة وأطباؤها وتلاميذها [١] ، واقتصرت مدرسة منوف البيطرية على ستة عشر تلميذا وثلاثة مدرسين وألغى تدريس بعض المواد بها ومنها اللغة الفرنسية [٢] .

وإذا كانت مدرسة الطب البيطرى حقيقة أشد المدارس التى أسسها محمد على حاجة إلى الاصلاح والتعمير فان نقلها إلى منوف وحرمانها بعض أساتذتها وأطبائها لم يكن السبيل إلى هذا الاصلاح . وكما كان نقل المدرستين الابتدائية والتجهيزية من القاهرة إلى أبى زعبل مقدمة سريعة لالغائهما ، كذلك كان انتقال المدرسة البيطرية إلى منوف . إذ لم يمض على الأمر العالى بنقلها إلى الوجه البحرى شهران حتى صدر أمر عباس الأول إلى الكتخدا بالغاء المدرسة وطرد جميع الأطباء البيطريين من خدمة الحكومة واسترداد نياشينهم ، معللا ذلك بأن « الأطباء البياطرة الذين نشئوا منذ صغرهم وأعدوا للعمل بعد نفقات عظيمة واحتمال كثير من النصب والمشقة كانوا هم السبب الوحيد فى هلاك عدد كبير من الدواب والمواشى بالجفالك وغيرها من الجهات الأميرية ، فضلا عن أنهم أتلفوا الجواد الأحمر السقلاوى الذى أرســـله حضرة الشريف إلى حضرة مولانا الأكبر ، كما أن الجواد عبيان الأشهب المشهور الذى

---

(١) أنشئت مدرسة الطب البيطرى برشيد فى سنة ١٨٢٨ ثم نقلت بعد ثلاث سنوات الى أبى زعبل بجوار مدرسة الطب البشرى وفى سنة ١٨٣٧ نقلت مدرسة الطب البيطرى الى شبرا (انظر عن هذه المدرســـة : تاريخ التعليم فى عصر محمد على للمؤلف ص ٣٠٩ — ٣٢٤) .

(٢) دفتر ١٢٨ (مدارس عربى) ص ١٥٩٦ رقم ٦٢٩ الى مدرسة الطب البيطرى فى ٨ ربيع الأول ١٢٦٥ .

أحداه الينا فيصل قد أصيب بمرض السقاوى لعدم اعتنائهم به ، وقد تبين لنا من فحصه أن لا أمل فى شفائه . . ولم نجن من هؤلاء الأطباء فائدة حتى الآن ، بل إن الخسائر التى سببوها ظاهرة ظهور الشمس فضلا عن لاستخدامهم بنفقات باهظة . ولا نتحمل خسائرهم من كلا الوجهين »[1] .

وهكذا ألغيت مدرسة الطب البيطرى بدون انتظار للوائح التى كانت تعد للمدارس إذ ذاك ، والتى صدرت فى شعبان ١٢٦٥ . وبذلك كانت هذه المدرسة أولى ضحايا سياسة عباس فى التعليم .

المـــدارس الحربيـــة

كانت المدارس الحربية — مدارس المشاة بأبى زعبل والفرسان بالجيزة والمدفعية بطرة — تابعة لديوان المدارس منذ إنشائه فى سنة ١٨٣٧ . وقد أدت للجيش المصرى خدمات جليلة : إذ قامت — خلال تاريخها الطويل الحافل — على إعداد الضباط لمختلف الأسلحة . وفى أول ولاية عباس باشا ألحقت هذه المدارس بديوان الجهادية من ابتداء ربيع الثانى ١٢٦٥ (فبراير ١٨٤٩) [2] . فتهيأت لها بذلك حياة مستقرة منظمة فى ظل الديوان الذى يدير جميع الشئون المتصلة بالجيش وإعداد الضباط له . على أن

---

(١) دفتر ٩٤٩ (معية تركى) ص ٢٧٢ رقم ٣٧ أمر الى الباشكتخدا فى ٢٠ ربيع الآخر ١٢٦٥ .

(٢) دفتر ١٢٨ (مدارس عربى) ١٧١١ رقم (عرض) الى مدرسة السوارى فى ٢٠ ربيع الثانى ١٢٦٥ و ص ١٧٠٩ رقم ٢٤١ الى مدرسة الطوبجية فى آخر ربيع الثانى ١٢٦٥ .

رأى الوالى فى كل المؤسسات التعليمية القائمة إذ ذاك لم يكن مما يضمن لها حياة مستقرة، هذا إلى أن فكرة الوالى كانت متجهة إلى تنظيم التعليم العسكرى تنظيما جديداً بجعله وحدة مستقلة تتلق الطالب منذ صباه حتى تخرجه ضابطا لسلاح من أسلحة الجيش المختلفة. وهذا التنظيم الجديد يقوم فيما سمى بالمدرسة المفروزة. لهذا لم تمض شهور على إلحاق المدارس الحربية بالجهادية حتى صدر الأمر العالى فى أوائل سنة ١٢٦٦ (نوفمبر ١٨٤٩) بإلغائها وطرد جميع معلميها واسترداد أوسمتهم [١]. وعلى أنقاضها قامت المدرسة المفروزة.

المدرســـة البحـــرية

وكذلك كان مصير المدرسة البحرية بالاسكندرية.

صدر الأمر بالغائها فى ربيع الثانى سنة ١٢٦٥ (فبراير ١٨٤٩)، وكان عدد تلامذتها إذ ذاك ٢٢٥ تلميذا أرسل منهم عشرون إلى الجهادية وفصل ١٢٤ منهم، أما الباقون وهم الذين تزيد أعمارهم على عشر سنين فقد أرسلوا إلى مدرسة أنشئت بالأسطول [٢]. وأعيد ناظرها — عبد الرحمن أفندى — إلى ديوان المدارس حيث عين «معاون مرور» [٣].

* * *

---

(١) دفتر ١٦٠ (مدارس عربى) ص ٤٨٨ رقم ٢٩١ من الجهادية فى ١٠ المحرم ١٢٦٦، دفتر ٢١٣٣ (مدارس تركى) ص ٥٢ فى ٢٤ المحرم ١٢٦٦

(٢) دفتر ٢١٣١ (مدارس تركى) ص ١٤ رقم ١٠ من ديوان البحرية فى ٤ ربيع الآخر ١٢٦٥.

(٣) دفتر ٢١٢٦ (مدارس تركى) ص ٨٠ رقم ٦٥ إلى المعية فى ٤ جمادى الأولى ١٢٦٥.

المـــدارس الحربية المفروزة

قلنا إن من القواعد الأساسية التى قام عليها نظام التعليم فى عصر عباس جمع المدارس المدنية فى مؤسسة واحدة والمدارس الحربية فى مؤسسة أخرى ، ولكل منهما أقسام ابتدائية وتجهيزية تعد لها تلامذتها ، فالمهندسخانة والتجهيزية والمبتديان فى دار واحدة ببولاق . أما المدارس الحربية فكان لعباس فى تكوينها شأن خاص .

كان من جراء اللوائح التى وضعت للتعليم فى شعبان ١٢٦٥ (يونيه ١٨٤٩) أن نقص عدد التلاميذ فى المدارس إلى درجة كبيرة ثم ألغيت المدارس الحربية وسرح أكثر تلامذتها . ولكن عباسا لا يسعه — والجيش قائم — أن يهمل أمر التعليم العسكرى فى البلاد ، لا بل إنه ألغى هذه المدارس ليقيم على أنقاضها مدرسة جديدة يختار لها التلاميذ من أفضل العناصر التى احتوتها المدارس المدنية والعسكرية على السواء . وهكذا أنشئت « الأورطة المفروزة » التى سميت بعد ذلك « المدارس الحربية المفروزة » .

طاف رجال الحكومة من كبار الضباط وغيرهم بالمدارس يجمعون صفوة تلاميذها للأورطة الجديدة[1] . فكان من ذلك مزيج من متقدمى طلبة الطب والألسن والمكتب العالى والمهندسخانة والمدارس الحربية ، بل كان منهم نفر لم يبق على تخرجهم بمدرسة الطب سوى أشهر معدودات فألحق « تلميذاً عسكرياً » لتحصيل العلوم العسكرية بالمدرسة الحربية الجديدة[2] .

---

(١) على باشا مبارك : الخطط التوفيقية م ٣ ج ٩ ص ٤٣ وإسماعيل باشا سرهنك : حقائق الأخبار ... ج ٢ ص ٢٦٢ .

(٢) من ترجمة سالم باشا سالم بالخطط التوفيقية م ٤ ج ١٤ ص ١٢٦ .

وجمع الطلبة الجدد بالمكتب العالى بالخانقاه ، وذهب عباس يزورهم ويتفقد شئونهم بنفسه ويرى بعينيه هذا النبت الناشيء الذى يعلق عليه أكبر الآمال ، ويبدو أن عباساً لم يكن يعنيه منهم رجحان العقل بقدر ما كان يعنيه « قوة الجسم وجمال الخلق وتناسب الأعضاء » ، فإذا به يرى من بينهم « من هو أحدب ومن هو على قبح فاحش فى الوجه ومن هو نحيف جداً أو مريض » ، واستدل من ذلك على « أن معظم هؤلاء التلاميذ ليسوا إلا أولاداً للفلاحين جمعوا وأدخلوا المدرسة بدون نظر لما تقدم » . وعلل عباس رأيه بأنه « لما كان فريق من هؤلاء سيتخرجون ضباطاً وفريق منهم مهندسين وسيكونون بحكم مراكزهم فى الحياة موضع أنظار النـــاس واعتبارهم واحترامهم فانه يجب وضع هذا الأمر موضع الاهتمام ، فمن الآن لا يرسل تلاميذ إلى تلك المدرسة إلا إذا كانوا على أقل تقدير على جانب من القوة والصحة والجمال والتناسب فى الأعضاء »[1] .

وعلى هذا الاعتبار كان يفضل فى اللحاق بها المماليك وأولاد الترك[2] ، بل كان يؤتى لها بتلاميذ من قوله . . وغيرها[3] .

ويظهر أن عناية الوالى بالمفروزة أضفت عليها لوناً براقاً فى أعين تلامذة المدارس الأخرى وجعل لها فى نفوسهم مكانة خاصة ، فأخذ لفيف منهم يتسللون من مدارسهم ويقصدون إلى المفروزة ملتمسين قبولهم بها ، وضاقت مدرسة المهندسخانة بهذا

---

(١) محفظة ٣ (مدارس) رقم ٢٥٨ ودفتر ٤٦٧ (معية تركى) ص ٢٢ رقم ١١٨ من الجناب العالى إلى مدير ديوان المدارس فى ٢٥ جمادى الثانية ١٢٦٥ .

(٢) محافظه ٤ (جهادية) رقم ٦٦ من الجناب العالى إلى مدير الجهادية فى ١٢ ذى القعدة ١٢٦٥

(٣) محافظه ٣ (معية تركى) رقم ٥٥ من محافظة الاسكندرية الى المعية فى ٥ ذى القعدة ١٢٧٠

وكتبت للديوان أنه « لا يصح توجههم من تلقاء نفسهم ، وإن سلم لهم فان باقي التلاميذ تنظر لهم » ، وكذلك فعلت مدرسة الطب[1]. ولكن ديوان الجهادية لا يعبأ باحتجاج المدارس[2] .

ونظم التلاميذ نظاماً عسكرياً فدعوا « عساكر » [3] « بالأورطة » « المفروزة ووضع على رأسهم قائد [4] .

ولكن عباسا لم يرتح إلى مقام المفروزة بالخانقاه مقر بعض المدارس البائدة ، وكان قد شرع يقيم في صحراء « الحصوة » مدينة جديدة دعاها « العباسية » فأمر بأن ينشأ بها بناء خاص لأورطة المفروزة ، ونقلت إليه في المحرم ١٢٦٦ (نوفمبر ١٨٤٩) [5]

---

(١) دفتر ١٦٠ (مدارس عربي) ص ٥٦٠ رقم ١٢٨ من المهندسخانة في ١٦ المحرم ١٢٦٦ ودفتر ١٩٨ (مدارس عربي) ص ٢٦٧ رقم ١٧٢ الى الجهادية في ٨ المحرم ١٢٦٧ .

(٢) دفتر ١٦٤ (مدارس عربي) ص ١٣٤٩ رقم ٧٧٩ من الجهادية في ١٤ رجب ١٢٦٦

(٣) دفتر ١٤١ (مدارس عربي) ص ٢٠٤ رقم ٢٠ الى المهمات في ١٧ ذي القعدة ١٢٦٥

(٤) دفتر ١٢٩ (مدارس عربي) ص ٢١٧٨ رقم ١٣٢١ الى بكباشي الأورطة المفروزة بالخانكة في ٢٨ شعبان ١٢٦٥

(٥) دفتر ١٤٣ (مدارس عربي) ص ٦٨١ رقم ١٩٦ الى المالية في ١٤ المحرم ١٢٦٦ ودفتر ١٤٥ (مدارس عربي) ص ١٠٢٢ رقم ٤٣٠ الى الحسابات في ١٦ صفر ١٢٦٦

بعد إقامة قصيرة بالمكتب العالى بالخانقاه ، وجعلت تابعة لديوان الجهادية[1] .

وقد بلغ من حرص عباس على سرعة نقل تلاميذ المفروزة إلى العباسية أنه نقلهم ولما يتم البناء بعد ، فاضطروا إلى الإقامة فى الخيام ، وثارت عواصف شديدة اقتلعت الخيام وأثارت الرمال والغبار فأصيب أكثر التلامذة بالرمد وأمراض أخرى ، وغضب عباس وأمر بسرعة إتمام بناء الـكنة[2] وكان لها مستشفى خاص[3] .

وقد عاون ديوان المدارس على تنظيمها وإمدادها بما تحتاج إليه فى أول حياتها ، فقد عهد إلى ناظر المهندسخانة « على بك مبارك » بأن يختار لها الكتب والمعلمين[4]

---

(١) دفتر ١٥٣ (مدارس عربى) ص ٢٧٤٤ رقم ١٤٣ الى المعية فى ٨ شعبان ١٢٦٦

(٢) أمين باشا سامى : تقويم النيل وعصر عباس وسعيد م ١ ج ٣ ص ٢٩

(٣) دفتر ١٤٦ (مدارس عربى) ص ١٢٤٤ رقم ١١١ الى عمارات المحروسة فى ١٢ ربيع الأول ١٢٦٦

(٤) وقد اختير لها المعلمون الآتية أسماؤهم :

أساتذة الهندسة : على فرحات ، محمد الحكيم ، محمد اسماعيل ، رجب عبد الفتاح ، محمد ابراهيم البقلى ، حسنين الماصى .

أساتذة الرسم : حسين ابراهيم (قد أرسل فى بعثة الفلك مع زميلين من المهندسخانة) وعبد الرحمن على ، مصطفى الجركسى ، ابراهيم الحولى ، حسن طايش ، أحمد رزق (دفتر ٢١٣٢ (مدارس تركى) ص ٦٠ رقم ٤٩ من الديوان الى قائمقام المفروزة فى ١١ المحرم ١٢٦٦)

وكذلك اختير للتدريس بها بعض خريجى مدرسة الألسن وهم سليم الحجازى ، أحمد أفندى ، حسن أفندى نجل حسن أغا كتخدا أحمد باشا يكن ، محمد أفندى نجل =

ويرتب دروسها ، وكان قائد الأورطة يتجه إلى ديوان المدارس فى كل ما يخص المعلمين وأدوات الدراسة والكتب والمهمات اللازمة للطلبة .

كما أن مدرسى المدرسة كانوا يتجهون إلى ديوان المدارس رافعين إليه شكواهم مما يلقون بالأورطة من قلة المرتبات أو إعراض التلاميذ عن الدرس أو عدم توفر الأدوات والكتب اللازمة .

وكان ديوان المدارس حريصاً على أن يمد المدرسة المفروزة بكل ما تحتاج إليه على وجه السرعة[1] . كما كان يطلب إلى قائدها أن ينبه المعلمين إلى زيادة الجد والاجتهاد فى عملهم ، حتى إذا ظهرت ثمرة عملهم فى الامتحان أثابهم الجناب العالى بمضاعفة مرتباتهم[2] . وقد كانت تكون لديوان المدارس الرياسة (الفنية) على المدرسة : فكان يكتب دائماً إلى قائدها للتشديد على الطلبة والمدرسين بالانتظام فى الدروس « لأجل الحصول على المقصود واكتساب رضى ولى النعم الأصفى »[3] .

وكان الديوان يقوم على طبع ماتحتاج إليه (المفروزة) من الكتب ، سواء بمطبعة المهندسخانة أو بالمطبعة الكبرى .

= حسن أغا الارزنجانى (دفتر ٢١٣٣ مدارس تركى) ص ٣٤ رقم ٤٤ من الجهادية الى مدير المدارس فى ٢ المحرم ١٢٦٦)

(١) دفتر ١٥٢ (مدارس عربى) ص ٢٤٦٨ رقم ٤٥٦ الى المهندسخانة فى ١٢ رجب ١٢٦٦

(٢) دفتر ١٥٣ (مدارس عربى) ص ٢٦٥٦ (عروض) إلى الأورطة المفروزة فى ٢٨ رجب ١٢٦٦ .

(٣) دفتر ١٥٣ (بمدارس عربى)ص ٢٧١٦ رقم ٢٠٢٥ إلى أميرالاى عساكر مفروزة فى ٣ شعبان ١٢٦٦ .

وعلى الرغم من الصبغة العسكرية التي كانت للمفروزة والنظام العسكري الذي كان طلبتها يخضعون له فقد كانوا يقرؤون الكتب التي يقرؤها طلبة المدارس الأخرى كجملة الصرف والكفراوي وإنشاء العطار وكتب الهندسة والحساب ويتعلمون الرسم في أمشق ... الخ

وقد أدركت الحكومة ذلك فما لبثت أن حولت اسمها إلى « المدارس الحربية المفروزة »(١) فدعيت بهذا الإسم حتى ألغيت في أول حكم سعيد باشا .

ويظهر أنها قسمت — أسوة بالمهندسخانة — إلى ثلاثة أقسام : قسم ابتدائي وقسم تجهيزي وقسم خصوصي أو عال ، ويعد كل قسم لما يليه . ويتخصص طلبة القسم العالي في الفنون العسكرية إما مشاة أو فرساناً أو مدفعيين(٢) .

---

(١) دفتر ١٩٤ (مدارس عربي) ص ١٧٦٩ رقم ١٢٩٣ من المالية في ٩ شوال ١٢٩٧

(٢) محفظة ١ (معية تركي) إلى الميناء في ١٤ ذي الحجة ١٢٦٩ — ويظهر ذلك من الكتب التي كانت تدرس بها . ويذهب دن (ص ٢٩٤) الى هذا الرأي . ويقول أمين باشا سامي (التعليم في مصر القسم الخامس من الملحقات ص ٤٥) أنه كان بها قسم ابتدائي وقسم عال ، وليس في الوثائق ما يثبت ما ذكره دن (ص ٢٩٤) من أنها كانت تنتظم قسماً هندسياً عسكرياً ومدنياً معتمداً على أن أمين باشا سامي (التعليم في مصر ص ١٥) يستعمل تعبير (المفروزة والأبنية) . على أن وثائق ذلك العهد تشير كثيراً الى « مدرسة الكبورجية » أو « مدرسة المهندسين البلطجية » أو « مدرستي الكبورجية والمهندسين » وكان يقبل بها أحياناً تلاميذ من المهندسخانة ، ويبدو من هذا أنها كانت تعد مهندسين عسكريين للجيش ولذلك كانت تابعة لديوان الجهادية أو يمكن القول إنها قسم من أقسام الجيش .

وكان يلحق بها أحيانا تلاميذ من المهندسخانة[1] ، وأرسل من تلاميذها في سنة ١٢٦٨هـ بعثة كبيرة مؤلفة من ثمانية عشر عضواً إلى النمسا وبروسيا خصص تسعة منهم لدراسة الطب[2] .

ويشيد « إسماعيل باشا سرهنك » بنجاح المدرسة المفروزة فى أوائل حكم عباس الذى « كانت عنايته بهذه المدرسة فوق الحصر فارتقت بهما المعارف فى أول حكمه وكثرت بسببها المؤلفات فى كل فن وطبعت فى المطابع الحجرية ، ونبغ منها رجال خدموا المصالح واشتهروا فى أعمالهم بحسن الإدارة ومع ذلك لم يطل عمرها فأصابها الإهمال كما أصاب غيرها » .[3]

نظارة المدرسة

يقول أمين باشا سامى[4] إن أول ناظر عين لإدارتها « الأميرالاى إسماعيل بك الكريدلى » حتى نقلت إلى الاسكندرية فى آخر سنة ١٨٥٠ فخلفه «الأميرالاى إسماعيل بك سليم » ثم تعاقب عليها آخرون حتى ألغيت فى سبتمبر ١٨٦١ .

أما الوثائق فلا تذكر سوى « اسماعيل بك سليم أميرالاى المفروزة » وقد نقل

(١) دفتر ٢٨١ (مـــدارس عربى) ص ١٦٤٠ رقم ٢٦٣ من المهندسخانة فى غاية ربيع الثانى ١٢٦٩

(٢) دفتر ٢٣٨ (مـــدارس عربى) ص ٢٢٣ رقم ٢ الى التجارة فى غرة ذى الحجة ١٢٦٨

(٣) حقائق الأخبار ... ج ٢ ص ٢٦٢

(٤) التعليم فى مصر القسم الخامس من الملحقات ص ٤٥

فى المحرم ١٢٧٠ (سبتمبر ١٨٥٣) وكيلا لديوان الجهادية ، وكان مديره إذ ذاك الأمير إلهامى باشا نجل عباس الأول[١] ثم أصبح سليم بك بعد أشهر محافظا للاسكندرية[٢]. وهو « اسماعيل سليم باشا » أحد الرجال العسكريين الذين اعتمد عليهم سعيد باشا فى تشكيلاته العسكرية الجديدة ، إذ عينه « فريق العساكر السعيدية [٣] » ، وهم جند سعيد المفضلون .

أما المدارس الحربية المفروزة فقد عين « أحمد كمال باشا » مديراً لها ، وظل على رأسها حتى أوائل حكم سعيد[٤] .

مدرســـة الطب

أقدم المدارس العالية فى مصر وأبقاها أثرا وأكثرها إنتاجا [٥] . أنشئت فى أبى زعبل فى سنة ١٨٢٧ ثم نقلت بعد عشر سنين إلى مكانها الحالى بقصر العينى . وقد

---

(١) محفظة ١ (معية تركى) من اسماعيل سليم مدير المدارس الحربية المفروزة الى المعية فى ١٤ ذى الحجة ١٢٦٩ .

(٢) محفظة ٣ (معية تركى) رقم ٥٥ من اسماعيل سليم محافظ الإسكندرية الى المعية فى ٥ ذى القعدة سنة ١٢٧٠ .

(٣) محفظة ١٢ (معية تركى) رقم ١١٧ من اسماعيل سليم فريق العساكر السعيدية الى خازن الخديو فى ٢٧ رمضان ١٢٧٢ .

(٤) محفظة ٤ (معية تركى) رقم ٢٤ من أحمد كمال مدير المدارس الحربية الى كاتب الديوان العالى فى ٦ المحرم ١٢٧١

(٥) انظر عن تاريخ هـــذه المدرسة : تاريخ التعليم فى عصر محمد على للمؤلف ص ٢٥١ — ٢٨٦

أتاحت لها إدارة كلوت بك المتصلة مدى اثنين وعشرين عاما حظاً كبيراً من الاستقرار واطراد التقدم . على أن هذه الادارة نفسها قد جلبت على المدرسة فى حياة مؤسسها حسد الحاسدين ونقد الناقدين ، كما أن بسببها تعرضت المدرسة — بعد اعتزال مؤسسها — للانهيار . فقد كان الدكتور كلوت قوى الشخصية تخرج على يديه جميع الأطباء فى مصر ممن درسوا بقصر العينى ، ومن تلامذته كان أساتذة المدرسة من المصريين ، فكان الطلبة والأساتذة ينظرون اليه كمدير وأستاذ وأب لهم . وليس من شك فى أن اختفاء هذه الشخصية القوية كان له أثره فى اختلال نظام المدرسة وضعف الإدارة وفساد علاقة الطلبة بأساتذتهم وعلاقة المدرسة بالسلطات الحاكمة .

ولو قد أتيح لأحد تلامذته الأطباء ممن درسوا عليه وتشربوا بمبادئه أن يخلفه على إدارة المدرسة ويتسلم التراث الذى خلفه أستاذه ، لكان من الممكن أن تظل التقاليد التى بثها كلوت بك طوال إدارته للمدرسة مساكا لها يعصمها من العبث والفساد .

ولكن المدرسة . - بعد كلوت بك — حرمت الإدارة الثابتة الموجهة الخبيرة بأحوال البلاد وحاجاتها ، واختلفت عليها ألوان مختلفة من الثقافات : الفرنسية والألمانية والإيطالية ، أما العنصر المصرى فكان قد بدأ يضع قدمه فى عهد إدارة كلوت بك حتى أصبح منه غالب المعلمين فى المدرسة ، وهم الذين درسوا بقصر العينى ثم أتموا الدراسة بفرنسا ، كما أن أحدهم وهو محمد الشافعى من أوائل خريجى المدرسة وعضو بعثة الطب فى فرنسا فى سنة ١٨٣٢ أصبح وكيلا للمدرسة منذ سنة ١٨٤٦ ، وكان على إدارتها حين استقال كلوت بك وخرج من مصر فى ابريل ١٨٤٩ [١] ، ثم أصبح

---

(١) دفتر ١٢٦ (مدارس عربى) ص ٩٣٨ رقم ٤٩٨ إلى مدرسة الطب البيطرى فى المحرم ١٢٦٥

ناظرا عليها بعد سفر كلوت بك[1] ، وكان الشافعي إذا تغيب عن المدرسة حل محله في إدارتها حتى يعود الدكتور محمد علي (البقلي أفندي) . وقد استمر الدكتور الشافعي ناظرا على المدرسة حتى سنة ١٨٥٣ ، ولكنه كان دائم التغيب عن المدرسة ، فآنا نجده في ركاب الوالي إلى الحج وآنا نجده في الركاب الآصفي[2] . ويبدو أنه كان من ضعف الشخصية بحيث تركه رؤساء شورى الأطباء على اختلاف شخصياتهم ومنازعهم ناظرا على المدرسة طوال حكم عباس . كما أن ديوان المدارس كان كثير الانتقاد لإدارته ، حتى لقد هدده يوما بالعقاب الشديد على أثر ما علمه من كثرة حوادث هروب التلاميذ[3] .

وكذلك كان العنصر المصري متفوقا بين أعضاء هيئة التدريس بالمدرسة . ويكفي لبيان ذلك أن نثبت فيما يلي أسماء الأطباء المدرسين والمعيدين بالمدرسة :

للجراحة والتشريح : محمد علي البقلي ومحمد عبد السميع ومحمود شبانى وحسن

---

(١) دفتر ١٥٧ (مدارس عربي) ص ٣٤٢٠ رقم ١٣٣٠ إلى الحسابات في ٢٨ شوال ١٢٦٦

(٢) دفتر ١٥٧ (مدارس عربي) ص ٣٤٢١ رقم ٣٦٧٩ إلى محمد علي أفندي في ٢٨ شوال ١٢٦٦ ودفتر ١٨٣ (مدارس عربي) ص ٣٠٢٠ رقم ٦٤ إلى شورى الأطباء في ١١ شوال ١٢٦٧ ودفتر ٢٥٣ (مدارس عربي) ص ٣٨٣ رقم ٥٠ إلى مدرسة الطب البشري في ١٧ المحرم ١٢٧٠ ودفتر ٣١٧ (مدارس عربي) ص ٥ رقم ١٣ من شورى الأطباء في ١٨ صفر ١٢٧٠ . وهذه الوثائق تثبت تماما خطأ ما ذكره الدكتور نجيب باشا محفوظ (ص ٩٤) ونقله دن ص ٣٠٠ من أن محمد أفندي الشافعي انفصل عن نظارة المدرسة في سنة ١٨٥٠ .

(٣) دفتر ١٩٩ (مدارس عربي) ص ٥٦٠ رقم ٢٤ إلى مدرسة الطب البشري في ١٨ ذي الحجة ١٢٦٧

عبد الرحمن (وكان أيضا رئيس أطباء قسم الأمراض الجلدية بالمستشفى) .

للفيسيولوچيا : مصطفى الواطى .

للاقرباذين : حسنين غانم وبدوى سالم وعيسوى النحراوى .

للمادة الطبية : حسين الكفراوى وأحمد حمدى .

الكيمياء والطبيعة : حسنين على وصالح على ودرويش زيدان وعيسوى على وموسى حنفى ومحمد الفحام (وكان أيضا أمين المكتبة ومترجم المواد الطبية) .

للصيدلة : حسين الرشيدى ومنصور أحمد وبدوى سالم وسليم حنفى وعلى رياض وحسن الكفراوى ومحمد بدر .

للتاريخ الطبيعى : أحمد ندا وزهران محمد .

للرمد : حسين عوف وحسن منتظر .

مدرسو اللغةالفرنسية: مصطفى رضوان ومحمد هدايت ومحمد الحلوانى (وكان أيضا مترجم مشورة عموم الطب) .

مدرس الحساب : حسين حسنى (وكان فى الوقت نفسه أمين صندوق المدرسة) .

على أن الإدارة الحقيقية للمدرسة لم تكن لناظرها المصرى أو أعضاء هيئة التدريس المصريين ، فقد كانت هناك مشورة الطب أو شورى الأطباء ، وكان الهيئة المشرفة على كافة شئون الطب والأطباء فى مصر ، وكانت تابعة لديوان الجهادية ، وكان رئيسها وأكثر أعضائها من الأطباء الأجانب ، وكان لها — بهذه الصفة — الرياسة العليا على مدرسة الطب ، ويعد رئيسها مديرا للمدرسة ، فضلا عن قيامه بإلقاء بعض

الدروس فيها . وهذا المنصب هو الذى حرص عليه الأطباء الأجانب واختلفوا عليه ، وقد تضاءل إلى جانبه منصب الناظر المصرى للمدرســـة حتى اقتصر على الشئون الإدارية كملبوسات التلامذة وحساباتهم . أما « تعليمات » التلامذة أو شئونهم الفنية فكانت من اختصاص شورى الأطباء ، وكان الشورى حريصا على سلطته ، فكان يحتم أن تجرى المراسلة بشأن مدرسة الطب بين الشورى وديوان المدارس رأسا [١] ، كما حرص على أن لا يقبل تلميذ بالمدرسة أو يفصل منها إلا بعد موافقته [٢] ، وعلى أن يشرف على امتحانات المدرسة وتقديم ما يشاء من المقترحات [٣] ، وكان شورى الأطباء يعمل على تقوية العنصر الأجنبي فى هيئة التدريس بالمدرسة ، وقد أدى هذا إلى إبعاد الأساتذة الوطنيين الذين تعرف فيهم قوة الخلق أو يبدون مقاومة لتغلغل النفوذ الأجنبي : وأوضح مثال لذلك ابعاد الطبيب المصرى الكبير محمـــد على البقلى (باشا) أستاذ الجراحة بالمدرسة ووكيلها زمنا ما ومن أوائل خريجيها وبعثاتها . كبر عليه أن يعين الطبيب الألمانى راير Royer أستاذا للجراحة وأن يطلب منه أن يكون مساعدا له ، فأبى قبول هذا المركز ورفض أن يسلم إليه أدوات الجراحة إلا إذا

---

(١) دفتر ١٥٨ (مـــدارس عربى) ص ١٤٧ رقم ١٩ من شورى الأطباء فى ٢٦ المحرم ١٢٦٥

(٢) دفتر ١٥٨ (مدارس عربى) ص ١٤٧ رقم ٢١ من شورى الأطبـــاء فى ٢٨ المحرم ١٢٦٥ .

(٣) دفتر ١٥٣ (عربى مدارس) ص٢٥٨٨ رقم ١٠٥ الى شـــورى الأطباء فى ٥ شعبان ١٢٦٦ .

صدر اليه أمر من الوالى (١) . وعلى أثر ذلك صدر الأمر العالى بنقله طبيباً لأحد الأقسام الصحية بالقاهرة (٢) . وقد ورث شورى الأطباء هذه السلطة العظيمة مذ كان كلوت بك يجمع بين رياسة الشورى ونظارة المدرسة ، فلا عجب — مع هذا — إذا عدّ رؤساء شورى الأطباء النظار أو المديرين الحقيقيين لمدرسة الطب وتحدثت عنهم الكتب بهذا الوصف .

على أثر تولية عباس باشا فى نوفمبر ١٨٤٨ ظهر لكلوت بك بجلاء أن إقامته فى مصر وقيامه بواجبات وظيفته أصبحت مستحيلة . فقد ضرب عباس عرض الحائط بوعود بقول كلوت بك إن محمد على وعده بها . ولا يذكر كلوت تعليلا لذلك سوى أن عباسا شرع منذ توليه الحكم يبعد جميع الرجال الذين كانوا قد تشرفوا بتقدير محمد على وعطفه وخاصة الفرنسيين منهم ، فطلب كلوت إحالته إلى المعاش ، وصدر بذلك الأمر العالى فى ١٠ ابريل ١٨٤٩ (٣) وقدرت له الحكومة المصرية خدماته مدى خمسة وعشرين عاما للصحة والطب فى مصر فقررت أن يصرف له نصف مرتبه السنوى مدى الحياة وربعه لأولاده الثلاثة من بعده حتى يبلغوا

---

(١) دفتر ١٨٦ (مدارس عربى) ص ٩ رقم ٩ من شورى الأطباء فى ١٧ ذى القعدة ١٢٦٦ .

(٢) دفتر ١٨٦ (مدارس عربى) ص ١٦٦ رقم ٧ الى مفتش الصحة بالمحروسة فى ٢٠ ذى الحجة ١٢٦٦ — على أن هذا النقل أفاد الدكتور محمد على البقلى فقد أذاع اسمه بين الناس ، فصار أكثر الأهالى يأتون اليه وقل الوارد على الاسبتالية واشتهر أمره جداً ، على مبارك : الخطط التوفيقية م ٣ ج ١١ ص ٨٥ .

(٣) Documents concernant le Dr. Clot Bey. p. 8.

سن الرشد [١] .

ولكن كلوت لا يود أن تمر المسألة فى هدوء ، ولا يود أن يكون فريسة سهلة لخصومه فى مصر ، لهذا عمل على أن يحيط نفسه على أثر عودته إلى بلاده بدعاوة قوية تظهر للملأ مقدار الخدمات التى أداها لمصر ، وكان قد انتهز فرصة زيارة الدكتور Lallemand الأستاذ بمدرسة الطب بجامعة مونبلييه لمصر لعلاج إبراهيم باشا وطلب إلى مدير ديوان المدارس أن يدعوه لزيارة المؤسسات الصحية ومدرستى الطب والولادة وامتحان تلامذتهما ووضع تقرير عنهما [٢] .

وأزمع ديوان المدارس أن يقف على أحوال المدرسة التى طالما ثار الجدل حولها ، فاتخذت الضمانات اللازمة لضمان صحة الامتحان وخاصة الدقة والأمانة فى ترجمة أسئلة الامتحان وإجابات الطلبة . وكان الامتحان — وقد عقد فى ديسمبر ١٨٤٨ — حافلا بالشخصيات البارزة ، واقتنع Lallemand بتقدم الطلبة ، وقال إن طلبة فرنسيين — فى مثل ظروفهم — لا يستطيعون أن يصيبوا من التقدم أكثر مما أصاب هؤلاء ، وخاصة إذا راعينا أنهم أخذوا بدون فحص قدرتهم وميولهم ، وقال إنه وجد من بينهم من يعد فخراً لأية كلية ، وأشاد بمدح كلوت بك ، وقدم بضع مقترحات لموالاة تقدم المدرسة كزيادة عدد تلامذة المدرسة واقتصار المدرسين على دروسهم وتزويد المكتبة بالكتب الحديثة ومعامل الكيمياء والطبيعة ومتحف التاريخ الطبيعى

---

(١) محفظة ٤ (جهادية) رقم ١٨ من الوالى إلى مدير ديوان الجهادية فى ١٧ جمادى الأولى ١٢٦٥ .

(٢) Documents concernant le Dr. Clot Bey. p. 9.

بالأدوات والمجموعات اللازمة وعدم تخريج تلامذة من المدرسة قبل إكمال دراستهم وزيادة مدة الدراسة والإكثار من البعثات إلى أوربا (١).

على أن هذا التقرير لم يصادف حظه من العناية ، بل إن عباسا لم يرتح لما جاء فيه من عبارات المديح لكلوت بك ، وتعرضت المدرســـة نفسها للالغاء لولا شعور الحكومة بالحاجة إلى أطباء ، إذ أنه لما أنشئت المدرسة المفروزة أخذ تلامذة الطب اليها وأقفلت المدرسة أبوابها ثم عاد إليها نحو العشرين من نجباء التلامذة (٢).

ضاق عباس بالأطباء الفرنسيين ، كلوت ولالمان وغيرهما ، فتحول إلى وجهة أخرى : دعا إليه عباس طبيبه الخاص الألماني بروتر بك وطلب إليه أن يضع لمدرسة الطب نظاما جديدا ، ويقول كلوت إن الوالي طالب إلى بروتر أن يقدم اليه تقريرا يعارض فيه ما نشره كلوت ، وإن الدافع له لم يكن حقدا شخصياً ولكن رغبته في أن يحل العنصر الألماني في تعليم الطب محل العنصر الفرنسي (٣).

أقبل بروتر بك على عمله ، فبدأ باستعراض طلبة المدرسة وفصل الذين لايصلحون وإبقاء الصالحين (٤) ثم وضع نظاما لدروس المدرسة (٥).

---

(١) نشر كلوت بك هذا التقرير على أثر دعوته الى فرنسا بعنوانه : L'organisation médicale en Egypte jugée par le Dr. Lallemand, ضمن مجموعة عنوانها Relation des phases parcourues par l'Instruction médicale en Egypte sous les gouvernements d' Abbas et de Saïd Pacha .

(٢) على باشا مبارك : الخطط التوفيقية م ٣ ص ٨٨ ج ١١ Artin : L' Instruction Publique en Egypte. p. 89.

(٣) Relation des phases . . . . p. 560.

(٤) دفتر ١٢٩ (مدارس عربى) ص ١١٩٢ — عروض — الى مدرسة الطب البشرى فى ٢٧ جمادى الثانية ١٢٦٥

(٥) محفظة ٣ (مدارس) رقم ٣٦٥ أمر الى مدير المدارس فى ٢٧ رمضان ١٢٦٥

بدأ « بروتر » تقريره بأن الغاية من مدرسة الطب تخريج أطباء ليؤدوا وظائف المساعدين فى فرق الجيش والأقاليم والمستشفيات ، ومما يلفت النظر فى تقريره محاولة واضعه أن يربط ما بين المدرسة وحاجات البلاد « فيجب أن تكون العلوم والفنون التى تدرس فى تلك المدرسة مطابقة فى حالها وكيفيتها لطبع البلاد » . فى التاريخ الطبيعى تدرس الحيوانات والنباتات والمعادن المصرية وفى دراسة الأمراض تبذل العناية لتدريس أمراض المناطق الحارة وخاصة المتوطنة فى مصر الخ . ومن الأمور البارزة فى التقرير مناداته بضرورة تقديم العمل على العلم . لهذا يجب العناية بمعامل الطبيعة والكيمياء ومتحف التاريخ الطبيعى وحديقة النباتات ومكتبة المدرسة وقاعات التشريح ، ويجب أن لا يقتصر الطلبة على الدراسة بقاعات المدرسة بل يخرجون من وقت لآخر لمشاهدة ما يلزم مشاهدته ولتطبيق العلم على العمل ، كما يجب أن يقتصروا فى دراسة العلوم النظرية على الضرورى منها من غير الدخول فى التفصيلات .

وأشار التقرير إلى ضرورة الرجوع إلى الكتب الأجنبية فى علوم الطب ، لهذا ينبغى أن يكون الطلبة على علم بإحدى اللغات الأوربية . واعترف الطبيب الألمانى بأن اللغة السائدة فى مصر إذ ذاك هى اللغة الفرنسية ، وقد جرت العادة بتدريسها فى المدارس المصرية ، لهذا وجب أن تدرس فى جميع فرق المدرسة ، وأن يتمكن منها الطلبة المبعوثون إلى أوربا . وعزم عباس أن يعهد إلى أطباء من الألمان بالإشراف على تنفيذ مقترحات طبيبه الألمانى « بروتر » . فاستدعى من ألمانيا الدكتور Wilhelm Griesinger أستاذ الباثولوجيا فى جامعة كيل ليخلف كلوت بك رئيسا لشورى الأطباء ومديرا لمستشفى قصر العينى وطبيبا خاصا للوالى . وأقبل جريزنجر على عمله الجديد مؤملا أن يكشف عن أمراض هذه البلاد (المجهولة) ،

ووصل إلى القاهرة فى يونيه ١٨٥٠ يصحبه تلميذه السابق دكتور تيودور بلهارز Theodor Bilharz كمساعد له ودكتور راير Rayer الجراح ليعمل معه فى المستشفى والمدرسة .

ولكن سرعان ما وجد جريزنجر عمله محوطا بالمتاعب ، فزياراته للوالى فى الصحراء مضيعة للوقت ، واجتماعات مجلس الصحة (شورى الأطباء) لا طائل منها ، ووزير الحربية يهدد المدرسين المصريين بالعصا فى حضوره ، وتلامذته — وقد أخذ أكثرهم ذكاء للجيش — راغبون عن التعليم ، والمترجم الذى ينقل دروسه من الفرنسية إلى العربية جاهل الخ .

وما لبث جريزنجر أن ترك مصر فى مايو ١٨٥٢ عند انتهاء عقد استخدامه وكان لمدة عامين ، ولكنه كان قد أقبل على دراسة عادات الأهالى وأمراضهم ، وقد حاضر فى فينا وويزبادن — بعد عودته من مصر — فى الأمراض المصرية . وفى سنة ١٨٥٣ — ١٨٥٤ نشر مكتشفاته عنها ومنها الانكلستوما . وقد أصبح جريزنجر أستاذا للطب فى جامعة برلين ومرجعا هاما فى علم النفس [١] .

أما تيودور بلهارز — وكان قد تخرج فى جامعة فرايبورج فى ١٨٤٩ — فقد عمل فى قصر العينى مساعدا لجريزنجر ثم كان أستاذا مساعدا للجراحة ثم أستاذا للطب ، وفى سنة ١٨٥٦ أصبح أستاذا للتشريح الوصفى (Descriptive Anatomy) ، وفى سنة ١٨٦٢ صحب دوق جوتا إلى مصوع حيث أصيب بحمى التيفويد ومات

---

(١) Sandwith: The History of Kasr El Ainy (Records of the Egyptian Government . School of Medicine) p . 17 .

بها فى القاهرة فى ٩ مايو ١٨٦٢ [١] بعد أن أعلن اكتشافه ديدان المرض الذى سمى باسمه .

أما الكسندر راير فقد أتى إلى القاهرة فى ١٨٥٠ مع جريزنجر وخلفه بعد عامين مديرا لقصر العينى وطبيبا خاصا للوالى [٢] . ولما تولى سعيد باشا فى ١٨٥٤ ثبته فى هذين المنصبين وأضاف اليهما رياسة مجلس الصحة ، وقد ترك راير مصر فى سنة ١٨٦٠ وقد نشر بحوثه عن بعض الأمراض المصرية [٣] .

أما رياسة شورى الأطباء (أو مجلس الصحة) فقد عهد بها بالوكالة — بعد رحيل جريزنجر فى ١٨٥٢ — إلى طبيب ألمانى آخر هو الدكتور لاوتر (Lautner) [٤] وكان قبل ذلك بقليل عين معلماً بمدرسة الطب بناء على اقتراح لجنة امتحان المدرسة [٥] ، فكان هذا بدأ صلة لاوتر بخدمة الحكومة المصرية ، وقد استمرت هذه الصلة إلى حكم إسماعيل وانفصمت على أثر حادث مريب .

ولم يمض على ذلك سوى عام واحد ، ولم يفسح مزاج عباس القلق الجوال

---

(١) Franz Pacha : Notice Necrologique (Bull. de l' Inst. Egyptien 1896, p. 41 .

(٢) دفتر ٢١٦ (مدارس عربى) ص ٢٨٨٩ رقم ٣٣٥ الى مدرسة الطب فى ٥ شوال ١٢٦٨ و Mahfouz Pacha: Medical Instruction, p. 40

(٣) Rev. d' Egypte, Feb. 1896 p. 574 .

(٤) دفتر ٢٧٨ (مدارس عربى) ص ١٠٢٢ رقم ٢٨٧ من الجهادية فى ٤ ربيع الاول ١٢٦٩

(٥) دفتر ٢١٤١ (مدارس تركى) ص ٢٠٣ رقم ٢٧ فى ١٩ ذى القعدة ١٢٦٨

للأطباء الألمان أكثر مما فعل . فما لبث أن ضاق بالأساتذة الألمان فقرر في سنة ١٨٥٤ — وكان الدكتور لاوتنر وقتئذ بمعية الأمير إلهامي باشا في أوربا [١] — أن يتجه وجهة أخرى . وقد أشار عليه أحد التجار الإيطاليين المقربين اليه ويدعى « Petrucchi » بأن يتجه نحو عاصمة تسكانيا وفيها كلية للطب ذات شهرة ذائعة . فعهد اليه عباس بأن يختار من أساتذة فلورنسة طبيبين ممتازين يتعاقد معهما على العمل في مصر . وعين الدكتور « Raggi » طبيبا خاصا للوالي والدكتور «Ranzi» رئيسا لشورى الأطباء ومدرسة الطب ، وعهد إليهما بتدريس بعض فروع الطب في المدرسة ، وكان ذلك قبل موت عباس بشهور ثلاثة . ولم يستطع الأول أن يبقى طويلا بمصر فرحل عنها ، وبقى رانزى مقبلا على العمل [٢] . ووضع هو الآخر نظاما جديدا . فقد قيل إنه طلب إليه في عقد استخدامه أن ينظم مدرسة الطب بالقاهرة على مثال مدرسة فلورنسة [٣] . وقد انعقدت بين رانزى وكلوت صلات الود : فقد أعلن رانزى في افتتاح المدرسة عرفان مصر للخدمات التي أداها كلوت بك ، واعترف بأن النظام الذي وضعه للمؤسسات الطبية هو خير ما يمكن تطبيقه . وعلى أثر ذلك تبودلت خطابات الود بين الزميلين . وقال رانزى في آخر خطاباته للمؤسس الأول للمدرسة : « سأحاول أن أحتفظ بالنار المقدسة التي أشعلتها في هذه البلاد » [٤] .

---

(١) محفظة ٥ (معية تركي) رقم ٢٨١ من مدير المدارس الى كاتب الديوان الخديو في ٤ المحرم ١٢٧١

(٢) ودفتر ٣١٩ (مدارس عربي) ص ٥٧٦ رقم ٢٧ في ٥ رجب ١٢٧٠ ؛ Relation des phases . . . p . 7 - 8 .

(٣) Relation des phases . . . p . 17 .

(٤) Ibid, p . 8 - 13 .

وظل رانزى فى رياسة شورى الأطباء ومدرسة الطب حتى تولى سعيد باشا فى يوليه ١٨٥٤ وعاد كلوت بك إلى مصر فقدم رانزى استقالته ، ولم يكن قد مضى عليه فى مصر سوى عام واحد ، ووضع العمل بين يدى كلوت بك [١]

وهكذا اختلف على رياسة شورى الأطباء وإدارة المدرسة أربعة أطباء فى مدى أربعة أعوام (من ١٨٥٠ إلى ١٨٥٤) كما اختلفت عليها الثقافة الألمانية ثم الثقافة الإيطالية ، واضطربت المدرسة بين نظم مختلفة ترضع لتنقض ، وعاشت مدرسة الطب فى حكم عباس متعثرة لا تكاد تستقر على نظام حتى تخضع لنظام آخر .

هذا إلى أن المراجع العليا — من ديوان المدارس إلى الوالى نفسه — لم تكن تمنح المدرسة الرعاية اللازمة بل كانت تضيق عليها باستمرار ، فالمعلمون يقلون من المدرسة ولا يؤتى بمن يقوم على دروسهم ، والمعلمون يقضون سنوات طويلة من غير ترقية فتفتر هممهم ، ويرى الديوان أن المعيدين لا ضرورة لهم وأن المصححين يثقلون ميزانية المدرسة من غير عمل يقومون به ، والمكتبة فقيرة وحديقة النباتات تهدم ، وتشريح الجثث يؤذى الشعور فلا يجب الاقدام عليه إلا بحذر الخ . والحق أن لجان الامتحان — وأغلب أعضائها هم أعضاء شورى الأطباء — لم تقصر فى الشكوى من هذه الحال : فتقاريرها السنوية عن امتحانات المدرسة [٢]

---

(١) Ibid, p. 14 - 15.

(٢) انظر تقارير الامتحان السنوية فى : دفتر ٢١٣٥ (مدارس تركى) ص ١٤ رقم ٣ فى ٨ ذى الحجة ١٢٦٦ ودفتر ٢١٣٨ (مدارس تركى) ص ٢٥٤ رقم ٣٥ فى غرة ذى القعدة ١٢٦٧ ودفتر ٢١٤١ (مدارس تركى) ص ٢٠٣ رقم ٢٧ فى ١٩ ذى القعدة ١٢٦٨ ومحفظة ١ (معية تركى) رقم ١٧٩ ودفتر ٢١٤٥ (مدارس تركى) ص ٢٩ رقم ٢ فى ٢٩ صفر ١٢٧٠ ودفتر ٢١٤٩ (مدارس تركى) ص ٤٧ رقم ٨٩ فى ٢١ صفر ١٢٧١ .

تفيض بالتوصية على ترقيـــة المعلمين وتعيين المعيدين وتعزيز المكتبة .. الخ . ولكن السياسة العليا كانت تحرص على الاقتصاد . فرفض ديوان المدارس أن يضع ميزانية خاصة بالمدرسة ، إذ أن إدارة المدارس من اختصاص الديوان ، وطلبات المدرسة لا تزال تصرف فى حينها بفضل الخديو الأعظم فلا تعانى ضنكا بوجه من الوجوه »[1] .

وهكذا ضعف نشاط المدرسة العلمى ، وركدت حركة الترجمـــة التى أمدت المكتبة العربية فى عصر محمد على بمئات الكتب المعربة والمؤلفة فى مختلف فروع الطب . ولم نسمع عن عمل علمى جليل سوى الفراغ من وضع قاموس للطب واختلاف الأطباء فى أمر طبعه[2] ، حتى أزمع الديوان فصل مصححى المدرســـة « لعدم الإسراف على الميرى فى صرف شىء من غير لزوم »[3] . وكذلك اختفت

---

(١) دفتر ٢١٣٥ (مدارس تركى) ص ١٤ رقم ٣ من الديوان إلى الموكب العالى فى ٨ ذى الحجة ١٢٦٦

(٢) دفـــتر ٢٠٨ (مدارس عربى) ص ٢٢٦٠ رقم ٢٣٦ إلى الطب البشرى فى ١٤ جمادى الثانية ١٢٦٨

(٣) دفتر ٢٠٤ (مـــدارس عربى) ص ١٥٨١ رقم ٥١ إلى شورى الأطباء فى ٤ جمادى الثانية ١٢٦٨ . وكان باشمصحح المدرسة الشيخ محمد التونسى ، والمصححون الشيخ محمد هلال وكان يعطى دروسا فى العربية ، والشيخ سالم عوض ثم أحيل إلى المعاش وعين بدله الشيخ على محمود البقلى ، ثم الشيخ محمد الجرجى ، ثم الشيخ أحمد نجاتى ، ثم استغنى عن المصححين جميعا واكتفى بمصحح واحد ليقوم بالتصحيح وبإلقاء دروس اللغة العربية بمدرسة الطب ومدرسة الولادة . انظر دفتر ٢٠٨ (مدارس عربى) ص ٢٢٥٦ رقم ٢٥٨ إلى ...

« الوقائع الطبية » التي كانت المدرسة تقوم على وضعها ونشرها بين الأطباء [١] .

أما المستوى العلمي لطلبة المدرسة فلم يكن مما يطمأن اليه : كان بالمدرسة لما زارها الدكتور لالمان وامتحن تلامذتها في أواخر سنة ١٨٤٨ — أي في أوائل حكم عباس باشا — ١١٧ تلميذاً . ولما أنشئت مدرسة المفروزة واختير لها أفضل تلاميذ المدارس نقل اليها تلاميذ مدرسة الطب . ثم أعيد اليها — كامر بك — نحو العشرين تلميذاً ، وهم نواة مدرســة الطب في عهد عباس . ثم صدر الأمر باكمالها إلى ستين تلميذاً ، وأخذ الطلبة المطلوبون من المكتب العالي إلى مدرسة الألسن [٢] . وقد أشارت لجنة الامتحان في سنة ١٢٦٦ (١٨٤٩ — ١٨٥٠) بزيادة عدد تلامذة المدرسة إلى ١٢٠ تلميذاً ، ولكن عباسا وافق على إبلاغهم إلى تسعين فقط [٣] . وظلت المدرسة محتفظة بهذا العدد طوال حكم عباس . والحق أنه لم يكن من الحكمة التوسع في زيادة عدد تلامذة المدرسة في الظروف التي كان يجتازها التعليم

= : مدرسة الطب في ٢٧ جمادى الثانية ١٢٦٨ . دفتر ٢٢٨ (مدارس عربي) ص ١٤٨٢ رقم ٣١٨ من مدرسة الطب في ٢٠ جمادى الثانية ١٢٦٨ ، دفتر ٢٢٦ (مدارس عربي) ص١١٢٦ رقم ٧٥ من مشورة الطب في ٨ جمادى الثانية ١٢٦٨

(١) دفتر ١٥١ (مدارس عربي) ص ١٢٧ رقم ٢٧ من شورى الأطباء في ٨ ذي الحجة ١٢٦٥

(٢) دفتر ١٢٨ (مدارس عربي) ص ١٧٣٥ رقم ٥٩ إلى المكتب العالي في ١٢ ربيع الثاني ودفتر ١٢٩ (مدارس عربي) ص ٢٠٣٦ رقم ٦٢١ الى مدرسة الألسن في ٢٢ جمادى الثانية ١٢٦٥

(٣) دفتر ٤٧٥ (معية تركي) رقم ٢٥ من الجناب العالي الى مدير المدارس في ٢٥ ذي الحجة ١٢٦٦

فى مصر فى ذلك الوقت : فقد كان من الصعوبة بمكان أن تحصل المدرسة على كفايتها من التلامذة الذين أعدوا إعدادا علميا يؤهلهم لتلقى دروس الطب ، ذلك لأن المدرسة التجهيزية — وهى المعهد الوحيد الذى كان يقوم على إمداد المدارس الخصوصية بحاجتها من التلاميذ فى أوائل عصر عباس — كانت قد ألغيت فى الوقت الذى كانت فرقها الدراسية قد تمت وبدأت المدرسة تؤتى أكلها من التلاميذ الذين أتموا الدراسة التجهيزية ، وأنشىء بدلها قسم تجهيزى بمدرسة المهندسخانة لا يستطيع أن يخرج تلامذته إلا بعد مضى سنوات أربع . وقد بلغ من حاجة مدرسة الطب أن لجأت إلى قبول طلبة كل زادهم من العلم معرفة القراءة والكتابة وقليل من الحساب [1] . واجهت لجان الامتحان هذه المشكلة فلم تر لها حلا سوى قبول « أذكياء التجهيزية والمكاتب الأهلية وسائر الراغبين » [2] . وعادت مدرسة الطب فى سنة ١٨٤٩ إلى ما فعلته أول إنشائها فى سنة ١٨٢٧ : عادت إلى قبول تلاميذ من الأزهر والمكاتب بالقاهرة والأقاليم .

وكتب إلى شيخ الأزهر بذلك [3] ، ولكن شورى الأطباء لا يرتاح إلى هؤلاء الطلبة فى علومهم وسلوكهم ، فكان دائم الشكوى منهم ، يقبل البعض منهم ويرفض

---

(١) دفتر ١٤٣ (مدارس عربى) ص ٦٠٥ رقم ١٢ من مشورة الطب فى ١١ المحرم ١٢٦٦

(٢) دفتر ٢١٣٥ (مدارس تركى) ص ١٤ رقم ٣ الى الموكب العالى فى ٨ ذى الحجة ١٢٦٦

(٣) محفظة ٤ (مدارس) رقم ٢٩ الى مدير المدارس فى ٢٣ المحرم ١٢٦٧ ودفتر ١٧٣ (مدارس عربى) ص ٩٩٩ رقم ٧٠٠ الى شيخ الجامع الأزهر فى ٨ صفر ١٢٦٧

البعض الآخر محتجاً « بأن الفلاحين لا يصلحون تلامذة بمدرسة الطب » ! لهذا كان لا يقبل تلميذاً منهم إلا بعد امتحانه وإقامته فى المدرسة خمسة عشر يوما على سبيل التجربة ، فإن أثبت صلاحيته قبل نهائيا بالمدرسة وإلا أعيد إلى بلده [1] .

وضاقت المدرسة بهم ، فطلبت (زخما) لتأديبهم [2] ، وكثرت حوادث هروبهم من المدرسة [3] ، حتى إذا أمضوا عاما بالمدرسة فصل لفيف منهم ممن لم تر لجنة الامتحان لديهم قابلية أو قدرة لمتابعة دروس الطب .

وألحت شكوى الشورى ، فصدر أمر الوالى بالانصراف عن تلامذة الأزهر والمكاتب والاقتصار على قبول تلامذة التجهيزية [4] . ولكن المدرسة كانت تلقى أكبر الصعاب فى العثور على تلاميذ من التجهيزية يليقون لها ، حتى أنها ظلت تقبل تلاميذ من الخارج لا يمتاز أحدهم بشىء سوى « كونه يعرف يقرى ويكتب المطبوع » [5] لهذا ليس عجيباً إذا كانت المدرسة تشكو من أن تلامذة الفرقة الخامسة — أى السنة

---

(١) دفتر ١٨٧ (مدارس عربى) ص ٣٥٨ رقم ٥٠ من شورى الأطباء فى ٤ صفر ١٢٦٧

(٢) دفتر ١٩٠ (مدارس عربى) ص ٨٦٠ رقم ٢٢٧ من مدرسة الطب فى ١١ ربيع الثانى ١٢٦٧

(٣) دفتر ١٩٩ (مدارس عربى) ص ٥٦٠ رقم ٣٤ الى مدرسة الطب البشرى فى ١٨ ذى الحجة ١٢٦٧

(٤) دفتر ١٩٤ (مدارس عربى) ص ١٦٩٢ رقم ١٢٥ من شورى الأطباء فى ٦ شوال ١٢٦٧

(٥) دفتر ٢٨٧ (مدارس عربى) ص ٢٩٤٣ رقم ٥٣ من شورى الأطباء فى ٢٤ ذى القعدة ١٢٦٩

الأولى — لم يتموا «علوم المبتديان» [١]، وأنه «فى الزمن السابق كانت التلامذة تحضر من مدرسة التجهيزية متعلمة الحساب والآن صارت التلامذة التى تدخل لا تعلم الحساب وتعليمه ضرورى» [٢]. لهذا اضطرت المدرسة إلى أن تبدأ بتعليم تلامذتها ما كان يجب أن يتعلموه فى التجهيزية كالحساب واللغتين العربية والفرنسية والطبيعة والكيمياء الخ. واقتصر الاهتمام فى تدريسهم علوم الطب على المبادئ العامة دون الدخول فى التفصيلات. وفاضت تقارير الامتحان بالشكوى من ضعف التلاميذ ونقص خبرتهم العملية واقتصارهم على حفظ كلمات وعبارات عن ظهر قلب دون تصور أو تعقل. لهذا كله لا يسعنا إلا أن نحكم بأن إنتاج المدرسة — وكانت تخرج نحو عشرة أطباء فى كل عام — كان لجا، وأن كفاءة الأساتذة الألمان أو الايطاليين لم تستطع أن تعوض النقص الكبير الذى لحظناه فى تلاميذ مدرسة الطب.

مدرســـــة الولادة

أنشئت مدرسة الولادة [٣] بمستشفى أبى زعبل فى سنة ١٨٣٢، وكانت نواتها الأولى أغوين وعشراً من الجوارى. ونجحت التجربة نجاحا شجع الحكومة على أن تزيد عدد تلميذات المدرسة حتى وصل فى أواخر عصر محمد على إلى ستين تلميذة جلهن من

---

(١) دفتر ١٦٤ (مدارس عربى) ص ١٣٤٣ رقم ١٦٨ من شورى الأطباء فى ١٧ رجب ١٢٦٦

(٢) دفتر ٤٣٩ (مدارس عربى) ص ٢٩٦ رقم ٨٥ من مدرسة الطب البشرى فى ٢٧ محرم ١٢٧١

(٣) انظر عن تاريخ مدرسة الولادة فى عصر محمد على: تاريخ التعليم فى عصر محمد على للمؤلف ص ٢٩٤ — ٣٠٩

المصريات الفقيرات اللاتى لا عائل لهن أو من بنات الجند ، ولم يكن يشترط فيهن معرفة القراءة والكتابة ، بل كان يكفى أن يكن أبكارا تتراوح أعمارهن بين الثانية عشرة والثالثة عشرة حسنات السير والسلوك .

ولما نقلت مدرسة الطب إلى قصر العينى فى سنة ١٨٣٧ نقلت إليه مدرسة الولادة أيضا ، ثم نقلت بعد أشهر إلى المستشفى الملكى الذى أنشىء فى الأزبكية [١] .

وكانت مدرسة الولادة إحدى المدارس القليلة التى احتفظ بها عباس باشا .

وقد عمل شورى الأطباء على تدعيم المدرسة والتمكين لها فى حياة البلاد رغم المعارضة المستمرة التى كانت تلقاها مقترحاته من ديوان المدارس الذى وقف ينافح عما كان يدعوه « تقاليد » البلاد .

وجد شورى الأطباء أن تلميذات المدرسة لاتتاح لهن فرصة المران على التوليد ، فقد مضت سنتان لم تؤم مستشفى النساء للوضع سوى ثلاث حوامل ، فاقترح الشورى لعلاج هذا النقص إجراءا متبعا فى بعض الدول الأوربية ، وهو أن تبث الدعوة بين النساء الفقيرات حتى إذا قرب وضعهن ذهبن إلى المستشفى فوضعن فيه حملهن ، ولكل منهن ثلاثون قرشا ولطفلها ملابس بإثنى عشر قرشا مساعدة لهن وتشجيعا لغيرهن . وبذا تستطيع التلميذات تحت إشراف معلماتهن الطبيبات أن يقمن بعمليات التوليد ويستطيع المستشفى فى الوقت نفسه أن يختار من بين هؤلاء النساء من يحتاج إليه من

---

(١) وقد رؤى فى سنة ١٨٥٠ نقل مستشفى النساء ومدرسة الولادة من المستشفى الملكى بالأزبكية إلى مستشفى قصر العينى ، ثم صدر الأمر العالى بذلك بعد ثلاث سنوات ، ولكن الأمر لم ينفذ لاعتراض شورى الأطباء — دفتر ٣١٣ (مدارس تركى) ص ١٠٤ رقم ٧٥ إلى مفتش المبانى فى ٦ ربيع الأول ١٢٦٦ ومحفظة (معية تركى) رقم ٧٥ إلى كاتب الديوان الخديو فى ٢٨ صفر ١٢٧٠ .

المراضع (١) . ولكن الديوان يحتج آنا بأن هذا الإجراء لاينجح فى مصر لأن « حريمات هذه الديار لاتماثل حريمات أوربا » ، فهن لم يعتدن هذا ولا يردن أن يراهن أحد وقت الوضع ، بل يفضلن أن يبقين فى بيوتهن حتى يخدمهن أهلوهن فى حالتى الوضع والنفاس . ويحتج أحيانا أخرى بأن هذا الإجراء يقتضى الحكومة نفقات لاقبل لها بها . واقترح الديوان أنه كلما دعيت معلمة بالمدرسة إلى توليد إحدى النساء فى بيتها صحبتها بعض التلميذات لمساعدتها والإفادة مما يرين (٢) .

ولكن شورى الأطباء لايسلم بهذا ، ويرفع الأمر إلى مجلس الأحكام ليرى رأيه فى ما يتطلبه هذا الأمر من النفقات التى تزيد على الميزانية المقررة (٣) . فرفض مجلس الأحكام واكتفى بالكتابة إلى « الضابطخانه » بأن ينبه على مشايخ الحارات بأن من قرب وضعها من النساء الفقيرات ترسل إلى المستشفى ليبعث لها بطبيبة وتلميذة أو تلميذتين « لرؤية مايلزم رؤيته وتحصل الاكتساب » (٤) .

ثم رؤى — إزاء إلحاح شورى الأطباء — أن يؤتى بالحوامل الفقيرات طبقاً لرغبتهن إلى المستشفى ، فيضعن حملهن باشراف طبيباته وتلميذاته وينفق عليهن بالمستشفى أسوة بسائر المرضى ، أما منحهن النقود والكسى فسيحمل الحكومة مصاريف جديدة

---

(١) دفتر ١٥٨ (مدارس عربى) ص١٤٧ رقم ٢٥ من شورى الأطباء فى ٦ المحرم ١٢٦٥

(٢) دفتر ١٤١ (مدارس عربى) ص ٣٤٣ رقم ١١ الى شورى الأطباء فى ١٩ ذى الحجة ١٢٦٥ .

(٣) دفتر ١٤٣ (مدارس عربى) ص ٦٠٦ رقم ٥٧ الى مجلس الأحكام فى ١٢ المحرم ١٢٦٦

(٤) دفتر ١٤٣ (مدارس عربى) ص٧٦٣ رقم ٢٤ الى الضابطخانه فى ٢٤ المحرم ١٢٦٦ .

لاتسيغها (١) .

على أن شورى الأطباء لم ييأس من حمل الحكومة على تعديل قرارها . واستفاضت تقارير امتحان المدرسة بالدعوة إلى هذا الاجراء . وأخيرا استقر الرأى على أن جلب الحوامل إلى المستشفى منوط برغبتهن ، ويقمن فيه على نفقة الحكومة ، وعند خروجهن منه تمنح كل واحدة منهن لباسا وقميصا (٢) . ووقف الأمر عند هذا الحد .

واقترح شورى الأطباء — تدعيما للمدرسة وإفساحا لمجال العمل أمام خريجاتها — أن تقيد المولدات القائمات بالعمل فى دفتر خاص ، ولا يسمح لغيرهن بمزاولة مهنتهن إلا إذا تخرجت فى مدرسة الولادة وحازت منها على شهادة خاصة . وفوائد ذلك كثيرة منها : أن يقل عدد المولدات الجاهلات اللاتى لم يتلقين مهنتهن فى مدرسة ما ، وأن تعتاد النساء الحوامل على تلميذات المدرسة اللاتى يعلمن أن مستقبلهن أصبح مكفولا فيقبلن على التعليم (٣) .

ولكن ديوان المدارس رفض هذا الإجراء ، محتجاً بأن العادة جرت بأنه كلما ذهبت مولدة لزيارة حامل صحبتها بنتها أو أختها أو خادمتها ، ومن تكرار النظر تتعلم مهنة التوليد ولا يستطيع أحد أن يمنعها من ذلك . ومنع القوابل الجهلا لا يكون إلا بشهرة التلامذة فمن المعلوم أنه كلما تشتهر التلامذة وأهالى البلد تأخذ عليهم

---

(١) دفتر ١٤٥ (مدارس عربى) ص ٩٩٤ رقم ٤٦ الى شورى الاطباء فى غرة ربيع الأول ١٢٦٦ .

(٢) دفتر ٢١٤١ (مدارس تركى) ص ٢٠٣ رقم ٢٧ فى ١٩ ذى القعدة ١٢٦٨ — من تقرير امتحان سنة ١٢٦٨

(٣) دفتر ١٥٨ (مدارس عربى) ص ١٤٧ رقم ٢٦ من شورى الأطباء فى ٩ المحرم ١٢٦٥ و ص ١٩٥ رقم ٤٣ فى ٢٨ المحرم ١٢٦٥

فبالضرورة يمتنع الآخرين شيء فشيء » (١) .

وقد نقص عدد تلميذات المدرسة حتى أصبح المرتب لها ثلاثين تلميذة (٢) ، واحتفظت المدرسة بهذا العدد طوال عصر عباس ، ورفض الديوان الموافقة على اقتراح لجنة امتحان المدرسة فى سنة ١٢٦٦ رفع عدد التلميذات إلى أربعين (٣) . وما كان يسيراً أن تجد المدرسة كفايتها من التلميذات فى وقت وجيز لأنهن لا يؤخذن لها « من جهة معلومة » ، بل جرت العادة بأن كل من يتقدم بها أهلها لخصت طبياً بالديوان فإن وجدت صالحة ألحقت بالمدرسة (٤) ، وكان يختار لها أحيانا من البنات اللاتى تقوم الحكومة بتربيتهن فى تكية الفقراء بطيلون (٥) . وكان شورى الأطباء يصطنع الدقة فى اختيار تلميذات المدرسة ، فكان يرفض البعض منهن ويقبل البعض الآخر « على قبول التجربة » (٦) .

---

(١) دفتر ١٤٢ (مــــدارس عربى) ص ٤٠٤ رقم ١٣ إلى شورى الأطباء فى ١٩ ذى الحجة ١٢٦٥

(٢) دفتر ١٢٨ (مدارس عربى) ص ١٩٠ رقم ٣٩ من شورى الأطباء فى ٢٧ المحرم ١٢٦٥

(٣) دفتر ٢١٣٥ (مدارس تركى) ص ١٤ رقم ٣ الى الموكب العالى فى ٨ ذى الحجة ١٢٦٦

(٤) دفتر ١٤٢ (مــــدارس عربى) ص ٥٣٢ رقم ١٩ الى شورى الأطباء فى ٤ المحرم ١٢٦٦

(٥) دفتر ١٧٢ (مــــدارس عربى) ص ٩٤٠ رقم ٦٥٥ الى الاسبتالية الملكية فى ٣ صفر ١٢٦٧

(٦) دفتر ١٨٧ (مــــدارس عربى) ص ٣٥٨ رقم ٤٦ من شورى الأطباء فى ٣ صفر ١٢٦٧

وكان عدد من تخرجه المدرسة من الطبيبات يتراوح بين أربع وست فى كل عام، وكن يعملن طبيبات بأقسام القاهرة والأقاليم ومعيدات بالمدرسة . وكانت الطبيبة تمنح حين تخرجها رتبة « أسبيران تان » ومرتبا قدره مائة قرش فى الشهر عدا بدل التعيين والكسوة وغذاء دابتها فى كل يوم ، وعند زواجها تصرف لها مكافأة قدرها خمسة أكياس (١) ، ثم رؤى مساواتهن (بزملائهن) المتخرجين فى مدرسة الطب البشرى فتقرر منحهن عند التخرج والتعيين رتبة الملازم الثانى (٢) .

وكان يقوم بالتعليم فى المدرسة طبيبة أوروبية تدعى السيدة صوفى ، وكانت تعمل فى المدرسة بعقد منذ سنة ١٨٤٦ ، وكانت تتناول فى الشهر مرتبا قدره ١٥٠٠ قرش ، ورأى الديوان مكافأتها على غيرتها فى عملها فخصص لها بدل التعيين الخاص برتبة الصاغقول أغاسى (٣) . وكانت تساعدها فى عملها معلمة وطنية من خريجات المدرسة وهى السيدة تمرهان ، وكانت تقارير الامتحان السنوية تفيض بالثناء على إخلاصها وكفايتها وتوصى بترقيتها .

فلما انتهى عقد السيدة الأوربية فى اكتوبر ١٨٥٠ خلفتها السيدة تمرهان ، ورفع

---

(٨) دفتر ١٢٧ (مدارس عربى) ص ١٢٧٦ رقم ٢٣١ الى مدرسة الطب البشرى فى ١٠ صفر ١٢٦٥ ، دفتر ١٦٣ (مدارس عربى) ص ١٠٥٤ رقم ١٢٤ من مدرسة الطب البشرى فى ٢٥ جمادى الاولى ١٢٧٠

(٩) محفظة ٢ (معيـــة تركى) رقم ١٣٧ الى كاتب ديوان الخديوى فى ٢٧ جمادى الاولى ١٢٧٠ ، دفتر ٣٢٩ (مدارس عربى) ص ٢٣٨٥ رقم ٤٢ من شورى الاطباء فى ٢٩ شعبان ١٢٧٠

(١) دفتر ٢١٣٥ (مـدارس تركى) ص ١٤ رقم ٣ إلى الموكب العالى فى ٨ ذى الحجة ١٢٦٦ .

راتبها ، وكان معها مساعدتان أو معيدتان من خريجات المدرسة لكل منهما في الشهر مائة قرش [١] .

وكان الشيخ على العدوى يقوم بتعليم الطالبات اللغة العربية [٢] . أما من الناحية الإدارية فكان لمدرسة الولادة ناظر خاص يدعى أحيانا « معلم مدرسة الولادة » ، وهو الدكتور أحمد الرشيدى [٣] أحد معلمى مدرسة الطب ومن أوائل خريجى المدرسة وبعثاتها .

ولكن ناظر مدرسة الطب كان يعد رئيس مدرسة الولادة ، وكان مسئولا عن إدارتها أمام الديوان [٤] . أما شورى الأطباء فكانت له على المدرستين الرياسة الفنية العليا .

---

(١) دفتر ١٩٨ (مدارس عربى) ص ٢٥٢ رقم ١٤٤ إلى الحسابات فى ٤ المحرم ١٢٦٨ ودفتر ٢١٤١ (مدارس تركى) ص ٢٠٣ رقم ٢٧ فى ١٩ ذى القعدة ١٢٦٨

(٢) دفتر ٢٠٠ (مدارس عربى) ص ٧٤٦ رقم ٧٥ إلى مدرسة الطب البشرى فى غرة صفر ١٢٦٨

(٣) دفتر ١٧٢ (مدارس عربى) ص ٩١٧ رقم ٩٦ الى مدرسة الطب البشرى فى غاية المحرم ١٢٦٧

(٤) دفتر ١٥٧ (مدارس عربى) ص ٣٤٠٣ رقم ٢٦٢ الى مدرسة الطب البشرى فى ٣ ذى القعدة ١٢٦٦

مدرسة المهندسخانة

أنشئت مدرسة المهندسخانة ببولاق فى سنة ١٨٣٤ (١) . ومن ذلك الوقت مضت تسجل فى تاريخ النهضة التعليمية والعمرانية فى عصر محمد على أثرا بارزا أشادت به لجنة تنظيم التعليم فى سنة ١٨٤٠ ، فالى هذا المعهد ، يرجع الفضل فى تخريج عدد كبير من المدرسين المصريين المتخصصين فى العلوم الرياضية ومن المهندسين المصريين الذين قاموا على ما تستلزمه النهضة الزراعية والصناعية والعمرانية من منشئات ، وإليه يرجع الفضل كذلك فى بعث النهضة العلمية الماثلة فى ذلك العدد الضخم من الكتب المؤلفة أو المعربة فى فنون الرياضة على اختلاف شكولها وفروعها (٢) .

وانتهى عصر محمد على والمدرسة — تحت إدارة لامبير بك — ماضية فى عملها ، ونشاطها العلمى مستمر . فعلمو المدرسة قائمون على التدريس لطلبتها ومترجموها ومصححوها قائمون على ترجمة الكتب وتصحيحها ثم طبعها فى مطبعة الحجر الملحقة بها أو فى المطبعة الكبرى ببولاق لينتفع بها المعلمون والمهندسون فى المدارس وفى خارجها (٣) .

---

(١) عن المدرسة فى عهد محمد على انظر تاريخ التعليم فى عصر محمد على للمؤلف ص ٣٦٢ — ٣٧٦

(٢) المصدر السابق ص ٣٧٥

(٣) دفتر ١٢٦ (مدارس عربى) ص ٩٧٨ رقم ٢٦٠ الى المهندسخانة فى ١٨ المحرم ١٢٦٥ ودفتر ١٤٨ (مدارس عربى) ص ١٦٩ رقم ٢٩٧ الى المهندسخانة فى ٢٩ ربيع الثانى ١٢٦٦ ودفتر ١٢٧ (مدارس عربى) ص ١٣٥٧ رقم ٣٥٠ الى المهندسخانة فى ٢٧ صفر ١٢٦٥

ومضت المدرسة مطمئنة إلى مصيرها فأخرجت من تلامذتها من رأته لا يصلح للدراسة فيها ، وأفادت من إلغاء المدارس الأخرى فألحقت بها من تلامذتها نحو الأربعين ، مزمعة أن تصل بمجموع تلامذتها إلى الستين [١] ، زادتهم بعد عام عشرا [٢] .

ومضى ناظرها — لامبير — مطمئنا إلى عمله فوضع لتعليم تلامذته « ترتيبا » قسمهم فيه إلى فرق أربع ونظم لكل فرقة دروسها ومعلميها [٣] .

وكان لهذا الاطمئنان ما يبرره . حقا إن الجو كان متجهما لمدارس محمد على والرجال الذين خدموا محمد على ، ولكن كان الشائع أن الأمر حتى ذلك الوقت لا يعدو الاقتصاد ، وأن هذه المدارس ستخرج من هذا الجو العاصف سليمة الأركان ، حتى إذا كانت لوائح ١٣ شعبان ١٢٦٥ (يونية ١٨٤٩) احتفظ بالمهندسخانة كما احتفظ بأكثر المدارس ، وإن تكن سياسة الاقتصاد قد أدت إلى قصر المدرسة على عدد أقل مما كان مقررا لها من التلاميذ والخدم [٤] .

---

(١) دفتر ١٢٩ (مدارس عربى) ص ٢٠٠٢ رقم ٥٩١ الى المهندسخانة فى ٢٩ جمادى الأولى ١٢٦٥ ودفتر ١٢٩ (مدارس عربى) ص ٢٠٠٥ رقم ٥٨٨ الى مدرسة الألسن فى ٧ جمادى الثانية ١٢٦٥

(٢) دفتر ١٦٢ (مدارس عربى) ص ٩١٩ رقم ٣٦٩ من المهندسخانة فى ١٠ جمادى الأولى ١٢٦٦

(٣) دفتر ١٢٩ (مدارس عربى) ص ٢٠٣٣ رقم ٦٢٣ الى المهندسخانة فى ٢٠ جمادى الثانية ١٢٦٥

(٤) دفتر ١٢٩ (مدارس عربى) ص ٢١٤٦ رقم ٧٢٧ الى المهندسخانة فى ١٧ شعبان ١٢٦٥

ولكن لم تمض شهور معدودات على صدور هذه اللوائح حتى اتجه الرأى إلى وضع لوائح جديدة ، وعهد إلى لامبير بك ناظر المهندسخانة بهذا العمل . وقد رأيت كيف فشل لامبير فى أن ينال (ترتيبه) موافقة عباس لأنه «استعظم» النفقات التى يقتضيها هذا الترتيب .

وفى تلك الأثناء كان «الأفندية الامتحانجية» على مبارك وعلى إبراهيم وحماد عبد العاطى قد فرغوا من امتحان المهندسين ، فعرض عليهم عباس «الترتيب» الذى وضعه أستاذهم القديم لامبير لينظروا فيه ويضعوا ترتيباً آخر . ولسنا نود أن نعود إلى تفصيل الخطوات التى أدت إلى صدور اللوائح الجديدة فى رجب ١٢٦٦ فقد تحدثنا عنها فى موضع سابق[١] . ولكنا نكتفى بأن نذكر هنا أن عباسا ارتاح إلى (الترتيب) الذى وضعه على مبارك فقفز به إلى نظارة المهندسخانة . - وقد أصبحت محور النظام التعليمى الجديد — ومنحه رتبة الأميرالاى ، أما لامبير بك فأمر عباس بإعادته إلى وظيفته السابقة وهى العضوية بمجلس سك النقود[٢] .

وضمت مدرستا المبتديان والتجهيزية إلى المهندسخانة ، وألغى المرصد ريثما يعود المهندسون الذين أرسلوا إلى فرنسا لدراسة الفلك . وبذلك بدأت المهندسخانة عهداً جديداً فى تاريخها لم يطل أكثر من أربع سنوات (١٨٥٠ — ١٨٥٤) .

---

(١) أنظر فيما سبق ص ٢١ — ٢٦

(٢) محفظة ٤ (مدارس) رقم ١٥ أمر الى مدير ديوان المدارس فى ٢٤ جمادى الثانية ١٢٦٦ ويظهر أن لامبير بك لم يقبل هـذا المنصب بل آثر الرحيل الى بلاده (فى سنة ١٢٦٦) فربطت له الحكومة المصرية معاشا حتى مات فى وطنه سنة ١٢٨١ (١٨٦٤) الخطط التوفيقية م٢ ج ٨ ص ٢٣ .

والواقع يحق لعلى مبارك أن يهنأ (بترتيبه) الجديد وما جاء فيه من « أصول مخترعة » لولاها ما استطاع أن يهبط بميزانية مدارسه إلى خمسة آلاف من الجنيهات. منها أنه جعل أكثر مدرسي مدرسته — أو مدارسه — يعملون بالساعة ! ، ويتراوح أجر الواحد منهم في الساعة بين الخمسة والثمانية قروش[1]. وقد قيل في تعليل هذا — بعد ذلك بسنوات — أنه « مما يقوى اجتهاد المعلمين في تعليمات التلامذة وحثهم على التعليمات في الأوقات المعينة »[2] ومن المدرسين من يعمل (بالمقاولة) ! فهذا مدرس للخط يعلم التلامذة الثلث والرقعة والنسخ وله « على كل تلميذ عشرة فضة » ، حتى إذا رأى المبلغ قليلا واستقال من المدرسة طلبت المدرسة إلى الديوان أن يعين لها ثلاثة من المعلمين بهذا المبلغ[3].

والحق أن تقارير لجان الامتحان وناظر المدرسة لم تقصر في التوصية بهم ، ولكن ديوان المدارس والجناب العالى لم يكونا أكثر سخاء للمهندسخانة ، بل أكثر من ذلك كان لهؤلاء المدرسين — في أواخر حكم عباس — قبل الحكومة ٣٣,٠٠٠ قرش رفعوا عقيرتهم ملحين في طلبها[4].

---

(١) دفتر ١٥٣ (مـــدارس عربي) ص ٢٧٦٨ رقم ٥٥٤ الى المهندسخانة في ٨ شعبان ١٢٦٦

(٢) ومما هو جدير بالنظر أن المدة التي يقضيها المدرس وهو يعمل (بالحصة) لم تكن تحسب له في (معاشه) دفتر ٤١٦ (مدارس عربي) ص ٢٢ رقم ١ إلى الداخلية في ١٥ شوال ١٢٨٥ .

(٣) دفتر ١٦٥ (مدارس عربي) ص ١٤٨٣ رقم ٦٨٥ من المهندسخانة في ١٢ شعبان ١٢٦٦ .

(٤) دفتر ٢٩٩ (مدارس عربي) ص ١٤٥٧ رقم ٥٠٨ إلى المالية في ١١ ربيع الثاني ١٢٧٠ .

هذا إلى أنهم كانوا يؤدون أعمالا كثيرة : فعليهم — عدا تأدية دروسهم المخصصة عليهم — أن يترجموا كتباً للمدارس التى يعملون بها وللمدارس الأخرى كالطب والمفروزة ولفرق الجيش[١] ، ثم يقوم على تصحيحها مصححون ملحقون بالمدرسة ، ثم تطبع فى (مطبعة حجر) خاصة بالمدرسة أو بالمطبعة الكبرى ببولاق . وقد طلبت المدرسة — لمواجهة التوسع فى ترجمة الكتب وطبعها — أن يؤتى لمطبعة المدرسة (بلازمة حروف أفرنكية) ، فرفض الديوان محتجا بقرب المطبعة الكبرى (ببولاق) من المهندسخانة[٢] .

كما أن مدرسى المدرسة وناظرها كانوا كثيرا ما يندبون لأداء بعض الخدمات خارج المدرسة : كالإشراف على عمائر الحكومة ومناجمها والتفتيش عن مدرسة العمليات وامتحان تلامذتها وتحقيق بعض القضايا ، حتى ضاقت المدرسة ذرعاً وطلبت أن لا يشغل المدرسون بأعمال أخرى غير دروسهم حرصاً على مصلحة التلاميذ[٣] . ولكن ديوان المدارس أجاب بأنه عند الامتحان « إذا وجد أن التلامذة حصل لهم تعطيل كما قيل يصير تنزيل مدة غياب الخرجات »[٤] !

---

(١) دفتر ٢٥٢ (مدارس عربى) ص ٣٠٥٠ رقم ٣١١ الى المهندسخانة فى ١٣ ربيع الثانى ١٢٦٩ .

(٢) دفتر ٢٩٦ (مدارس عربى) ص ٩١٠ رقم ٢٣٦ الى المهندسخانة فى ٢٨ صفر ١٢٧٠ .

(٣) دفتر ٢١٨ (مدارس عربى) ص ٤٢٥٩ رقم ٥٨١ الى المهندسخانة فى غرة ذى القعدة ١٢٦٨ .

(٤) دفتر ٣٠٠ (مدارس عربى) ص ١٧٦٢ رقم ٣٨٤ الى المهندسخانة فى ١٠ جمادى الأولى ١٢٧٠ .

وقد أتيح للمدرسة — فى شخص ناظرها على مبارك بك — إدارة حازمة مستنيرة . ولقد كانت هذه الفترة (من ١٨٥٠ إلى ١٨٥٤) من أحفل الفترات فى تاريخ حياته . والواقع إنها أعدت على مبارك وهيأته للدور الخطير الذى سيقوم به فى إدارة التعليم وتوجيهه بعد ذلك فى عصر اسماعيل وبعد عصر اسماعيل . يقول على مبارك عن إدارته للمهندسخانة « وكل ذلك كان لا يشغلنى عن التفاتى للتلامذة فى مأكلهم ومشربهم وملبسهم وتعليمهم وغير ذلك ، وكنت أباشر ذلك بنفسى حتى أعلم التلميذ كيف يلبس وكيف يقرأ وكيف يكتب وألاحظ المعلم كيف يلقى الدروس وكيف يؤدب التلامذة الخ »[1] .

وهكذا غدت المهندسخانة — بميزانيتها الضئيلة — مركزاً لحركة تعليمية وعمرانية قوية وأدت خدمات جليلة للبلاد فى تلك الفترة القصيرة من تاريخها .

ومما يذكر بالفخر للمهندسخانة أن ناظرها وأكثر مدرسيها كانوا من المصريين الذين تخرجوا فيها ثم أتموا الدراسة بأوربا أو عملوا بها معيدين أو مساعدين لأساتذتها ، ولم يكن بها من الأجانب فى ذلك الوقت سوى مسيو لانجلوا (Langlois) وكان « معلم ترميم آلات بها » وقد عين بعقد منذ سنة ١٨٤٨[2] ، وظل يخدم فى مصر حتى عصر إسماعيل . وفيما يلى نثبت أسماء أساتذة المدرسة وموظفيها :

ناظر المدرسـة : على بك مبارك ، وقد عين فى ٢٤ جمادى الثانية ١٢٦٦

---

(١) الخطط التوفيقية م ٣ ج ٩ ص ٤٥

(٢) دفتر ٢٠١ (مـدارس عربى) ص ٩٥٨ رقم ٤٧٦ الى المالية فى ٥ ربيع الأول ١٢٦٨

(ابريل ١٨٥٠) وفصل فى ١٤ ذى الحجة ١٢٧٠ (سبتمبر ١٨٥٤) حين ألحق بالجهادية وسافر مع الحملة المصرية إلى بلاد القرم[١] . وكان يلقى على تلاميذ المهندسخانة دروساً فى الطبيعة والعمارة ويقوم بتأليف الكتب ومراجعة التراجم ... الخ[٢] .

وكيل المهندسخانة : البكباشى أحمد أفندى فايد ، وهو من أساتذة المدرسة القدامى

وكيل التجهيزية والمبتديان : على أفندى بدوى ثم على أفندى عزت ، وكلاهما من أساتذة المهندسخانة .

مدرسو اللغة التركية : عثمان نورى ، حمدى أفندى ، عبد الغفور أفندى .

مدرسو التاريخ والجغرافيا والفرنسية : حسن الشاذلى ، منصور عزمى ، مصطفى سيد احمد ، إبراهيم مصطفى ، أبو السعود ، عبد الله السيد ، السيد صالح مجدى ، إبراهيم البياع ، وأكثرهم من تلامذة مدرسة الألسن وكانوا يترجمون الكتب ومنهم كذلك ضباط فصول .

مدرسو الرياضة : خليفه حسن ، أحمد مصطفى أبو سن ، أحمد دقله ، أيوب صالح ، عبد الله قطب .

مدرس الكيمياء والمعادن : مصطفى المجدلى .

مدرسو الخط : مذكور أفندى للثلث والنسخ والتبيض وملاحظة أشغال

---

(١) دفتر ٣١٦ (مدارس عربى) ص ٥١٥٦ رقم ١٥٤٣ الى الجهادية فى ١٤ ذى الحجة ١٢٧٠ .

(٢) الخطط التوفيقية م ٣ ج ٩ ص ٤٥ . وقد أخذنا أسماء المعلمين من تقارير امتحانات المدرسة فى سنوات مختلفة .

المطبعة ، ومصطفى على للرقمة وأمانة صندوق المدرسة ، وحسن بخيت للثلث والتبييض ومعاونة ناظر المهمات .

مدرسا الرسم : حسن عبد الله ، وحسن الورداني .

طبيب ومساعد لمعلم الكيمياء : أحمد عبد الصمد .

معاونو دروس (معيدون) وضباط فصول : عامر سعد ، عطا حسن ، أحمد ناصر .

أمين مكتب المدرسة وناظر مهماتها : عبد الله أغا .

مصحح المدرسة : الشيخ إبراهيم الدسوقي .[1]

تلامذة المدرسة

نظمت المدرسة على أن يكون بها — في أقسامها الثلاثة : الهندسة والتجهيزية والمبتديان — ٢٧٠ تلميذاً موزعين على عشر فرق[2] . وقد حاولت المدرسة بعد ذلك

---

(١) وكان مساعداً لتصحيح الكتب الطبية بمدرسة الطب ثم نقل رئيساً لمصححي المهندسخانة القديمة . وفي المدرسة (الحالية) كان يقوم بتعليم العربية لفرقتين من تلامذتها ، وكيفية توفية الترجمة حقها عند النقل من اللغة الفرنساوية الى اللغة العربية ، كما أنه كان يقوم بتصحيح كتب الرياضة . ولما ألغيت المهندسخانة في أوائل حكم سعيد عين الشيخ الدسوقي مصححاً بمطبعة بولاق مع اشتغاله بتحرير الوقائع المصرية ، ثم عينه اسماعيل رئيساً لمصححي كتب العلوم بمطبعة بولاق ، ثم أحيل الى المعاش حتى توفي في سنة ١٣٠٠ (١٨٨٣) . وكان صديقاً للمستشرق لين وأعانه على نشر (تاج العروس) انظر الخطط التوفيقية م ٣ ج ١١ ص ٩ وتاريخ التعليم في عصر محمد علي للمؤلف ص ٢٥٨ و٣٦٩ .

(٢) دفتر ١٧٤ (مدارس عربي) ص ١٣٨٢ رقم ٣٢٣ الى المهندسخانة في ٢٦ ربيع الاول ١٢٦٧

أن تتخلص من هذا القيد ، فشرعت تلحق بها تلامذة يزيدون على العدد المقرر لها ، ولكن ديوان المدارس لم يقبل ووقف بها عند هذا الحد[١] . وكانت المدرسة ترفض أن تبعث تلامذة من قسمها التجهيزي إلى مدرسة الطب قبل أن يستكملوا علومهم التجهيزية[٢] ، لهذا اضطر ديوان المدارس — كما رأيت — إلى أن يأخذ تلامذة الأزهر والمكاتب .

نقل المدرسة

على أثر ضم مدرستي المبتديان والتجهيزية إلى المهندسخانة ضاق بناؤها — في بولاق — بالتلاميذ ، ورأى الديوان أن « ضيق المحلات يحصل منه الوخامة والأمراض » ، فروى نقل « الكتبخانة الأفرنكية » من المهندسخانة إلى مدرسة الطب ، وكتب إلى (الأبنية) بإجراء (عمارة) بمدرسة المهندسخانة بغية توسيعها[٣] .

وبعد عام من تنظيم المدرسة (أي في أوائل سنة ١٨٥١) صدر أمر عباس باشا بنقل المهندسخانة من مكانها القديم في بولاق — وكان ملكا للأمير محمد علي باشا[٤] —

---

(١) دفتر ٢٤٦ (مدارس عربي) ص ١٨٤٠ رقم ٢٠٨ الى المهندسخانة في ٢٤ صفر ١٢٦٩

(٢) دفتر ٢٢٣ (مدارس عربي) ص ٤١٥ رقم ١٢٧ من المهندسخانة في ١٩ المحرم ١٢٦٨

(٣) دفتر ١٥٣ (مدارس عربي) ص ٢٥٨٨ رقم ١٠٤ إلى شوارى الأطبا و ص ٢٧٠١ رقم ٥٣٧ إلى المهندسخانة في ٢ شعبان ١٢٦٦

(٤) وكانت المدرسة تشغل القسم البحري من السراي أما الأقسام الأخرى فتشغلها (سراي الحرم) والسلاملك (وكان به المكتب الذي أنشىء لتعليم الأمير محمد علي) =

إلى أبي زعبل . ولكن على مبارك بك اعترض بشدة محتجاً بأن « الآلات والأدوات الطبيعية بمبلغ جسيم وإذا صار نقلها لابد يحصل فيها خلل وتلف . . . وأيضا موجود بالمدرسة معمل كيمياء به أفران بداخلها حديد ونحاس . . . وهو من أعظم لوازم المدرسة ... » ، وإذا كان من الممكن نقل مدرستي التجهيزية والمبتديان إلى أي مكان فإن « المهندسخانة لازم أن تكون بالقرب من مجارى المياه ومن الورش والمعامل والبارودخانات والرصدخانة والمحلات التي يستنسب بها العمارات العظيمة لأجل العلم والعمل ، فاذا لم يحصل التوفية بذلك لايمكن تكوين مهندسين » . والبناء الذي يراد نقل المدرسة إليه في أبي زعبل يحتاج إعداده إلى نفقات باهظة وإصلاحات جمة ، فإذا كان لابد من نقل المدرسة فلتنقل إلى مكان آخر بالجيزة مثلا [1] . وسلم الديوان بوجهة نظر ناظر المدرسة وطلب إليه أن يبحث في بولاق عن مكان آخر يليق لها ، أما النقل فليس منه بد [2] . ووقع الاختيار على المخزن الذي به مهمات الجفالك وهو متصل بمصنع الجوخ ببولاق وصدر الأمر بانتقال المدرسة إليه [3] ، ولكنها لم تنقل ، حتى

= دفتر ٢٢٦ (مدارس عربي) ص ١٠٥٠ رقم ٣٤٤ من المهندسخانة في ٢٤ ربيع الثاني ١٢٦٨ والخطط التوفيقية م ٣ ج ١١ ص ٨٦ .

(٣) دفتر ١٩١ (مدارس عربي) ص ١٠٤٥ رقم ٤٦٩ من المهندسخانة في ١٥ جمادى الأولى ١٢٦٧ .

(٤) دفتر ١٧٧ (مدارس عربي) ص ١٩٢٦ رقم ٤٥٦ إلى المهندسخانة في ٢١ جمادى الأولى ١٢٦٧ .

(٥) دفتر ٢١٣٥ (مدارس تركي) ص ١٢٨ رقم ٢٩ إلى المالية في ٢٣ جمادى الأولى ١٢٦٧ .

مضى عام آخر والمدرسة فى مكانها [١] . ولكن عاد عباس فأصدر الأمر بالإسراع فى نقل المدرسة إلى ورشة الجرخ ، على أن تعمل الاصلاحات الضرورية فقط . أما الباقى فيعمل بعد نقل المدرسة و « إن لم يتم النقل فى بحر الشهر يكون المتسبب ملزماً بدفع أجرة المكان » [٢] . وتم نقل التلامذة فى ابريل ١٨٥٣ [٣] . ولكن مضى وقت طويل بالغاء المدرسة قبل أن تستكمل المدرسة فى مكانها الجديد كامل معداتها .

الغاء المدرسة

لما تولى محمد سعيد باشا عمل على تشتيت المقربين إلى الوالى السابق ، وكان منهم على مبارك ناظر المهندسخانة ، « رمى عنده فى المدرسة بعض المفسدين بلسان الحسد والفتنة ووصفوها بما ليس له نصيب من الصحة واختلقوا لها معايب لم تكن فيها » [٤] ، فبدأ سعيد بأن أمر بوقف طبع كتب جديدة بمطبعة المدرسة [٥] ، ثم أمر وإلحاق ناظرها بالحملة المسافرة إلى القرم [٦] .

---

(١) دفتر ٢٠٢ (مــدارس عربى) ص ١٠٤٦ رقم ٥٣٩ إلى المالية فى ٢١ ربيع الأول ١٢٦٨

(٢) دفتر ٢١٤ (مــدارس عربى) ص ٣٤٣٩ رقم ٤٨٣ فى ٢٢ شعبان ١٢٦٨ وص ٣٥٤٥ رقم ٥١١ فى ٩ رمضان ١٢٦٨ الى المهندسخانة

(٣) دفتر ٢٦١ (مــدارس عربى) ص ٤٩٠٥ رقم ١٠٢٥ إلى الحسابات فى ٢٣ رجب ١٢٦٩

(٤) على باشا مبارك : الخطط التوفيقية م ٣ ج ٩ ص ٤٥

(٥) دفتر ٣١٣ (مــدارس عربى) ص ٤٧٣٦ رقم ٨٢٥ الى المهندسخانة فى ٥ ذى الحجة ١٢٧٠

(٦) دفتر ٣١٦ (مــدارس عربى) ص ٥١٥٦ رقم ١٥٤٢ الى الجهادية فى ١٤ ذى الحجة ١٢٧٠

مدرســـة العمليات

مرت مدرسة العمليات منذ إنشائها فى سنة ١٨٣٩ بأدوار مختلفة : فقد أنشئت لتكون مدرسة صناعية ثم تحولت إلى « ورشة » فى سنة ١٨٤٤ ، ثم تراءى للحكومة إبراهيم « ترتيب تلاميذ لتحصيل العـــلوم والصناعات بالعمليات وستكون مدرسة مستقلة » [١] . ولكن ذلك المشروع لم يتحقق . فقد أصدر عباس باشا أمراً « بعدم تبعيتها لديوان المدارس وعدها ورشة تشغيل » وإحالتها إلى ديوان الجهادية [٢] . على أن « الورشة » أو « المدرســة » ، كما كانت تدعى فى أكثر الأحيانـــ لم تحرم من تلامذة يقيمون بها ويتعلمون إلى جانب الصناعات « الرسم والحساب » [٣] .

كما أن علاقتها بديوان المدارس لم تنقطع : فالديوان يقوم ببناء ما يطلب منه بناؤه لها وبإمدادها بالتلاميذ وأدوات التعليم وغيرها ، ويقوم ناظر المهندسخانة بالتفتيش عنها وامتحان تلامذتها من وقت لآخر [٤] .

اقترح زيادة صبغة (الورشة) العلمية بأن يدرس تلامذتها الذين يتعلمون صناعة الوابورات الهندسة والطبيعة ، وأنفذ الديوان إلى الورشة على بك مبارك ناظر

---

(١) انظر عن تاريخ مدرسة العمليات كتابنا : تاريخ التعليم فى عصر محمد على ص ٣٨١ — ٣٨٥

(٢) دفتر ٢١٢٦ (مدارس تركى) ص ٨٢ فى ٢٤ ربيع الثانى ١٢٦٥ ودفتر ١٢٨ (مدارس عربى) ص ١٧٣٠ رقم ٧٩٤ الى ورشة العمليات فى ٢٩ ربيع الثانى ١٢٦٥

(٣) دفتر ١٥٨ (مـــدارس عربى) ص ١٧٢ رقم ٩٦ من الجهادية فى ٨ جمادى الاولى ١٢٦٥

(٤) دفتر ٢١٣٢ (مدارس تركى) ص ١١٧ رقم ١١٢ من ديوان الجهادية فى ٢٣ شعبان ١٢٦٧

المهندسخانة ليدرس الأمر [١] . ذهب الناظر إلى الورشة فامتحن تلامذتها فوجد نفراً منهم لا يعرفون الكتابة ، فعقد لجنة قر رأيها على وجوب تعليم التلامذة القراءة والكتابة والحساب والهندسة العملية ودرجتين من الجبر وقواعد الميكانيكا وحساب تركيب الآلات وأشارت بتعيين المعلمين اللازمين [٢] .

ولسنا نعلم مصير هذه المقترحات . ويبدو أن ناظر الورشة قد ضاق بما عده تدخلا من ناظر المهندسخانة ، ولكن المعية أخذت جانب على مبارك وطلبت أن يستعان به لتنظيم مدرسة العمليات « نظراً لعدم لياقة ناظر وباشمهندس ورشة العمليات لذلك » [٣] . واستمر (الاحتكاك) بين المعهدين وخاصة بشأن إلحاق تلاميذ من المهندسخانة بالعمليات : فالمهندسخانة تأبى أن تمد العمليات إلا بالتلاميذ الأغبياء ، وضاقت (الورشة) بذلك إذ كانت تفضل أن يلحق بها « شباب ذو عافية ولياقة للأشغال ، وأن الأوفق أن يكونوا من الشغالين بدكاكين الحدادين أو من ورشة البندق أو ورشة المهمات الحربية » [٤] . وهكذا آثرت الورشة الاحتفاظ بصبغتها

---

(١) دفتر ١٥٧ (مدارس عربى) ص ٢٣٦٧ رقم ٧١٧ إلى المهندسخانة فى ٢٤ شوال ١٢٦٦ .

(٢) دفتر ١٦٨ (مدارس عربى) ص ١٦٥ رقم ٤٣ من المهندسخانة فى ٢٩ ذى القعدة ١٢٦٦ .

(٣) دفتر ٦٠ ج ٣ (معية عربى) ص ٤٦١ رقم ١٨٤ من المعية إلى ديوان الجهادية فى ١٥ ربيع الثانى ١٢٦٧ .

(٤) دفتر ٢٩٧ (مدارس عربى) ص ١٠٤٥ رقم ٤٠٥ إلى الجهادية فى ٢٨ صفر ١٢٧٠ .

العملية حتى ألغيت فى ديسمبر ١٨٥٤ . وقد ولى نظارتها [١] :

من يوليه ١٨٤٧ إلى مايو ١٨٥٣	John Mohistan
من أغسطس ١٨٥٣ إلى ديسمبر ١٨٥٤	Robert Murray

مدرســـة الخرطوم

فى رجب ١٢٦٦ (مايو ١٨٥٠) — وكان إبراهيم باشا أدهم قد اعتزل عمله فى ديوان المدارس وألغيت مدرسة الألسن وتشتت قلم الترجمة وصدرت اللوائح الثانية وعين على مبارك بك ناظرا للمهندسخانة — فى هذا الوقت صدر الأمر إلى ديوان المدارس بالموافقة على قرار المجلس الخصوصى بإنشاء مدرسة الخرطوم « إنقاذا لأولاد أهلها والمستوطنين بها من جحيم الجهل فيمتازوا باكتساب العلوم والمعارف على أن يقبل ويقيد فيها مائتان وخمسون غلاما من بلاد دنقلة والخرطوم وسنار وتاكة وملحقاتها من أولاد مشايخها وأحفادهم » [٢] . ولم يجد عباس من يوليه ناظرا عليها « ملما بأصول المدارس ليسقها كما ينبغى وينظمها نظاما حسنا » سوى رفاعة بك رافع الطهطاوى فأمر بتعيينه ناظراً عليها ، ووكل اليه مهمة اختيار المعلمين ، كما عهد إلى ديوان المدارس مهمة وضع ميزانية عما تتكلفه المدرسة « طبق الترتيبات الجارية بالمدارس المصرية ولا سيما الأصول الجارية بمدرستى المبتديان والتجهيزية » ، وعند

---

(١) أمين باشا سامى : التعليم فى مصر القسم الخامس من الملحقات ص ٤٦ .

(٢) دفتر ٢١٣٣ (مدارس تركى) ص ١٢٠ رقم ١٦٧ من المعية إلى ديوان المدارس فى ٦ رجب ١٢٦٦ ومحفظة ٤ (مدارس) رقم ٩٧ فى ١٧ رجب ١٢٦٦ من عباس إلى مدير المدارس .

إلى رفاعة بك باختيار المدرسين من بين «رجال أكفاء»، فاختار أحد عشر معلماً وطبيبا . أما باقى الموظفين من كاتب ووزان ووكيل خرج وخدم فينبغى اختيارهم من أهل البلاد أنفسهم ، وخصص لكل طالب ستة قروش فى الشهر باعتبار أنهم مبتدئون . وعلى هذا النحو وضع رفاعة بك ميزانية سنوية للمدرسة بلغت ٣٩ / ٣٣٨٠٣٣ قرشا .

وافق عباس على هذا الترتيب وأصدر أمره بأن ينطلق الناظر والمعلمون والطبيب إلى مقر عملهم ، حتى إذا وصل رفاعة إلى الخرطوم اتصل بحكمدار السودان ليسهل له مهمته ، وعليه «أن لا يفتر عن مراقبة المعلمين وتذكيرهم وأن يجعل الطلبة موضع اهتمامه فيحملهم على السعى والاجتهاد ليكتسبوا المعارف ويتقدموا» . كما أمر عباس بأن يكتب إلى حكمدار السودان ليخصص محلا ملائما للمدرسة وأن يقيد الناظر وسائر الموظفين والطلبة فى سجلات خاصة وأن يعنى بأن يصرف لهم مرتباتهم ومأكولاتهم وملبوساتهم فى مواعيدها المقررة [1] .

وعلى هذا النحو أنشئت مدرسة الخرطوم الابتدائية .

ولم يكن هذا أول عهد أهل السودان بالتعليم : فقد كان أكثر قبائله فى الشمال من العرب ومنهم من اشتغل بالعلوم الشرعية ، ولهم مآثر عظيمة فى حسن التعلم والتعليم حتى أن البلدة إذا كان بها عالم شهير يرحل اليه من البلاد الأجنبية للمجاورة من طلبة العلم العدد الكثير والجم الغفير ، فيعينه أهل بلدته على ذلك بتوزيع المجاورين على

---

(١) دفتر ٢١٣٣ (مدارس تركى) ص ٥٧ رقم ٤ أمر إلى ديوان المدارس فى ١٧ رجب ١٢٦٦ .

البيوت بحسب الاستطاعة . وأنشأ بعض أهل الخير مكاتب يقرأ فيها البنون والبنات القرآن الشريف ويحفظون المتون [١] . وقد كان لفتح محمد على بلاد السودان أثره فى فتح تلك الأقاليم النائية للحضارة . وقد فكر محمد على فى تعليم نفر من أبنائها فأدخلهم فى المدارس المصرية ، وكان القصد من ذلك أن يذوقوا طعم المعارف التمدنية لينشروها فى بلادهم ، وقد عين نفر منهم فى وظائف ببلادهم . [٢]

أما مدرسة عباس فكان لها شأن آخر .

رحل رفاعة إلى الخرطوم معتقداً « أن مدة الإقامة بتلك الجهات كانت لمجرد الحرمان من النفع لوطنه » [٣] واستصحب معه المعلمين الآتية أسماؤهم : [٤]

١ — القائمقام محمد بيومى أفندى : من قدامى أساتذة مدرسة المهندسخانة ورئيس قلم ترجمة الكتب الرياضية بقلم الترجمة ومفتش العلوم الرياضية .

٢ — الصاغقول أغاسى أحمد طائل : وقد كان من مدرسى المهندسخانة وارتكب أمراً عوقب عليه بالأشغال الشاقة ثم عفى عنه وعين معاونا بديوان المدارس فى إدارة أدهم باشا [٥] .

---

(١) رفاعة رافع : مناهج الألباب ص ٢٦٢ .

(٢) المصدر السابق ص ٢٦٣

(٣) المصدر السابق ص ٢٧٩

(٤) دفتر ٢١٢٤ (مدارس تركى) ص ٢٠٤ رقم ٧٩ من الديوان الى المعية الخديوية فى ٢١ رجب ١٢٦٦ .

(٥) على مبارك : الخطط التوفيقية م ٣ ج ٩ ص ٧٨ وعا يذكر أنه توفى ببولاق عقب وصوله من منفاه بليلة واحدة (أمين سامى : تقويم النيل وعصر عباس وسعيد م ١ ج ٣ ص ٣٨) وتاريخ التعليم فى عصر محمد على للمؤلف ص ٣٦٥ .

٣ — الملازم الأول على محمد أفندى ٤ — « الثانى على عثمان « ٥ — « « إبراهيم محمد « ٦ — « « محمد مرسى « ٧ — « « أمين «	يرجح أنهم من تلامذة رفاعة بك فى مدرسة الألسن .
٨ — الشيخ رجب ٩ — الشيخ مكاوى	وكانا عالمين بالأزهر [1]

١٠ — الشيخ اسماعيل فرغلى

١١ — الشيخ أحمد (الواعظ) : وقد اختفى على أثر تعيينه ولم يعثر له على أثر فعين بدله الشيخ محمد المكاوى [2]

١٢ — الطبيب : سليمان السيوطى أفندى

واستقل الركب (ذهبية) فى النيل ومعهم ما أمكن إعداده من المهمات كالأحرمة والسجاجيد وألواح الصفيح والمراكيب وغيرها [3] .

وما لبث أن تبعهم آخرون : فبعد عام غضب الديوان على إبراهيم أفندى سالم

---

(١) دفتر ١٥٢ (مــدارس عربى) ص ٢٥٦٣ رقم ١٨٦٥ الى شيخ الجامع الأزهر فى ٢٠ رجب ١٢٦٦

(٢) دفتر ١٥٣ (مدارس عربى) ص ٢٦٥٦ رقم ١٩٦٢ من الديوان الى الحسابات فى ٢٨ رجب ١٢٦٦

(٣) دفتر ١٥٢ (مدارس عربى) ص ٢٥٦٠ رقم ٣٥٦ الى الترسانة فى ٢٢ رجب ١٢٦٦ وص ٢٥٧٣ رقم ٣٠٥ الى المهمات الحربية فى ٢٢ رجب ١٢٦٦

باشمهندس مديرية القليوبية فأرسله إلى « المهندسخانة (كذا) التي صار فتحها ببلاد السودان لأجل التحصيل والاستخدام بها »[١].

ومضى عامان ولم تصل إلى القاهرة أخبار عن مدرسة الخرطوم ، وفطن ديوان المدارس إلى ذلك ، فكتب إلى رفاعة بك يذكره بأنه إنما اختير لنظارة هذه المدرسة « بالنظر لما هو مشهور (عنه) من بذل السعي والاجتهاد والهمة وحب الالتفات في تعليم التلامذة لأجل إكسابهم المعارف والعلوم والترقية » ، ثم راح يؤنبه لأنه مضت « مدة من عهد ما توجهتوا (كذا) لهذه الجهة ولم كان (كذا) يحضر من طرفكم إفادة عما صار في بحر هذه المدة من التعليمات وبيان ما اكتسبوه التلامذة من العلوم وما مقدار عددهم وبيان درجات كل منهم أيضا حتى كان يعلم بهذا الطرف كيفية الجاري بالمدرسة من التحصيلات ويجرى العرض عنه كما هو المرغوب » ، وطلب إليه أن يحرر تقريرا بهذا كله ليرفعه إلى الأعتاب الآصفية[٢].

وأجاب رفاعة في صورة معتمة لا شك خيبت ظن الديوان فيما يعرفه منه « من بذل السعي والاجتهاد والهمة » : فأغلب التلامذة الذين جمعوا للمدرسة هربوا « بمعرفة أهاليهم بالجبال المستبعدة . . وفضلا عن ذلك انهم ناس غلايظ العقول » ، أما المعلمون

---

(١) دفتر ١٧٩ (مدارس عربي) ص ٢٣٢٠ رقم ٩٠٨ الى الحسابات في ٢٨ جمادى الثانية ١٢٦٧ ودفتر ١٨٠ (مدارس عربي) ص ٢٤٦٤ رقم ١٠٧٠ الى المالية في ١٦ رجب ١٢٦٧ وكان ابراهيم سالم قبل ذلك مدرسا بمدرسة المهندسخانة (تاريخ التعليم في عصر محمد علي للمؤلف ص ٣٦٦)

(٢) دفتر ٢٠٩ (مدارس عربي) ص ٢٤٩٥ رقم ١٦٩٥ الى ناظر مدرسة الخرطوم في غاية جمادى الثانية ١٢٦٨

فقد توفى الله ثلاثة منهم إلى رحمته ، أما مهمات المدرسة كالطرابيش وغيرها فقد استولى عليها حكمدار السودان ووزعها على فرق الجيش ، وخلاصة الأمر أن المدرسة قد صارت — كما وصفها رفاعة بك فى خطابه — « اسما بدون جسم » [١]. ويلوح أن رفاعة كان يأمل — وقد رسم لمدرسته هذه الصورة القاتمة — أن يقنع أولى الأمر فى مصر بأن يعدلوا عن هذه التجربة فيعود وزملاؤه إلى بلادهم . ولكن عباسا كان عنيدا ، فأصدر أمره إلى حكمدار السودان « بفتوح المدرسة وإدارتها » وبأن يعطى المدرسة مهمات بدل تلك التى استولى عليها . وعاد ديوان المدارس إلى رفاعة مناشداً إياه « بذل الهمة والاجتهاد » والمبادرة إلى إفادة الديوان « أول بأول عن كيفية حركات وأصول المدرسة [٢] » .

ولكن الطبيب سليمان السيوطى قد توفى وكذلك أربعة من هيئة التدريس هم : بيومى أفندى ومحمد أفندى مرسى وعلى أفندى عثمان والشيخ إسماعيل فرغلى ، فصدر الأمر العالى بانتخاب غيرهم « من أرباب المعارف ذوى المفهومية والاستعداد مجربين الأطوار » [٣] . وعقدت جمعية بديوان المدارس شهدها رؤساء المهندسين والأطباء لاختيار الطبيب والمدرسين المطلوبين ، ووافق عباس وأمر بسرعة (ترحيلهم)

---

(١) دفتر ٢٣٢ (مدارس عربى) ص ٢١٧٩ رقم ١ من ناظر مدرسة الخرطوم فى غرة شعبان ١٢٦٨

(٢) دفتر ٢١٥ (مدارس عربى) ص ٢٧٥٢ رقم ٣٣٥٦ الى ناظر مدرسة الخرطوم فى ٥ شوال ١٢٦٨

(٣) دفتر ٢٤٩ (مدارس عربى) ص ٢٣٨٥ رقم ٩٠٠ الى ناظر مدرسة الخرطوم فى ٩ ربيع الأول ١٢٦٩

وصرف ثلاثة أشهر (ترحيلة) لكل منهم وهم (١) :

من ديوان المدارس : ١ — القائمقام مصطفى السبكى أفندى طبيب

٢ — الملازم أول أحمد عبد الله « مهندس

٣ — اليوزباشى عبد الله حسين « «

من السكة الحديد : ٤ — صاغقول أغاسى خليفة محمد « «

٥ — يوزباشى أول مصطفى السراج « «

ودخلت مدرسة الخرطوم فى طور جديد ، أما فى الخرطوم فالحكمدار يعقد الاجتماعات ويرسل الرسل ليأتوا بالتلاميذ ويهيء لهم معداتهم ، ورفاعة يعلل ديوان المدارس من وقت لآخر بأنه « حاصل الاجتهاد وإن شاء الله فى شهر شعبان سنة ٧٠ يصير تقدم التلامذة وعمل امتحان بحضور أرباب العرفان ويصير توجهه إلى المدارس » (٢). ولكنه يمضى فى تراجمه وتآليفه ونظم قصائد لأصحاب النفوذ ملتمساً أن يتوسطوا لإعادته (٣) مستشعراً الحرمان لما أقدمت عليه السلطات فى مصر من

---

(١) دفتر ٢٤٧ (مدارس عربى) ص ٢١٥٦ رقم ٥٠٣ الى المالية فى ٨ ربيع الأول ١٢٦٩

(٢) دفتر ٣٢١ (مدارس عربى) ص ٩٢٠ رقم ٤ من ناظر مدرسة الخرطوم فى ١١ ربيع الأول ١٢٧٠ .

(٣) ترجم رفاعة وهو بالخرطوم « وقائع تليماك » وقد طبع فى بيروت ، ومن قصائده تلك القصيدة التى يقول فيها :

رفاعة يشتكى من عصبة سخرت لما رأت أجر العرفان قد زخرت

فارفع ظلامة نفس عدلك ادخرت وهاك جوهر أبيات بك افتخرت

جاءت إليك بخط الذنب ترقه

=

حجز (مرتبه) بحجة ضرورة الانتظار حتى ينتهى جرد الكتبخانة الأفرنجية التى كانت بمدرسة الألسن [١] .

أما فى القاهرة فالخلاف ناشب بين ديوان المدارس وديوان المالية حول الجهة التى تخصم عليها نفقات المدرسة : حكمدارية السودان أو ديوان المدارس[٢] .

واستمر الخلاف بين الديوانين منذ فتحت المدرسة حتى ألغيت .

ويبدو أن رفاعة قد استيأس من عودته فلم يرد بدأ من العمل ، وكان ذلك قبل إلغاء المدرسة بنحو تسعة شهور . ويلوح أنه لم تنجح فيها تجربة تعليم أبناء البلاد فقد « تعلم فيها التلاميذ من أبنــــاء المصريين القاطنين هناك طرفاً من النحو والحساب والهندسة وحسن الخط » [٣] .

وكانوا أول الأمر ٣١ تلميذا ، وعلى الرغم من مجهود سعادة الحكمدار بفتوح

= وأخرى يقول فيها :

ثلاث ســـنين بالخرطوم مرت بدون مدارس طبق المــــراد
وكيف مدارس الخرطوم ترجى هنـاك ودونها خرط القتاد
نعم ترجى المصانع وهى أحرى لتأييد المقاصـــــد بالمبادى

رفاعة رافع : مناهج الألباب ص ٢٦٥ — ٢٧٩ .

(١) دفتر ٣٢١ (مدارس عربى) ص ٨٣٩ رقم ٤٥٢ من المالية فى ١٧ ربيع الأول ١٢٧٠ .

(٢) دفتر ١٦٨ (مدارس عربى) ص ٦٣ رقم ٢ الى حكمدارية السودان فى ١٣ ذى القعدة ١٢٦٦ ، دفتر ٣١٩ (مدارس عربى) ص ٤٨٠ رقم ٢٥٣ من المالية فى ٦ صفر ١٢٧٠ .

(٣) رفاعة رافع : مناهج الألباب ص ٢٨٠

المدرسة وإدارتها ، لم تزد بعد شهر ونصف شهر سوى سبعة تلاميذ ، وقد توسم رفاعة في عشرة منهم التفوق على أقرانهم فخصهم لقراءة القرآن وحفظه وإعراب الآجرومية وحفظ مفردات وجمل تركية وخط الثلث والحساب ليكونوا « قريباً مقدمين على أقرانهم وقلفوات للمدرسة » ، وطلب رفاعة كتبا في التركية والنحو والصرف والحساب مما يستعمل في المدارس المصرية[1] .

ويسر عباس لهذه الباكورة الطيبة ، ويكتب ديوان المدارس إلى حكمدار السودان يبلغه «ممنونية الجناب العالى ورغبته » في سرعة توريد باقي الأنفار اللازمة ، للمدرسة[2] وفي إجراء امتحان تلامذتها في شعبان ١٢٧٠ أسوة بالمدارس في مصر[3] .

وعقد الامتحان في موعده في اجتماع حافل حضره حكمدار السودان ورئيس مجلس الدعاوى بالسودان وبعض الأعيان والعلماء والعمد والقاضي وأرسل جدول الامتحان إلى القاهرة[4] وطلبت كتب جديدة[5] . ولكن عباسا كان قد مات فجأة

(١) دفتر ٣١٩ (مدارس عربي) ص ٣٩٩ رقم ٦ من حكمدارية السودان في ٣ ربيع الثاني ١٢٧٠ وص ٤٢٩ رقم ٢ من ناظر مدرسة الخرطوم في ١٧ جمادى الأولى ١٢٧٠

(٢) دفتر ٢٩٢ (مدارس عربي) ص ٥٥ رقم ٤ الى حكمدار السودان في ٥ صفر ١٢٧٠ ورقم ٦ في ٨ جمادى الأولى ١٢٧

(٣) دفتر ٣٢٩ (مدارس عربي) ص ٢٤٣٠ رقم ٨ من مدرسة الخرطوم في ٦ شعبان ١٢٧٠

(٤) دفتر ٣٣١ (مدارس عربي) ص ٢٩٤٠ رقم ١١ من حكمدارية السودان في ١٥ ذى القعدة ١٢٧٠

(٥) دفتر ٣٢٩ (مدارس عربي) ص ٢٥٦٥ رقم ١٠ من مدرسة الخرطوم في ١٣

وتولى سعيد (يوليه ١٨٥٤) ولم تمض على توليه سبعة أيام حتى وضع حداً لهذا كله ، فأصدر أمره بالغاء المدرسة « لعدم ظهور أدنى ثمرة فيها » ، ولم يتريث رفاعة ريثما يتم جرد حسابات المدرسة بل ترك أحد المعلمين وكيلا عنه وأسرع هو إلى مصر[1] . وصدر أمر الديوان بصرف بعض استحقاقه الذى كان محجوزاً « لسداد الديون البرانية وتجهيز لوازم السفرية لأجل عدم تكدير خاطر المير المومى إليه »[2] !

رمضان ١٢٧٠ (مصاحف ، سنوسية ، تحفة وتأديب الأطفال ، هندسة ، حساب ، جغرافية وخرط .. الخ)

(١) محفظة ٤ (معية تركى) رقم ١٥٠ من وكيل الديوان الخديو الى كاتب ديوان الخديو فى ١٩ المحرم ١٢٧١

(٢) دفتر ٣٣٣ (مدارس عربى) ص ٥٤ رقم ٢ الى حكمدارية السودان فى ٨ ربيع الأول ١٢٧١

الفصل الرابع

البعوث العلميـــة

اختلف المؤرخون فى هذه الناحية من حكم عباس : فمنهم من رأى أن عباسا قد أهمل ما درج عليه محمد على من إرسال الشبان من مصر إلى أوروبا ليأخذوا عن الأوروبيين لغاتهم وعلومهم ، ومنهم من عنى بالدفاع عن عباس فراح يثبت أنه لم يهمل هذه الناحية ، بل استمر يرسل البعوث إلى أوروبا وأرسل منهم عدداً لابأس به يتفق وعهد حكمه القصير .

فجورجي زيدان يذكر [(١)] أن عباسا لم يرســـل إلى أوروبا طوال حكمه سوى تسعة عشر طالبا ، بلغ مجموع ما أنفقه عليهم ٤٩,٦٧٥ جنيها . وتابعه فى ذلك كل من يعقوب أرتين باشا [(٢)] وأمين سامى باشا [(٣)] .

وزاد الأخير أن عباسا لما تولى أمر فى الحال بعودة ٣٧ من طلبة البعوث بباريس ومن ضمنهم الذين كانوا على قيد الحياة (وكان قد توفى منهم الأمير حسين) . وفى غضون سنة ١٢٦٥ (١٨٤٩) أمر عبـاس بعودة سبعة آخرين من البعوث منهم

---

(١) آداب اللغة العربية ج ٤ ص ٣٣ .

(٢) Artin Pacha : L'Instruction publique en Egypte, Annexe E.

(٣) أمين باشا سامى : التعليم فى مصر ص ١٤ .

على مبارك (باشا) وعرفى (باشا) [١] .

والسيد عبد الله نديم يذكر فى مجلته أن عباسا أرسل ثمانية وأربعين طالبا أنفق عليهم جميعا ٨٣,٩٢٣ جنيها .

وأخيراً نهض سمو الأمير عمر طوسون ، ليجلو هذه الناحية ، من حكم عباس وقد رأى « أنها نقية بيضاء » . اعتمد سمو الأمير فى بحثه [٢] على ما وصلت إليه يده من دفاتر دار المحفوظات (بالقلعة) فأثبت أن عباسا قد أرسل إلى أوروبا تسعة وعشرين طالبا نقل أسماءهم ، ثم زاد عليهم اثنى عشر آخرين عثر على أسمائهم فى مجموعة بمخلفات جده المرحوم محمد سعيد باشا . فيكون ما ذكره سمو الأمير واحداً وأربعين طالبا سماهم بأسمائهم وترجم للكثير منهم .

وزاد سمو الأمير على ذلك أن « قصر مدة عباس باشا الأول فى الحكم تشفع له بقلة عدد من أرسلهم فى عهده ، خصوصا إذا عرفنا أن كثيرين ممن أرسلوا فى عهد محمد على كانوا لايزالون يتعلمون فى أوروبا مدة حكمه ، فهو من هذه الجهة لا يعد مقصراً ولا يصح رميه بشل حركة التعليم فى أوروبا ولا وصفه بالضن على هذا الضرب من الثقافة التى كانت مصر ولا تزال فى حاجة إلى التزود منها » .

وأما ما ذكر عنه من أنه أثر توليته الحكم أمر بإرجاع البعثة العسكرية التى أنشأ لها جده المدرسة الحربية المصرية بباريس ثم أغلق هذه المدرسة فيوضحه سمو الأمير

---

(١) أمين باشا سامى : تقويم النيل . عصر اسماعيل م ٢ ج ٣ ص ٤٤٢

(٢) الأمير عمر طوسون : البعثات العلمية فى عهد محمد على ثم عباس و سعيد ص ٤١٦ — ٤٨٧

— معتمداً على دفاتر دار المحفوظات وغيرها — بأنه إنما أرجع بعضهم وأبقى البعض الآخر ، وأنه ظل ينفق على هؤلاء الباقين الذين أتموا تعليمهم فى غير هذه المدرسة حتى آخر أيام حكمه . وأضاف الأمير إلى ذلك أن عباسا أبقى الخمسة والعشرين تلميذاً الذين أرسلوا لتعلم الميكانيكا بانجلترا فى عهد محمد على حتى أتموا تعليمهم فى عهده .

ويعلل سمو الأمير إلغاء المدرسة العسكرية المصرية بباريس بأن عباساً رأى أن مصر قد اكتفت من التعليم العسكرى ، ولذلك لما أرسل بعوثه لم يكن فيها من أرسله لتعلم الفنون العسكرية بل كان أغلب هـــذه البعوث طبية أرسلها إلى النمسا وإيطاليا وانجلترا ، ولم يرسل إلى فرنسا إلا ثلاثة فقط لتحصيل فن الفلك ، « ومن هنا شعرت فرنسا بانصراف هذا العاهل عن الاتجاه إليها خصوصا بعد ما نحى عن مناصب الحكم فى بلاده أكثر الأجانب وبخاصة الفرنسيين فجاء ذكره على ألسنة مؤرخيها مشوباً بالقدح خاليا من المدح » .

وينقل مؤرخ معاصر — الأستاذ هيورث دن — [١] هـذه الآراء فى الدفاع عن عباس ، ويزيد عليها — فى معرض الدفاع عن إلغاء المدرسة المصرية بباريس — أن كثيراً من الطلبة الذين أرسلوا فى سنة ١٨٤٤ كانوا قد أنهوا مقرراتهم فوجب عليهم أن يعودوا إلى مصر ، وينقل عن جورجى زيدان أن ثورة ١٨٤٨ فى فرنسا قد أثرت فى المدرسة وجعلت من الضرورى إلغاءها وقد بطلت فائدتها ، إذ أدت الغرض من إنشائها ولم يعد الحاكم الجديد بحاجة إليها ، ويكون أكثر فائدة للطلبة الجدد إذا شجعوا على التردد على بيوت فرنسية ومدارس فرنسية ، هذا إلى أن عباسا لم يقصر بعوثه على

---

(١) Dunne, op. cit. p. 301-302.

فرنسا ، بل فضل أن يرسل طلابه إلى بلاد شهيرة فى علوم مختصة بها كالطب فى ألمانيا والنمسا والهندسة فى انجلترا .

هذا ملخص لآراء الكتاب والمؤرخين الذين تعرضوا لهذه الناحية من حكم عباس . وسنحاول أن نجلو وجه الحق فيها معتمدين — ما استطعنا — على الوثائق التى أتيح لنا الاطلاع عليها من قسم المحفوظات التاريخية بديوان جلالة الملك .

أما عن إعادة الطلبة الذين أرسلهم محمد على إلى أوروبا فالثابت أن عباساً قد أمر بأن يعاد إلى مصر الأمراء من أبناء محمد على وإبراهيم وأكثر الطلبة الذين أرسلوا معهم إلى فرنسا فى سنة ١٨٤٤ ، ثم أمر بإلغاء المدرسة المصرية التى كانت أنشئت لهم بباريس [١] على أثر الحوادث السياسية التى جرت فى ذلك الوقت (سنة ١٨٤٨) [٢] . والراجح أن أمر العودة قد اقتصر على الطلبة الذين كانوا يدرسون الفنون العسكرية لما رآه — كما يقول الأمير عمر طوسون — من أن مصر قد اكتفت من التعليم العسكرى وأن الأجدر بها أن تتزيد من فروع المعارف الأخرى . هذا إلى ما كانت تقتضيه المدرسة المصرية بباريس من طائل النفقات التى لحظها إبراهيم باشا عند زيارته لطلبتها أثناء رحلته بباريس حتى قال عنهم « لقد غدا كل منهم سلطانا » [٣] .

---

(١) دفتر ١٤٢ (مدارس عربى) ص ٤٤٨ رقم ١٨٧ الى الحسابات فى ٢٣ ذى الحجة ١٢٦٥ ودفتر ٢١٣٢ (مدارس تركى) ص ٣٥ رقم ١٧ الى خزينة المدارس فى ١٨ ذى الحجة ١٢٦٥ ودفتر ١٤٨ (مدارس عربى) ص ١٧٦٥ رقم ٢٥٢ الى الديوان الكتخداوى فى ٥ جمادى الأولى ١٢٦٦ ودفتر ٤٦٩ (معية تركى) ص ٩٥ رقم ٥٠١ من المعية الى الجهادية فى ١٨ صفر ١٢٦٦

(٢) Sachot, op. cit. p. 25.

(٣) Artin Pacha : op cit. p. 85.

ونستطيع أن نضيف إلى ذلك ما نعرفه فى عباس من قلة ثقته بالعهد الماضى ونظمه وسياسته ومعاهده وأساتذته وطلبته . وكان طبيعيا أن يقع أمر عودته على الطلبة الذين يعدون أكثر اتصالا بهذا العهد وهم الأمراء وطلبة الفنون الحربية . يدل على ذلك أن الطلبة الذين سمح لهم بالبقاء فى فرنسا — ولدينا أسماؤهم — كانوا يتعلمون الطب أو الصيدلة أو الهندسة أو اللغات ، بل أن من هؤلاء من مد لهم عباس فى الإقامة بباريس حتى آخر عهده ، وبذلك أقاموا بها أكثر من عشر سنوات ، ولم يعودوا إلى مصر إلا فى عهد سعيد [١] .

لم تبطل اذن « الرسالة المصرية » بباريس ، كما ذكر على باشا مبارك [٢] بل ظلت قائمة بعد إلغاء المدرسة المصرية بباريس .

ولم يقتصر عباس فى رسالته بباريس على بعثة الفلك المؤلفة من ثلاثة أعضاء ، بل أرسل كذلك — كما سنوضح بعد — بعثة أخرى من بعض خريجى مدرسة العمليات لدراسة « العربات » فى فرنسا ، وهذه البعثة أغفلها الكتاب والمؤرخون الذين درسوا البعثات المصرية فى حكم عباس ، كما أغفلوا ذكر بعثة كبيرة هامة مؤلفة من ثمانية عشر طالبا من طلبة المفروزة أرسلهم عباس إلى ألمانيا والنمسا فى سنة ١٢٦٨ وأمر سعيد بإعادتهم على أثر توليه حكم مصر .

---

(١) انظر قوائم بأسماء الطلبة المقيمين فى أوروبا فى أوائل حكم سعيد باشا فى محفظة « معية تركى » رقم ٥٦ من عبدى شكرى باشا إلى كاتب ديوان الخديو فى ٧ ربيع الأول ١٢٧١ .

(٢) على باشا مبارك : الخطط التوفيقية م ٣ ج ٩ ص ٤٢ .

فإذا كان سمو الأمير عمر طوسون يرى أن الرقم الذى ذكره السيد عبد الله نديم (وهو ٤٨ طالبا) « لا يزال محتملا للصحة » ، فإنا نجزم — على ضوء الوثائق التاريخية التي سنشير اليها تفصيلا عما قليل — أن هذا الرقم أقل من الرقم الصحيح . ويتضح ذلك من البيان الوجيز الآتى عن عدد مبعوثى عباس إلى أوروبا :

١١ طالبا : لدراسة الطب فى مونيخ . صدر الأمر بسفرهم فى ٢١ رجب ١٢٦٥ (مايو ١٨٤٩) .

٣ طلاب : لدراسة الفلك فى فرنسا . صدر الأمر بسفرهم فى رجب ١٢٦٦ (مايو ١٨٥٠) .

٦ طلاب : من مدرسة العمليات أرسلوا إلى فرنسا فى أوقات مختلفة .

١٦ طالبا : لدراسة الطب فى أدنبرة وفينا وبيزا . صدر الأمر بسفرهم فى ٢٣ ذى الحجة ١٢٦٦ (أكتوبر ١٨٥٠) .

١٨ طالبا : من مدرسة المفروزة لدراسة الطب فى برلين وفينا . صدر الأمر بسفرهم فى رجب ١٢٦٨ (ابريل — مايو ١٨٥٢) .

١ طالب : أرسل على نفقة الحكومة إلى انجلترا (رزق الله أفندى) .

٢ طالبان : إلى فرنسا .

٥٧ طالبا : هم مجموع الطلاب الذين أرسلوا إلى أوروبا فى عهد عباس الأول (١٨٤٨ — ١٨٥٤) يضاف إليهم :

٤ طلاب : أرسلوا من الآستانة إلى باريس ليتعلموا على نفقة الحكومة المصرية فيكون المجموع :

٦١ طالبا

وهاك تفصيل هذا البيان :

(١) بعثة الطب إلى ميونيخ

فى أوائل سنة ١٢٦٥ (١٨٤٨) أصدر عباس باشا أمره إلى طبيبه الخاص — برونر بك — بانتخاب تسعة من نبهاء الطلبة على أن يكون عمرهم حوالى الخمس عشرة أو الست عشرة سنة لايفادهم إلى أوربا لدراسة الطب. وكان « نبهاء الطلبة » من جميع المدارس قد جمعوا إذ ذاك بالمكتب العالى الذى تحول بعد قليل إلى أوردة أو مدرسة المفروزة ، فاختار برونر بك التسعة الطلاب الآتية أسماؤهم : [1]

(١) مراد يوسف (٢) مصطفى التجدى	من مدرسة الألسن .
(٣) سالم سالم (٤) خليل ابراهيم (٥) حسن الألفى	من مدرسة الطب البشرى .

---

(١) دفتر ٢١٢٦ (مدارس تركى) ص ٧٥ رقم ٨ إلى ديوان التجارة فى ٢٣ رجب ١٢٦٥ ، دفتر ١٢٩ (مدارس عربى) ص ١٩٩٠ رقم ٣٧٩ إلى مدرسة الطب فى ٢٨ جمادى الثانية ١٢٦٥ و ص ١٩٨٩ رقم ٥٦٧ إلى مدرسة الألسن فى ٢٨ جمادى الثانية ١٢٦٥ و ص ٢١٠٠ رقم ٦٦٧ الى مدرسة الألسن فى ٢١ رجب ١٢٦٥ .

(لم يذكر أمين باشا سامى شيئا عن هذه البعثة فى كتابه : تقويم النيل وعصر عباس وسعيد م ١ ج ٣ ص ٧٢ . أما الأمير عمر طوسون فذكرها وترجم لأعضائها ص ٤١٨ — ٤٣٦).

(٦) مصطفى خالد
(٧) محمـــد عمر
(٨) محمد على رضا
(٩) إبراهيم مصطفى بوشناق

من المكتب العالى

وقد رتب لكل منهم فى الشهر ٢٦ / ٢٤١ قرشا عدا قليل من النقود تصرف لأهلهم فى مصر فى كل شهر [١].

واختيرت لهم مدرسة مونيخ الطبية للدراسة، وعين ناظراً عليهم « البارون دوبريل » « أحد المشرعين المعتبرين بتلك البلدة » [٢]. وقد قطم « برونر بك » شئونهم الدراسية وكانت ترد إليه التقارير من ناظرهم عن دروسهم وحساباتهم فيدرسها ثم يرفعها إلى الوالى، ثم أحيل ذلك على ديوان المدارس [٣]. وبعد نحو عام لحق بهم تلميذ أرمنى «يدعى يوسف خشادور » تحل الخواجه « خادور [٤] » ثم آخر فى تاريخ لا نعلمه

---

(١) دفتر ١٢٩ (مــــدارس عربى) ص ٢١٤٣ رقم ٤٠٤ إلى قلم الحسابات فى ١٢ شعبان ١٢٦٥.

(٢) وكان بعض هؤلاء الطلاب اختير فى حياة ابراهيم باشا فى بعثة طبية إلى فرنسا ثم لم يتم الامر لوفاته (انظر ترجمة سالم باشا سالم بقلمه فى : الخطط التوفيقية م ٤ ج ١٤ ص ١٢٦

(٣) دفتر ٤٧٥ (معية تركى) رقم ٢٢٤ من الجناب العالى الى أدهم باشا فى ٧ ذى الحجة ١٢٦٦

(٤) دفتر ٤٦٩ (معية تركى) ص ١٤٣ رقم ٧٧٥ من المعية الى مفتش المبيعات والتجارة فى ٦ رجب ١٢٦٦ ودفتر ١٥٥ (مدارس عربى) ص ٢١٠٤ رقم ١٢٣٠ الى الحسابات فى ١٢ رمضان ١٢٦٦

يدعى « سوتريوس ياقسيس » [١] .

وكان سفر هـذه البعثة إلى ألمانيـا من مظاهر اتجاه عباس أول حكمه إلى الثقافة الطبية الألمانية .

ولم تـكن هذه أول مرة ترسل فيها بعثة طبية للدراسة فى ألمـانيا أو النمسا ، فقد سبقتها فى سنة ١٨٤٥ (١٢٦١) بعثة من طبيبين لدراسة الرمد فى النمسا [٢] .

وقد نبغ من أعضاء البعثة بمونيخ نفر خلدوا أسماءهم فى تاريخ الطب فى مصر :

فسالم سالم (باشا) عمل أستاذاً بمدرسة الطب ورئيساً بالنيابة لهـا وطبيباً خاصاً للخديو توفيق ، وفى سنة ١٨٨٠ عين رئيساً للجنة التى كلفت بإعادة تنظيم المصلحة الصحية ثم رئيساً لمجلس الصحة العمومية وعضواً بمجلس المعارف الأعلى [٣] .

ومصطفى النجدى (بك) وحسن محمـد الألفى (بك) كانا من أساتذة المدارس المصرية وموظفى أقسام الصحة . على أنه يلوح أن الثقة لم تراع فى تخير أعضاء هذه البعثة وخاصة أولئك الذين اختيروا من غير مدرسة الطب . فلم تمض أشهر حتى أعيد إلى مصر « مصطفى خالد » وأصله من طلبة المكتب العالى [٤] . وما لبث البارون

---

(١) دفتر ٢٩٧ (مدارس عربى) ص ١٠٢٩ ، رقم ٣٤١ إلى المسيو لوبارون دوبريل فى ٢٦ صفر ١٢٧٠ . وبعد عودة هذا الطالب إلى مصر بأمر عباس باشا عاد سعيد باشا فأرسله ثانية إلى فرنسا لدراسة الطب -- دفتر ١٨٩١ (أوامر) ص ٩٨ رقم ٣١ أمر كريم إلى قلم التراجم فى ١٨ جمادى الثانية ١٢٧٥ .

(٢) تاريخ التعليم فى عصر محمد على للمؤلف ص ٤٤٧ .

(٣) انظر ترجمته فى الخطط التوفيقية م ٤ ج ١٤ ص ١٢٦ — ١٢٧ والبعثات العلمية للأمير عمر طوسون ص ٤٢١ — ٤٢٨ .

(٤) دفتر ١٤٣ (مدارس عربى) ص ٧٥٢ رقم ٢ إلى الدائرة الخاصة فى ٢٦ المحرم سنة

جوريل «وكيل» أو «ناظر» أو «مأمور» تعليم التلامذة المصريين فى مونيخ أن ضاق بما يلقاه من بعض الطلبة من سوء الخلق ورفع أمرهم إلى السلطات بالقاهرة، حتى إذا لم تجبه إلى ما طلبه من إعادتهم إلى مصر رفع استقالته[1]. ولكن الديوان كتب إليه بأن ولى النعم يشكر فضله ويثنى «الثناء الجميل على ما حصل لكم من التعب والمشقة والاهتمام المتسبب لكم من خدمة حكومته وأنه استصوب عدم حرمان الحكومة من فوائد حسن التربية التى يصير الحصول عليها التلميذين المذكورين تحت حسن إدارتكم، إذا كان يصير إبقاهما ليستمرا على دروسهما حتى يصير الحصول على تميمها .... ومأمول ولى النعم الأصفى أن لا يحصل لجنابكم قلق من التعب والمشقة التى تحصل من إدارة هؤلاء التلامذة ... وقد أناط جنابكم ترتيب الجزاء اللازم على التلاميذ المذكورين لأجل تهذيب أطوارهم بموجب الأصول والقوانين الجارية فى المدارس بطرفكم .... حتى .... لا يحصل اضطرار بترتيب جزاهم بالارجاع إلى مصر حيث يترتب على ذلك من غير شك ضياع المصاريف المنصرفة عليهم لغاية الآن». أما عن شكوى الطلبة من «التشديد الحاصل عليهم، فسعادة أفندينا الأصفى الأعظم حاصل له غاية السرور من إجراء هذه الطريقة الجيدة فى ترقية التلامذة التى ليست مثل الطريقة المخلة الجارى عليها العمل فى حق أغلب التلامذة المصريين لغاية الآن ببلاد أوروبا ولم يترتب عليها نتيجة غير إعطا تلامذة تلقائن

= ١٢٦٦ ويذكر الأمير عمر طوسون (ص ٤٣٦) أن مصطفى خالد أتم دراسته وعاد فى نوفمبر ١٨٥٥

(١) دفتر ١٩٨ (مدارس عربى) ص ٢١٨ رقم ١٦ الى ديوان التجارة فى ١٨ المحرم ١٢٦٨

لحكومة مصر . . . . » (١) .

أما الطلبة فوجه إليهم الديوان خطابا شديد اللهجة ذكر لهم فيه أنه لما عرض أمرهم على « الآصفى الأعظم » « اتضح لسعادته أنكم لم تحوزوا درجة التمدن والتأدب التى هى مقصد سعادة أفندينا ولى النعم من إرسالكم إلى تلك البلاد ، بل إنكم لم تزالوا متمدنين على طباع الخونة التى هى طباعكم الأصلية . . . . واعلموا يا أيها التلامذة بموجب النطق العالى أننا مأمورين بأن نفيدكم أنه من تكرر منه حصول مثل هذه الحركات الغير مرضية فلا بد أن يصير إرجاعه إلى مصر من غير شك ، وعند رجوعه يصير إرساله إلى قريته ليصير تشغيله بها فى أشغال الزراعة كما كان ، بخلاف أن من رجع لهذا الطرف بوجه الشرف ومعه الشهادات اللازمة بحسن السلوك وبأنه حايز المعارف النافعة لوطنه فإنه يكون من غير شك أهلا للتكرمات الآصفية وينال الترقيات من سعادة ولى النعم ، وقد تحرر لكم هـــذه الشقة إيقاظا كى لا تلوموا إلا أنفسكم فيما بعد » (٢) .

ولكن هذا التهديد لم يجد : فقد تطاول الطالبان خليل إبراهيم (ويكتب أحيانا إبراهيم خليل) و (أصله من طلبة مدرسة الطب) ومحمد عمر (وأصله من طلبة المكتب العالى) على ناظرهم بالسب والشتم ، فقرر ديوان المدارس استدعاءهما إلى مصر . وقد وصلا بالفعل فى أواخر سنة ١٢٦٨ (سبتمبر ١٨٥٢) بعد أن قضيا بالخارج نحو ثلاث

---

(١) دفتر ٢٣٨ (مدارس عربى) ص ٣٦٠ رقم ٧١ الى المسيو البارون دوبريل ناظر التلامذة المصريين بمدينة مونيخ فى ٥ ذى الحجة ١٢٦٨ .

(٢) دفتر ٢٣٨ (مدارس عربى) ص ٣٦١ رقم ٧٢ الى التلامذة المصريين بمدينة مونيخ فى ٥ ذى الحجة ١٢٦٨ .

سنوات [١] . ولم يكتف الديوان بذلك بل رتب جزاءهما وفقاً للمادة ٣٥٨ من قانون الداخلية حيث أن جرمهم شديد باعتبار أنهم أفراد جهاديون سيتعلمون لصالح البلاد على حساب الحكومة ، فقرر إرسال إبراهيم خليل لجبل قيسون لمدة ثلاث سنوات وعند نهايتها يرسل جنديا لأحد الآلايات ، وكذلك قرار استخدام محمد عمر « نفراً فى المدارس لأنه أصغر التلاميذ سناً فهو أقل جرماً بالنسبة لهم » ، ووافق مجلس الأحكام على هذا القرار وصدق عليه الوالى [٢] .

وأبلغ القرار إلى البارون دوبريل ، مع ثناء (الخديو) الخالص على غيرته

---

(١) دفتر ٢٧٤ (مدارس عربى) ص ٣٧٢ رقم ٨ من ديوان التجارة فى ٢٣ ذى الحجة ١٢٦٨ .

(٢) محفظة ٤ (مدارس) رقم ١٣٥ من عباس الى مدير ديوان المدارس فى ١٠ صفر ١٢٦٩ ، ويذكر سمو الأمير عمر طوسون فى ص ٤٢٩ أن « خليل ابراهيم » عاد الى مصر فى ٢٢ نوفمبر ١٨٥٢ « ووظف بجبل قيسان ثم التحق بالبحرية » ، فى ص ٤٣٢ أن « محمد عمر » عين بعد رجوعه الى مصر رساما بالمهندسخانة ويعجب سموه لهذا الأمر ويستنتج منه أنه قد تعلم فيها تعلمه فن الرسم ، فلما عاد إلى مصر عين مدرسا له بالمهندسخانة. والواقع أن الأمر — على النحو الذى شرحنا — لا يدعو الى العجب ، فقد ألحق تلميذا بالمهندسخانة تنفيذاً للقرار المتقدم ، وعومل بها معاملة التلاميذ (دفتر ٢٨٤ مدارس عربى ص ٢٣٩١ رقم ٥٠٢ من المهندسخانة فى غاية جمادى الثانية ١٢٦٩) ويظهر أنه انتهز فرصة تولى سعيد باشا فخرج من المهندسخانة ولم يعد اليها وتوصل الى الالتحاق بالمعية وطلب أن يمتحن فامتحن (دفتر ٣٣٣ مدارس عربى ص ١٠٧ رقم ٢٤ الى المعية الخديوية فى ٦ المحرم ١٢٧٤) أما خليل ابراهيم فقد ألحق مرة ثانية بالبعثة التى أرسلها سعيد باشا فى سنة ١٨٦٢ الى مونيخ وكان له مع ناظرها قصة ، انظر فيما بعد فصل البعثات العلمية فى عصر سعيد .

وإخلاصه[١] . وكذلك كتب به إلى الطلبة حتى يكون لهم عما حل بزميليهم عظة ، حتى يحسن سلوككم وتطيعوا أوامر من فوقكم . . . وتعلموا أن معارف الشبان إذا لم تكن مستندة إلى حسن السلوك فلا يكون لها ثمرة من غير شك بالنسبة لسعادة الشبان أنفسهم ولسعادة وطنهم »[٢] .

ومضى على ذلك عام ، والطلبة المصريون الستة جادون فى دراستهم . وفى أوائل سنة ١٨٥٤ نال أربعة منهم دكتوراه الطب . أما الطالبان الأرمنيان يوسف خشادور وسوتريوس يا كسيس فكان لهما شأن آخر : فقد شكا البارون ما يلقاه من سلوك الأول وذكر عن الثانى أنه لا يؤمل نجاحه بسبب ضعف حافظته ، فكتب إليه الديوان باعادتهما سريعا [٣] . وأعيد الثانى ولكن الأول « لم يمكن ضبطه لكونه

(١) دفتر ٣٤٥ (مدارس عربى) ص ١٧٥٧ رقم ٤٧٣ إلى البارون دوبربل ناظر التلامذة المصريين بمدينة مونيخ فى ٢٢ صفر ١٢٦٩

(٢) دفتر ٢٠٤٥ (مدارس عربى) ص ١٧٥٧ رقم ٤٧٤ إلى التلامذة المصريين بمدينة مونيخ فى ٢٢ صفر ١٢٦٩ ، ولم يكن جميع هؤلاء الطلبة على نزاع مع ناظرهم ، يقول سالم سالم — وهو أكثر هؤلاء الطلبة نجاحا — (من ترجمة حياته فى الخطط التوفيقية م ٣ ج ١٤ ص١٢٦) « فأحسن (ناظرهم) ترتيبنا واشتغل بنا مع كمال النصيحة والاعتناء بحيث حصلت أنا ومن معى تحت نظارته ابتداء على اللغة النساوية ولم يأل جهداً فى تحصيل العلوم الطبية مع باقى اللذات الضرورية كاللغة الفرنساوية والانكليزية وما لزم من اللغة اليونانية واللاتينية مع تمرينا على اكتساب عوائد الأوروباوية بادخالنا الجمعيات الحافلة وزيارة العائلات الشهيرة والسياحات المتعددة فى جهات جبال ذلك القطر وغيرها ... الخ » .

(٣) دفتر ٢٩٧ (مدارس عربى) ص ١٠٢٨ رقم ٣٤١ الى المسيو لوبارون دوبربل فى ٢٦ صفر ١٢٧٠ وص ١٠٩٤ رقم ٥٢٢ فى ٩ ربيع الأول ١٢٧٠

دخل تحت حماية قنصل اليونان »(١) .

ثم صدر أمر عباس باشا بانتقال الطلبة من مونيخ إلى ڤينا (٢) « لأجل الحصول على المعلومات الطبية العملية »(٣) . ولما تولى سعيد باشا مد لهم فى التمرين العملى فذهبوا إلى برلين حيث قابلوا مشاهير الأطباء ووقفوا على أعمالهم ثم عادوا إلى ڤينا . وفى أواخر سنة ١٢٧١ (١٨٥٥) صدر الأمر برجوعهم جميعا إلى مصر ، وقد نال الدكتوراه منهم الأطباء سالم سالم ، حسن الألفى ، مصطفى النجدى ، مراد يوسف .

٢ — بعثات إلى فرنسا

قلنا إن عباسا الأول أمر باستدعاء أكثر الطلبة الذين كانوا يدرسون الفنون العسكرية بفرنسا وأمر بالغاء المدرسة المصرية التى كانت أنشئت لهم بباريس ، ولكنه أبقى — عدا بعض طلبة بعثة سنة ١٨٤٤ (أو بعثة الأمراء) — أعضاء البعثات التى أرسلت من مصر بعد هذا التاريخ ، ومنهم عضوا البعثة اللذان أرسلا فى سنة ١٨٤٥ (١٢٦١) إلى فرنسا لدراسة الصيدلة . وكذلك الأعضاء الأربعة الذين أرسلوا فى سنة ١٨٤٧ إلى فرنسا لدراسة الطب والصيدلة . وقد عاد نفر منهم فى خلال حكم عباس

---

(١) دفتر ٣٢٩ (مدارس عربى) ص ٢٣٨٤ رقم ٢٠٥ من التجارة والمبيوعات فى ٢٢ رمضان ١٢٧٠ وفى عهد سعيد سيال الطالب سوتريوس باكيس إذنا بالعودة إلى فرنسا لدراسة الطب .

(٢) دفتر ٣٠٣ (مدارس عربى) ص ٢٢٦٥ رقم ٧٦ فى غرة رجب ١٢٧٠ الى ديوان التجارة والمبيعات .

(٣) من ترجمة سالم باشا سالم فى الخطط التوفيقية م ٤ ج ١٤ ص ١٢٧

وظل آخرون يدرسون بفرنسا حتى أوائل حكم سعيد باشا [١] .

وأمامنا وثيقتان هامتان [٢] تثبتان أسماء الطلبة الذين كانوا يدرسون بأوروبا فى أوائل حكم سعيد ، ومنهم نفر أرسلوا إلى فرنسا فى عهد محمد على ثم أذن لهم عباس بالبقاء فظلوا يدرسون بفرنسا حتى تولى سعيد باشا . ونذكر فيما يلى أسماءهم وتاريخ إرسالهم ومواد دراستهم :

(١) أوهان أسطفان : سافر إلى فرنسا فى ١٦ شعبان ١٢٦٠ (١٨٤٤) ثم صدر أمر عباس بانتقاله إلى لندن فى غرة ذى القعدة ١٢٦٩ (١٨٥٣) لدراسة اللغة الانكليزية

(٢) يوسف أسطفان : سافر إلى فرنسا فى ١٦ شعبان ١٢٦٠ (١٨٤٤) وكان يدرس الهندسة .

(٣) شحاته عيسى : سافر إلى فرنسا فى جمادى الثانية ١٢٦٠ (١٨٤٤) وكان يدرس الهندسة .

(٤) حسن نور الدين : سافر إلى فرنسا فى جمادى الثانية ١٢٦ (١٨٤٤) وكان يدرس الهندسة ، وقد عاد إلى مصر فى جمادى الثانية ١٢٧٢ (١٨٥٥) وألحق بمعية موجل بك [٣]

---

(١) انظر عن هذه البعثات كتابنا تاريخ التعليم فى عصر محمد على ص ٤٤٧ — ٤٤٩ .

(٢) محفظة رقم ٥ (معية تركى) رقم ٢٥٥ من وكيل المبيعات والتجارة الى كاتب ديوان الخديو فى ٢٨ ربيع الأول ١٢٧١ ورقم ٥٦ من عبدى شكرى الى كاتب ديوان الخديو فى ٧ ربيع الأول ١٢٧١ .

(٣) انظر ترجمته فى الخطط التوفيقية م ٣ ج ١٢ ص ٦٠ .

(٥) عبد العزيز الهراوى : صيدلى سافر إلى فرنسا فى المحرم ١٢٦١ (١٨٤٥) وكان يدرس صناعة غزل القطن والصوف والحرير وطبع الشيت . وقد عمل فى بعض المصانع الخاصة بصبغ الحرير والصوف ، وامتدح تقرير إدارة البعثة فى سنة ١٨٥٨ مهارته وجده ووافق مجلس تعليم البعثة على طلبه الالتحاق بمدرسة الصيدلة بباريس ليتم فيها علوم الصيدلة التى درسها أولا بمدرسة الطب بالقاهرة ، ثم جاء عنه فى تقرير البعثة فى سنة ١٨٦١ أنه لم يبق عليه سوى إعداد رسالته .

(٦) بترو أفندى : سافر إلى فرنسا لدراسة الطب فى جمادى الأولى ١٢٦١ (١٨٤٥) وكان المرجو أن ينتهى من دراسته فى آخر سنة ١٨٦١ .

(٧) محمد (محمود ؟) شوقى : سافر إلى فرنسا فى جمادى الثانية ١٢٦١ (١٨٤٥) وكان يدرس الهندسة ويتأهب لدخول مدرسة الهندسة ولعله أتم دراسته .

(٨) صادق سليم : سافر إلى فرنسا فى جمادى الأولى ١٢٦١ (١٨٤٥) وكان يدرس الهندسة كزميله شوقى .

(٩) محمد عارف : سافر إلى فرنسا فى جمادى الثانية ١٢٦١ (١٨٤٥) وكان يدرس الهندسة ويتأهب لدخول مدرسة

الهندسة ولعله أتم دراسته . وقد عاد إلى مصر فى جمادى الثانية ١٢٧٢ وألحق بمعية موجل بك .

(١٠) خورشيد برتو : سافر إلى فرنسا فى جمادى الأولى ١٢٦١ (١٨٤٥) أتم دراسته بالمدرسة البحرية ثم أرسل إلى البحر الأسود فى الأسطول الفرنسى برتبة ضابط للتدريب .

(١١) سعيد (أو سعد) نصر : (نجل الشيخ نصر أبو الوفا الهورينى إمام بعثة ١٢٦٠) التحق بالبعثة فى شعبان ١٢٦٣ وبدأ يدرس اللغة الفرنسية وتأهب لدخول مدرسة السنترال ثم تحول إلى السلك العسكرى لأن تقرير إدارة البعثة فى ١٨٦١ ذكر تخرجه فى مدرسة سان سير العسكرية وأشار إلى قرار استدعائه رغم صغر سنه (٢٢ سنة) .

(١٢) عبد الرحمن الهراوى : سافر إلى فرنسا فى ١٨ جمادى الثانية ١٢٦٣ وكان يدرس البحرية . كزميله خورشيد برتو .

(١٣) محمد محمود يونس [١] : شأنه شأن زميله الهراوى .

---

(١) أرسل هذان العضوان (الهراوى ويونس) فى سنة ١٨٤٧ لدراسة الطب ، وقد كانا مدرسين من الدرجة الثانية بمدرسة الطب البشرى (انظر تاريخ التعليم فى عصر محمد على للمؤلف ص ٤٤٨ — ٤٤٩) ويظهر أن الوثيقة التى نقلنا عنها هذه البيانات أخطأت حين ذكرت أنهما يدرسان العلوم البحرية ونرجح أنهما استمرا يدرسان الطب : فهناك وثيقة أخرى تذكر أنه عقب عودتهما إلى مصر فى جمادى الثانية ١٢٧٢ (١٨٥٥) أرسلا إلى =

(١٤) حسن هاشم : سافر إلى فرنسا لدراسة الصيدلة فى ١٨ جمادى الثانية ١٢٦٣ . ويظهر أنه تحول إلى دراسة الطب ، وجاء عنه فى تقرير البعثة فى سنة ١٨٦١ أنه لم يبق أمامه سوى مناقشة رسالته .

(١٥) محمد الشرقاوى : كان يدرس الصيدلة .

هؤلاء هم الطلبة الذين أرسلوا فى حكم محمد على إلى فرنسا وسمح لهم عباس الأول بالبقاء للدراسة حتى انتهى حكمه وبدأ حكم سعيد باشا ، ثم زاد عليهم عباس طلبة آخرين هم :

بعثة الفلك الى فرنسا

لما شرع « على مبارك » يضع للمدارس فى مصر نظاما جديدا — على نحو ما رأيت — أشار بالغاء « الرصدخانة » التى كانت ملحقة بمدرسة المهندسخانة ، لعدم وجود من يقوم بها حق القيام إذ ذاك من أبناء الوطن مع احتياجها إلى كثرة المصرف ، وأشار فى « الترتيب » الذى وضعه إلى ضرورة إرسال بضعة طلاب إلى أوروبا ليدرسوا الفلك ، حتى إذا عادوا إلى مصر أعيد فتح الرصدخانة وقاموا على العمل فيها ، وأشار باختيار « الصاغقول محمود أفندى أحمد » أحد معاونى الرصدخانة ومعلم الرياضة والفلك بالمهندسخانة و « إسماعيل أفندى مصطفى » وكان برتبة أسبران أول (إذ كان حديث العهد بالتخرج فى المهندسخانة) و « حسين أفندى ابراهيم »

= « كبير أطباء » سعيد باشا لاختبارهما واستخدامهما اذا ظهرت كفايتهما (محفظة ٦ معية تركى) رقم ٥٧٦ من وكيل التجارة والمبيعات الى كاتب ديوان الخديو فى ٢٦ جمادى الآخرة ١٢٧٢ .

وكان برتبة ملازم ثان وكان يعمل مدرسا (باليومية) بالأورطة المفروزة [١] .

ووافق عباس على ما اقترحه على مبارك ، وسافر الأعضاء الثلاثة إلى باريس فى ١٢ رجب ١٢٦٦ [٢] (مارس ١٨٥٠) وجد محمود الفلكى (باشا) فى الدراسة حتى تفوق على زميليه . التحق « برصدخانة باريس » حتى إذا أتم الدراسة فيها التمس أن يؤذن له بالسفر لزيارة دور الرصد بأوروبا استكمالا لتخصصه فأذن له بالسفر إلى لندن فقط . أما « حسين إبراهيم » فقد ترك الاشتغال بالعلوم الفلكية وعنى بدراسة العلوم الرياضية وكان ذلك مثار غضب السلطات فى مصر وتهديدها إياه بالعقاب [٣] ، وعاد فى جمادى الآخرة سنة ١٢٧٢ (١٨٥٦) قبل زميليه [٤] ، والراجح أنه عين بعد رجوعه بالرصدخانة المصرية . وقد اختاره الخديو اسماعيل لتعليم أنجاله ومنهم ولى عهده « توفيق » علوم الفلك ، وهو « على أى حال لم يبلغ شهرة زميليه » [٥] .

---

(١) على مبارك باشا : الخطط التوفيقية م ٣ ج ٩ ص ٤٤ ودفتر ١٥٧ (مدارس عربى) ص ٣٤٣٨ رقم ٧٣٤ الى المهندسخانة فى غرة ذى القعدة ١٢٦٦

(٢) دفتر ١٥٢ (مدارس عربى) ص ٢٣٧٨ رقم ٥٢ الى التجارة فى ٦ رجب ١٢٦٦ وكان مرتب الأول ٧٥٠ قرشا ترك منها لعياله خمسمائة قرش وكان قبل سفره يقوم بصنع مزولة لمدرسة الطب البشرى - دفتر ١٥٢ (مدارس عربى) ص ٢٤٥٧ رقم ٩٦ الى شورى الأطباء فى ١٥ رجب ١٢٦٦

(٣) دفتر ٢٦٧ (مدارس عربى) ص ٦٠٨٥ رقم ٢٦ الى ديوان أمور خارجية فى ١٣ شوال ١٢٦٩

(٤) محفظة ٦ (معية تركى) رقم ٥٧٦ من عبد الرحمن رشدى وكيل ديوان التجارة والمبيعات الى كاتب الديوان الخديوى فى ٢٦ جمادى الآخرة ١٢٧٢

(٥) الأمير عمر طوسون : البعثات العلمية . . ص ٤٥٨

وتبعه محمود الفلكي ، إذ عاد إلى مصر في ١٨ أغسطس ١٨٥٩ وأحسن إليه بالرتبة الثانية ، ثم ولي نظارة مدرسة المهندسخانة من يونية ١٨٧١ إلى أغسطس من هذه السنة. وكان عضوا بقومسيون المعارف في سنة ١٨٨٠ ، ثم عين وكيلا لنظارة المعارف العمومية من نوفمبر ١٨٨٢ إلى يناير ١٨٨٤ وكان وزيرها إذ ذاك علي باشا مبارك ، وبقي بالوزارة حتى مات فجأة في ١٩ يوليه ١٨٨٥ (١) .

أما إسماعيل مصطفى الفلكي (باشا) فقد مكث بفرنسا أربع عشرة سنة يتعلم العلوم الرياضية والفلك في مرصد باريس ، وكذلك تعلم صناعة الآلات الفلكية وأتقنها ، وعاد إلى مصر في نوفمبر ١٨٦٤ وأنعم عليه بالرتبة الثانية ، وقد عين ناظراً للرصدخانة ومدرسة المهندسخانة في يونيه ١٨٦٦ ، وقد ظل في هذا المنصب إلى مارس ١٨٨٧ ما عدا فترة قصيرة حل محله فيها زميله « محمود حمدي باشا » وكان في أثناء نظارته للمهندسخانة يلقي محاضرات باللغة العربية في علوم الفلك بدار العلوم بسراي درب الجماميز (٢) .

بعثة العمليات إلى فرنسا

لم يجر لهذه البعثة ذكر لدى المؤلفين الذين عالجوا موضوع البعثات العلمية التي أرسلها عباس ، واقتصروا جميعاً على أن عباسا لم يرسل إلى فرنسا طوال حكمه سوى الطلبة الثلاثة الذين درسوا بها علوم الفلك ، وقد يرجع هذا الإغفال إلى أن طلاب العمليات لم يرسلوا إلى فرنسا في وقت واحد بل في أوقات مختلفة من ١٢٦٦ إلى ١٢٦٩

---

(١) المصدر السابق ص ٤٥٢و٤٥٣

(٢) المصدر السابق ص ٤٥٦

(١٨٥٠ — ١٨٥٣) ، كما أن حساباتهم لم تكن أول الأمر بديوان المدارس ، ذلك لأنهم أرسلوا من مدرسة العمليات وكانت إذ ذاك تابعة لديوان الجهادية ، فلم يكن ديوان المدارس يعلم شيئاً عن أسمائهم ومرتباتهم . وكانوا ستة أعضاء يتعلمون صناعة العربات ، لذلك كان يطلق عليهم أحيانا « التلامذة العربجية » وأستاذهم يدعى « هيمل العربجى »[1] . ولم نعثر على أسمائهم جميعاً ، وإنما عثرنا على أسماء بعضهم مبعثرة فى دفاتر ديوان المدارس وهم :

(١) إسماعيل إبراهيم بوشناق وقد سافر إلى فرنسا فى شعبان ١٢٦٦[2] (يونيه ١٨٥٠) .

(٢) يوسف إبراهيم وقد سافر إلى فرنسا فى ربيع الأول ١٢٦٧[3] (يناير ١٨٥١)

(٣) يوسف نصار « « « « « رجب ١٢٦٨[4] (مايو ٥٢)

(٤) على البيومى « « « « « جمادى الأولى سنة ٢٦٩[5] (فبراير ١٨٥٣)

---

(١) دفتر ٣٣٢ (مدارس عربى) ص ٣٩ رقم ٥ الى ديوان التجارة باسكندرية فى ٢٥ ذى الحجة ١٢٧٠ .

(٢) دفتر ١٦٥ (مدارس عربى) ص ١٤٤٥ رقم ١٣٤ من ورشة العمليات فى ٢٤ شعبان ١٢٦٦ .

(٣) دفتر ١٨٩ (مدارس عربى) ص ٧٤٣ رقم ٤٦ من التجارة فى ٢٨ ربيع الأول ١٢٦٧

(٤) دفتر ٢١١ (مدارس عربى) ص ٢٩٠٦ رقم ٩١٠ إلى الحسابات فى ٢٨ رجب ١٢٦٨

(٥) دفتر ٢٥٧ (مدارس عربى) ص ٣٩٨٧ رقم ٧٩٩ إلى الجهادية فى ٢٩ جمادى الأولى ١٢٦٩ .

وقد وجدنا — عدا هؤلاء — أسماء طلبة آخرين ، ولكننا لا نستطيع أن نجزم بأنهم من أعضاء هذه البعثة .

وقد فكر عباس فى آخر سنة ١٢٦٨ (سبتمبر ١٨٥٢) فى أن يعيد إلى مصر بعض هؤلاء الأعضاء ، فكتب إلى مدير المدارس[1] يأمره باتخاذ الاجراءات اللازمة لإعادة « التلاميذ الذين أرسلوا إلى فرنسا ليتعلموا صنعة عمل العربات إذا أعطى لهم شهادة من متولى أمرهم هناك ومن سائر أهل المعرفة والخبرة بأنهم تقدموا فيما تعلموه وأتقنوه ، وتكون عودتهم بمعية » باش ترجمان الجناب العالى نوبار بك الذاهب فى هذه المرة إلى فرنسا » ، أما الذين أرسلوا أخيراً فعليهم أن يبذلوا جهدهم . وقد عاد أربعة منهم إلى مصر قبل أن ينتهى حكم عباس الأول ثم أمر سعيد باشا باستدعاء العضوين الآخرين .

ويضاف إلى هؤلاء الطلبة يوسف النبراوى أفندى[2] . وقد جاء اسمه فى الوثيقتين اللتين سجلتا أسماء الطلبة الذين كانوا يدرسون بفرنسا لما تولى سعيد باشا ، وقيل[3] إنه كان توجه إلى فرنسا فى ٢ من المحرم ١٢٦٧ (أكتوبر ١٨٥٠) وفى سنة ١٨٥٨ كان

---

(١) محفظة ٤ (مدارس) رقم ١٢٠ من عباس إلى مدير المدارس فى ٣ ذى الحجة ١٢٦٨ .

(٢) وهو نجل الطبيب الشهير « ابراهيم النبراوى بك » الذى كان عضو بعثة الطب فى سنة ١٨٣٢ وكان يعمل إذ ذاك طبيباً خاصاً للوالى . وكان له نجل آخر يدعى خليل أرسل فى بعثة أخرى سيأتى ذكرها .

(٣) محفظة ٥ (معية تركى) رقم ٥٦ فى ٧ ربيع الأول ١٢٧١ من عبدى شكرى باشا الى كاتب الديوان الخديوى

لا يزال يتلقى الدراسة التجهيزية ويستعد لدخول مدرسة سان سير العسكرية ، ثم جاء في وثيقة أخرى أنه درس الفنون العسكرية . وعاد إلى مصر في أغسطس ١٨٦١، وعين ضابطا بالجيش ، ولكنه ما لبث أن أنف الحال فعاد إلى فرنسا وأقام بها وتزوج منها ، وكان عون نوبار في السعي لإنشاء المحاكم المختلطة ، ثم عاد إلى مصر واشتغل في سلك القضاء . ويعده الأمير عمر طوسون — خطأ — من أعضاء بعثات سعيد باشا .

وإلى جانب هؤلاء المبعوثين كان بفرنسا طلبة آخرون يدرسون على نفقة الحكومة المصرية وهم :

بول جورجياني وهو ابن طبيب الديوان . ولا يعلم تاريخ سفره في البعثة ، وكان يدرس اللغة الفرنسية ومبادىء العلوم ولا يعلم ماذا كان يدرس عند ماتولى سعيد باشا.

ثم أربعة طلبة أرسلوا من الآستانة ، وتذكر كلتا الوثيقتين اللتين أشرنا إليهما أنه لا يعلم تاريخ توجههم ولا العلوم التي يدرسونها . ولكن ثمة وثيقة أخرى هي أمر من عباس باشا إلى أرتين بك في ١٩ شعبان ١٢٦٥ بتوزيعهم على المدارس الفرنسية أسوة بما حدث للتلامذة المصريين بعد إلغاء مدرسة باريس [١] .

ومن ذلك يرجح أنهم التحقوا بهذه المدرسة في الأشهر الأولى من حكم عباس ولا نعلم العلوم التي يدرسون ، وهم :

(١) مصطفى افندى .

---

(١) دفتر ٤٦٧ (معية تركى) ص ١٣٦ رقم ٧٨١ ف ١٩ شعبان ١٢٦٥ من الجناب العالى الى أرتين بك

(٢) محمد سالم .

(٣) توفيق أفندى .

(٤) مختار أفندى .

وبذلك يكون مجموع الطلبة الذين أرسلهم عباس الأول إلى فرنسا خمسة عشر طالباً بيانهم كالآتى :

٣ بعثة الفلك

٦ بعثة العمليات

١ بولى جورجيانى

٤ من الآستانة

١ يوسف النبراوى

وعدا هؤلاء يوجد طلبة البعثات الذين سافروا إلى فرنسا فى حكم محمد على وإبراهيم وأبقاهم عباس حتى يتموا دراستهم ، وقد بقى أربعة عشر طالبا منهم يدرسون بفرنسا حتى تولى سعيد باشا . وبذلك يكون مجموع الطلبة الذين كان عباس ينفق على تعليمهم فى فرنسا — فى وقت من الأوقات — لا يقل عن تسعة وعشرين طالبا . وبذلك تكون البعثات المصرية فى فرنسا فى عهد عباس أكبر البعثات فى أوروبا عددا . ولا نستطيع إذن أن نتابع المؤرخين الذين يذهبون إلى أن عباسا انصرف عن إرسال البعوث إلى فرنسا وتحول إلى غيرها من بلاد أوروبا .

وإذا كان عباس قد ألغى المدرسة المصرية بباريس « ومن بقى هناك كان فى مدارس الفرنساوية تحت نظارتهم بمصروف على الميرى »[1] . فقد أبقى لهم عباس وكيلا أو

---

(١) على مبارك : الخطط التوفيقية م ٣ ج ٩ ص ٤٢ .

ناظرا للرسالة المصرية بعد أن استدعى أسطفان بك ناظر المدرسة المصرية بباريس وعينه عضواً بمجلس الأحكام [١] ثم وكيلا للأمور الأجنبية المصرية [٢] أو ديوان الخارجية تقديراً له .

وخلفه ناظراً للمدرسة المصرية بباريس — قبل إلغائها — أستاذ فرنسى هو مسيو لومرسيه (Lemercier) [٣] ، الذى خدم البعوث المصرية فى فرنسا زمنا طويلا : سكرتيراً لجومار فى سنة ١٨٣٤ [٤] فوكيلا ثم مديرا للرسالة المصرية بباريس ، وإن كانت الوثائق ظلت تتحدث عنه فى كثير من المواضع باسم « مدير المدرسة بباريس » [٥] .

٣ — بعثات إلى اسكتلندا وانجلترا

فى أواخر سنة ١٢٦٦ (أكتوبر ١٨٥٠) أمر عباس باشا طبيبه « إبراهيم النبراوى بك » بانتخاب خمسة عشر طالبا من مدرسة الطب البشرى ليكملوا دراسة الطب فى

(١) دفتر ١٥٠ (مدارس عربى) ص ٢٠٣٠ رقم ٣٧٣ إلى المهندسخانة فى ٢ جمادى الثانية ١٢٦٦ .

(٢) دفتر ١٨٦ (مدارس عربى) ص ٩٥ رقم ١٥ من المعية الخديوية فى ١٥ ذى القعدة ١٢٦٦ .

(٣) دفتر ١٦٠ (مدارس عربى) ص ٤١٨ رقم ٢٥ من التجارة باسكندرية فى ١٣ المحرم ١٢٦٦ .

(٤) Sachot, op. cit. p. 26 .

(٥) دفتر ١٧٨ (مدارس عربى) ص ٢١٤٩ رقم ٤٨٧ إلى الحسابات فى ٢٢ جمادى الثانية ١٢٦٧ ودفتر ٣٤٠ ص ٤٤٧ رقم ٤٧ من التجارة فى ١٤ ربيع الأول ١٢٧١ — وكان لومرسيه يتناول فى السنة ٥ آلاف فرنك . دفتر ٢٤٣ (مدارس عربى) ص ١٢٥٢ رقم ٥ إلى ديوان أمور خارجية فى ٢٤ المحرم ١٢٦٩ .

جامعات أوروبا [١] ، فاختارهم من الطلبة الممتازين فى الدراسة ، ثم أضيف إليهم الطالب ، خليل ، نجل النبراوى بك نفسه [٢] . ووزعوا بين ثلاث جامعات : أدنبرة وفينا بالنمسا وبيزا بإيطاليا .

خص جامعة أدنبرة الطلبة الخمسة : محمد بدر ومصطفى مصطفى ومحمد على الكاتب (ولقد لقب بالكاتب — وأحيانا بالخطيب — تمييزاً له عن سميه الدكتور محمد على البقلى باشا الجراح الشهير) [٣] ومحمد على السبكى وعبد الرازق درويش [٤] .

وقد مكثوا يدرسون الطب فى أدنبرة حتى تولى سعيد باشا . فكان له فى توجيههم رأى غريب : أمر مدير الخارجية أن يحثهم على دراسة التلغراف (الكهرباق) ! بالاضافة إلى دروسهم التى يتلقونها وأمهلهم لذلك عاما . وأجاب الطلبة شاكرين لولى النعم ، إحساناته السامية والتفاتاته إليهم ، واعدين بأن يبذلوا الجهد حتى يتموا علومهم بإسكتلندا فى الوقت المحدد [٥] .

---

(١) دفتر ٢٩٣٥ (مدارس تركى) ص ١٢ رقم ١١ الى مدرسة الطب البشرى فى ١٦ ذى الحجة ١٢٦٦ .

(٢) دفتر ٢١٤٥ (مدارس تركى) ص ٣٨ رقم ١٥ الى الحسابات فى ٢٧ ذى الحجة ١٢٦٦ .

(٣) الأمير عمر طوسون : البعثات العلمية ص ٤٤٦

(٤) محفظة ٢ (معية تركى) رقم ٢٦٣ من عبدى شكرى الى الموكب العالى فى ٢٤ جمادى الأولى ١٢٧٠

(٥) محفظة ٦ (معية تركى) رقم ٥٢٣ من استفان رسمى وكيل الأمور الخارجية الى كاتب الديوان الخديوى فى ١٩ جمادى الثانية ١٢٧١

ولكن الراجح أنهم لم يفعلوا شيئاً مما طلبه سعيد باشا بل آثروا الاحتفاظ بالمواد التي كانوا يدرسون ، فليس فى تاريخ حياة أحـــد منهم ما يشير إلى دراسة (التلغراف الكهربائى) !

وقد أورد سمو الأمير عمر طوسن أسماءهم وترجم لهم .[1]

ونبغ من هؤلاء الطلاب :

الدكتور محمد بدر بك : أظهر فى دراسته من النبوغ ما جعل أستاذه يلقبه « بنجمة الشرق » . وقد أمضى سنين طويلة أستاذاً بمدرسة الطب بالقاهرة ، وكان طبيباً خاصاً للأمير حسن باشا نجل الخديو اسماعيل[2] .

وعبد الرازق درويش بك : وقد اتجه اتجاهاً يختلف فيه عن زملائه : درس بأدتيرة الكيمياء ثم طلب أن ينتقل إلى لندن ليتبحر فيها[3] ، وقد اشتغل بعد عودته إلى مصر معلماً للغة الانكليزية بالمدارس ولأنجال الخديو إسماعيل ، ثم عين فى سنة ١٨٦٦ وكيلا للمدرسة البحرية بالاسكندرية وكان ناظرها إذ ذاك مستر مكيلوب (باشا) ، ثم عين ناظراً لهـــذه المدرسة من مايو ١٨٧٥ إلى إبريل ١٨٧٩ ، ومات حوالى سنة ١٩٠٥ .

وفى سنة ١٢٦٨ (١٨٥٢) أمر عباس باشا بأن يبعث « رزق الله افندى » المهندس إلى انجلترا ، وأن تكون مصروفاته كبقية التلامذة المقيمين بهـــا على نفقة

---

(١) البعثات العلمية ... ص ٤٤٠ — ٤٤٩

(٢) انظر ترجمة حياته فى الخطط التوفيقية م ٣ ج ١١ ص ٨٨

(٣) دفتر ٣٢٧ (مدارس عربى) ص ٢١١٢ رقم ٢٩ من ديوان أمور خارجية فى ٥ ذى الحجة ١٢٧٠ .

ديوان المدارس[1] .

وفى أواخر حكم عباس عرض عليه « استفان بك » وكيل الأمور الخارجية أن ولده « أوهان » أحد طلبة البعثة المصرية بباريس قد أتم دراسته . فأمر عباس باشا بإرساله إلى لندن ليقيم بها عاما ليكمل تحصيل اللغة الانكليزية[2] . وعلى أثر تولية سعيد باشا أمر بأن يبقى الطالب « أوهان استفان » حيث هو وتظل نفقاته على الحكومة المصرية[3] .

ولم تكن هذه البعثات أول بعثات مصرية إلى انجلترا : فقد سبقتها فى سنة ١٨٤٧ بعثة كبيرة تتألف من ستة وعشرين طالباً : ثمانية من طلاب المكتب العالى لدراسة العلوم السياسية وثمانية عشر طالبا من المهندسخانة لدراسة الميكانيكا والوابورات[4] . وقد سمح لهم عباس باشا بمتابعة الدراسة فى انجلترا ، وكان البعض منهم يدرس فى لندن والبعض الآخر فى كمبردج والبعض فى منشستر . وقد عاد ١٩ عضواً منهم فى أوقات مختلفة من حكم عباس بعد أن أتموا دراستهم أو بسبب المرض أو عقابا لسوء

---

(١) دفتر ٢١٧ (مدارس عربى) ص ٤٠٨٤ رقم ١٣٠ الى ديوان التجارة والمبيوعات فى ٢٥ شوال ١٢٦٨ ودفتر ٢٣٣ (مدارس عربى) ص ٢٢٥٥ رقم ٧٨٧ من المعية فى ٢٥ رمضان ١٢٦٨ — ولا يذكر سمو الأمير عمر طوسون شيئاً عن هذا الطالب المبعوث الى انجلترا .

(٢) دفتر ٢٢٣ (مدارس عربى) ١٢٥٤ رقم ١٢٠ من التجارة والمبيوعات فى ١٦ جمادى الأولى ١٢٧٠ .

(٣) دفتر ١٣٤ (مدارس عربى) ص ٤٨١٨ رقم ١٦٣٩ الى الحسابات فى ٢٢ ذى القعدة ١٢٧٠ .

(٤) انظر عن هذه البعثة كتابنا تاريخ التعليم فى عصر محمد على ص ٤٥٠ — ٤٥١ .

السلوك[١]، وظل السبعة الباقون يدرسون فى مانشستر حتى تولى سعيد باشا وهم : [٢]

(١) عباس عبد العزيز : ويتعلم صناعة السبك .

(٢) على الفداوى

(٣) عيسى جاهين

(٤) جوده عوض

(٥) عثمان القاضى

---

(١) عاد عثمان عرفى وحسن ذو الفقار فى ١٢٦٦ الأول بسبب مرض عينيه رغم ذكائه والثانى متمما دروسه ، وعاد سليمان طه فى ١٢٦٧ بسبب مرضه وعلى صالح فى ١٢٦٨ وعثمان دكرورى وعمر على فى ١٢٦٨ مغضوبا عليهما فتقرر الحاقهما عاملين بورشة العمليات ومحمد غانم (أو غانم عبدالرحيم) عاد فى ١٢٦٨ متمما دروسه وعاد اسماعيل أورناؤوط (مرى) فى ١٢٦٩ مغضوبا عليه وحكم بارساله إلى جبل قيسون بالسودان لمدة ثلاث سنوات ثم ألحق جنديا بالجيش ، وفى ١٢٦٩ عاد تسعة أعضاء آخرين هم : ابراهيم سامى وعلى صادق وسليمان سليمان وأحمد طلعت وعلى حسن وعبدالله بيرون وعثمان يوسف وأبو المجد ابراهيم واسماعيل بوشناق . أما أحمد مهدى وخطاب عبدالمغيث فقدعادا فى أوقات مختلفـــة من حكم عباس . واستخدم الأعضاء الذين درسوا العلوم السياسية بدواوين التجارة والضبطية والخارجية وفى معية (البك الترجمان) (محفظة ٤ مدارس رقم ١٣٤ أمر إلى مدير المدارس فى ٢٨ ربيع الآخر ١٢٦٩) والأعضاء الذين درسوا الميكانيكا عينوا بورشة العمليات والسكك الحديدية (دفتر ٢٦٥ (مدارس عربى) ص ٥٦٣ رقم ٧٩٥ إلى المعية فى ٢٧ شعبان ١٢٦٩)

(٢) محفظة ٥ (معية تركى) رقم ٥٦ من عبدى شكرى الى كاتب ديوان الخديو فى ٧ ربيع الأول ١٢٧١ ومحفظة ٣ (معية تركى) رقم ٣٦٣ من عبدى شكرى الى الموكب العالى فى ٢٤ جمادى الأولى ١٢٧٠

ويتعلمون الميكانيكا .

(٦) سليمان موسى

(٧) سلامه الباز

ويتعلمان بصمة الشيت .

وجميعهم من خريجى المهندسخانة وكانوا قد سافروا معاً إلى انجلترا فى شهر المحرم ١٢٦٤ (ديسمبر ١٨٤٧) . وبذلك يكون مجموع الطلبة المصريين الذين كانوا يتلقون العلم فى بريطانيا فى آخر حكم عباس باشا أربعة عشر طالبا [١] .

وكان طلبة البعثة المدرسية فى انجلترا يشرف على شئونهم التعليمية والمالية ضابط بحرى انجليزى يدعى القبودان اسكوول (أو اسكويل) وكان يعد " ناظرا (المدرسة) [٢] المصرية فى انجلترا . وكان يرسل إلى السلطات بالقاهرة جداول بدروس التلامذة المصريين وسلوكهم . وقد فكرت الحكومة المصرية فى فصله . فكتب إليها بأنه إذا بقى على نظارة التلامذة « تحصل ثمرة من ازدياد تحصيلهم » [٣] . وما زال اسمه يتردد فى وثائق ذلك العهد حتى سنة ١٢٦٨ (١٨٥٢) [٤] . وفى أواخر حكم عباس

---

(١) ويذكر سمو الأمير عمر طوسون (البعثات . . . ص ٤٤٠) أن عباس باشا أرسل الى انجلترا فى ٢٠ يناير ١٨٥٠ « أبا المجد إبراهيم » لتعلم الميكانيكا . ولكن الحقيقة أنه أرسل قبل تولية عباس باشا (انظر ص ٤٥١ من كتابنا : التعليم فى عصر محمد على) .

(٢) دفتر ١٨٦ (مدارس عربى) ص ٣٣ رقم ١ من التجارة فى ٤ ذى القعدة ١٢٦٦

(٣) دفتر ١٧٠ (مدارس عربى) ص ٤٢٨ رقم ٩ الى التجارة فى ٧ ذى الحجة ١٢٦٦

(٤) محفظة ٤ (مدارس) رقم ١٠٠ من عباس باشا الى مدير المدارس فى ٤ جمادى الأولى ١٢٦٨ .

كان « مسيو لازكن » يشرف على شئون الطلبة المصريين فى انجلترا [١] .

٤ — بعثـــة الطب إلى فينا

قلنا إن « إبراهيم بك النبراوى » صدع بأمر عباس باشا فاختار من تلامذة مدرسة الطب البشرى خمسة عشر طالبا لاتمام الدراسة بأوروبا ثم زاد عليهم ابنه خليلا ، وأنهم وزعوا بين أدنبرة وفينا وبيزة ، وخص فينا الطلاب الستة الآتية أسماؤهم :

موسى محمد ، محمد حلمى ، محمد سامى ، محمود نافع ، حسن عامر ، خليل النبراوى .
وقد ظلوا يدرسون بفينا حتى تولى سعيد باشا ، فصدر الأمر بابقاء الطلبة الخمسة الأولين حتى يتموا دراستهم ، وقد عادوا فى سنة ١٨٥٥ واستخدم معظمهم فى الخدمة الصحية بالجيش . أما خليل النبراوى فنقل إلى ترييسته ليتعلم أصول التجارة [٢] .

٥ — بعثـــة الطب إلى بيزا

أما بيزا — بايطاليا — فخصها الطلبة الخمسة الآتية أسماؤهم : [٣]

---

(١) دفتر ٣٢٣ (مدارس عربى) ص ١٢٠٤ رقم ١٢٠ من التجارة والمبيوعات فى ١٦ جمادى الأولى ١٢٧٠

(٢) دفتر ٣٣٣ (مدارس عربى) ص ١٤٣ رقم ١٦ الى التجارة فى ٢٦ المحرم ١٢٧١ ويقول الأمير عمر طوسون (البعثات ص ٤٣٩) إن خليل النبراوى نقل الى فرنسا فى ١٦ نوفمبر ١٨٦٢ لإتمام علومه الطبية ثم عاد الى مصر فى عهد اسماعيل وإنه شغل بالثروة الطائلة التى خلفها له أبوه فلم ينل شهرته فى الطب .

(٣) محفظة ٥ (معية تركى) رقم ٥٦ من عبدى شكرى الى كاتب ديوان الخديو فى ٧ ربيع الاول ١٢٧١ .

محمد ريان ، ابراهيم جاهين ، محمد حميد (صيدلى) ، جورجى ديمترى ، على شوشه .
وقد عادوا جميعا فى حكم سعيد باشا ، فى سنة ١٨٥٧ عدا الأول محمد ريان ، فقد سافر — كما يقول سمو الأمير عمر طوسون — إلى فرنسا ، ثم عاد منها إلى مصر فى سنة ١٨٥٩ . ولكن الوثائق لا تشير إلى ذهابه إلى فرنسا بل تذكر وثيقة أنه كان بايطاليا يتعلم الفنون العسكرية ، ولذا منح عقب عودته فى سنة ١٨٥٩ رتبة الملازم الأول [١] .

ويبدو أن اختيار جامعة بيزا ليدرس فيها الطلبة المصريون الطب لم يكن موفقا : فالدكتور رانزى (Ranzi) أستاذ العيادة الجراحية بكلية الطب بفلورنسة ورئيس شورى الأطباء ومدرسة الطب فى مصر فى عهد عباس يوافق كلوت بك — فى بعض خطاباته إليه — على ما ذكره من ضعف طلبة الطب المتخرجين فى جامعة بيزا ، ويقول إن هذه الجامعة اعتادت أن تمنح المتخرج فيها دبلوما لا يرخص له ممارسة الطب ، ولكنه إنما يدل على أن صاحبه قطع مرحلة علمية معينة ، ويوافق رانزى كلوت بك أيضا على ما أشار به من أن بيزا لا يجب أن تمنح الغرباء دبلومات إذا لم يكونوا قبل ذلك قد قاموا بالدراسات العملية فى فلورنسة .

أما الشبان المصريون فيقول كلوت بك إنهم لم يصيبوا سوى قسط ضئيل من النجاح ، وقد أرسلهم عباس باشا فى سنة ١٨٥٣ إلى فلورنسة ووصى عليهم أحد الأساتذة ثم أخذوا إلى بيزا ليدرسوا اللغة الإيطالية ، وقد قضوا أربع سنوات فى

---

(١) دفتر ١٨٩١ (أوامر) ص ١٧٧ رقم ١٣٥ أمر الى ناظر الداخليـــة فى ١٢ المحرم ١٢٧٦ .

الدراسة ، ويرى كلوت بك أنهم لم يفيدوا — عدا اللغة الايطالية — شيئاً وأنه ما كان ينبغي أن يمنحوا الدبلوم [١] .

ويبدو أن كلوت بك — وكان يفضل بطبيعة الحال أن يرسلوا للدراسة فى كليات فرنسا — لم يبالغ كثيرا فى بيان ضعف مستوى طلبة بيزا . فإنهم لما عادوا إلى مصر فى سنه ١٨٥٧، كان الجو متجهما أمامهم : فقد صدرت إرادة سنية بامتحانهم أمام شورى الأطباء لاختبار معلوماتهم والوقوف على درجة تحصيلهم ، وقرر أعضاء الشورى فى تقرير امتحانهم أنهم (وسط Médiocre) ، فلما رفعت النتيجة إلى سعيد باشا أمر باعادتهم إلى مدرسة الطب بقصر العينى ليتموا دروسهم فيها . ثم رأى شورى الأطباء أن ثمة محلات خالية بالأقاليم لأطباء الصحة ، ولما كان النظام الذى اتفق عليه مع الدول يقضى بأن لا تشغل هذه المحلات إلا بأطباء يحملون الدبلومات اقترح الشورى استخدام خريجى جامعة بيزا « أطباء ثوانى » فى الأقاليم تحت إدارة « الحكيمباشية » ، وكان هذا الاقتراح محل جدل شديد . [٢]

وفى العام التالى (١٨٥٩) اقترحت لجنة امتحان مدرسة الطب « قبول الثلاثة حكما المحضرين من إيطاليا بالخدمات الميرية » وهم : على شوشه برتبة يوزباشى أول وجورجى ديمترى برتبة يوزباشى ثان وابراهين جاهين برتبة ملازم أول ، ووافق سعيد باشا على اقتراح اللجنة [٣] . ولسنا نعرف — على وجه التحقيق — « الخدمات

---

(١) Clot, Relation des phases etc. p. 17 — 18.

(٢) محفظة ١٥ (معية تركى) رقم ١٩٩ من ناظر الداخلية الى المعية فى ٢ صفر ١٢٧٤ .

(٣) دفتر ١٨٩١ (أوامر) ص ١٢٣ رقم ٧٣ أمر الى ناظر الداخلية فى ١١ رمضان ١٢٧٥ .

الميرية ، التي عينوا فيها ، وإن كنا نرجح أنها بعض الوظائف الصحية في الجيش أو في الأقاليم .

٦ — بعثة المفروزة إلى فينا وبرلين

وإلى هنا وقف بحث سمو الأمير عمر طوسون في (دفاتر دار المحفوظات المصرية بالقلعة) وانتهى من بحثه فيها إلى أن تلاميذ البعثات في عهد عباس الأول بلغوا تسعة وعشرين طالبا[١] .

ولكنا أثبتنا في الصفحات السابقة أسماء واحد وأربعين طالبا أرسلهم عباس الأول إلى أوروبا ، عدا طالبين من بعثة العمليات إلى فرنسا لم نقف على اسميهما بعد .

ويضيف سمو الأمير إلى بحثه في محفوظات القلعة أنه عثر — في مجموعة خاصة — على أسماء ثلاثة طلاب يرجح أنهم جزء من رسالة أرسلت في سنة ١٨٥١ إلى فينا ، ثم عثر على صورة وقائمة بأسماء تسعة أعضاء آخرين يكونون بعثة كاملة أرسلت في أوائل سنة ١٨٥٤ إلى برلين ، ومنهم من كان يتعلم الطب أو الصيدلة أو الفنون العسكرية[٢] .

وقد أثبت بحثنا في محفوظات عابدين صحة ما ذهب إليه سمو الأمير في شأن هؤلاء الطلاب : فهؤلاء الاثنا عشر طالبا هم جزء من بعثة أرسلها عباس باشا في سنة ١٨٥٢ من ١٨ طالبا من طلاب المدرسة المفروزة إلى أوروبا ووزعهم مناصفة بين فينا

---

(١) البعثات العلمية ... ص ٤٥٩ — ٤٦٣ .

(٢) المصدر السابق ص ٤٦٤ — ٤٦٥ — أما أمين باشا سامى فلم يذكر في تعداده لأعضاء البعثات شيئا عن بعثة المفروزة (تقويم النيل وعصر عباس وسعيد م ١ ج ٣ ص ٧٢)

وبرلين . أما طلاب برلين فقد ذكر سمو الأمير وذكرت الوثائق أسماءهم جميعاً .
أما طلاب فينا فقد عرفنا من وثائق ذلك العهد واحداً منهم أعيد إلى مصر قبل إتمام دروسه وخمسة منهم كانوا يدرسون الطب وعادوا بأمر سعيد باشا ، وهؤلاء عدا الطلاب الثلاثة الذين ذكرهم سمو الأمير .

صدر الأمر بسفرهم جميعاً في رجب ١٢٦٨ (مايو ١٨٥٢) وتوزيعهم مناصفة بين فينا وبرلين[١] ولما كانوا قد اختيروا من المدارس الحربية المفروزة التابعة لديوان الجهادية فقد أصر ديوان المدارس على أن تكون حساباتهم بديوان الجهادية[٢] ، واستمر الخلاف بين الديوانين طويلا ، حتى تقرر أن تحال حساباتهم على ديوان المدارس[٣] .

أما طلبة فينا فقد عرفنا منهم :

(١) على مختار : وقد أعيد بعد شهور من سفره لأنه ، وجد عديم الفهم والرغبة في ممارسة علوم الحكمة[٤] . ولما عاد إلى القاهرة جدوا في البحث عنه فلم يعثروا له

(١) دفتر ٢٢٩ (مـدارس عربي) ص ١٦٥٠ رقم ١١٥ من التجارة باسكندرية في ٢٠ رجب ١٢٦٨

(٢) دفتر ٢١١ (مـدارس عربي) ص ٢٩٢٩ رقم ١٠٢ الى التجارة في ٥ شعبان ١٢٦٨ ودفتر ٢١٣ (مـدارس عربي) ص ٣٣٠٢ رقم ٩٨٢ الى الجهادية في ٢٤ شعبان ١٢٦٨

(٣) دفتر ٢٦٨ (مـدارس عربي) ص ٦٢٢٢ رقم ٦٨٦ الى المهندسخانة في ٢٧ شوال ١٢٦٩

(٤) دفتر ٢١٧ (مدارس عربي) ص ٢٠٨٤ رقم ١٣٥ الى ديوان التجارة والمبيوعات في ٥ ذي القعدة ١٢٦٨

على أثر[١] .

(٢) محمد عزمى

(٣) حسن عارف

(٤) محمد وفائى

(٥) عبد الرحمن شكيب

(٦) محمد راشد

وكانوا جميعاً يدرسون الطب بفينا ، وبعد أن أقاموا بها ثلاث سنين صدر أمر سعيد باشا فى أوائل ولايته بإعادتهم إلى مصر . وبعد عودتهم استخدموا فى الاستحكامات السعيدية بمعية جاليس بك ثم نقلوا إلى المساحة ، ولكنهم سرعان ما فصلوا منها لعدم إلمامهم بالهندسة ، ثم عقد لهم شورى الأطباء امتحانا لاختبارهم فى العلوم الطبية التى أرسلهم عباس باشا للتخصص فيها ، فأظهر الامتحان ضعفهم فيها ، ولما سئلوا عن ذلك تعللوا بأنهم لم يستطيعوا خلال المدة القصيرة التى قضوها بالنمسا سوى تعلم اللغة الألمانية ومبادىء الطب[٢] .

وذكر سمو الأمير عمر طوسون الأسماء الثلاثة الآتية وترجم لهم[٣] :

(١) إسماعيل كامل (باشا) : وقد ظل يدرس الطب فى فينا إلى عهد سعيد

---

(١) دفتر ٢٦٩ (مدارس عربى) ص ٦٣٨٤ رقم ٧٦ الى ديوان التجارة فى ٢٧ شوال ١٢٦٩ .

(٢) محفظة (معية تركى) رقم ٤٢٢ من ناظر الجهادية الى المعية فى ٢١ ذى الحجة ١٢٧٣

(٣) الأمير عمر طوسون : البعثات العلمية ... ص ٤٦٧ — ٤٧٤

فانتقل منها إلى فرنسا وتعلم بهـا الفنون الحربية ، ثم عاد إلى مصر في عهد سعيد فعين بحرسه ، وفي عهد إسماعيل حضر حرب كريد وحرب الحبشة والحرب الروسية .

(٢) عبد القادر حلمي (باشا) : وقد درس الطب في فينا ولـكنه كان ميالا بطبعه إلى استعمال الأسلحة ، وكان مشهوراً بإصابة المرمى واللعب بكل أنواع السلاح ، وعلى أثر عودته في عهد سعيد التحق بأورطة المهندسين بالقلعة بالسعيدية وظل يترقى في الرتب العسكرية . وقد عمل ناظراً لديوان السودان وحاكما عاماً لهذا الاقليم ثم أصبح ناظراً للبحرية والحربية في يناير ١٨٨٤ .

(٣) عثمان غالب (باشا) : وقد درس في النمسا الفنون العسكرية وعاد إلى مصر في عهد سعيد وترقى في الجيش المصري ، وأرسله الخديو اسماعيل مع بعض من مهرة ضباط الجيش إلى فرنسا للوقوف على ما يحسن اقتباسه من نظم الجيش الفرنسي . وقد اشترك في تكوين الجيش وإدخال النظم الجديدة فيه وتأسيس قلم أركان حرب به واشترك في حرب الحبشة .

على أن وثيقة (بمحفوظات عابدين) تذكر « إسماعيل كامل » و « عثمان غالب » ضمن الطلبة الذين اختيروا من قسم المشاة بالمدارس الحربية المفروزة لدراسة الفنون العسكرية في أوربا بناء على أمر من سعيد باشا في أوائل حكمه[1] . ويؤيد هذه الوثيقة ما ذكره سمو الأمير عمر طوسون في ترجمتهما من أنهما درسا الفنون العسكرية وارتقيا في السلك العسكري ، ومن المحتمل أن يكونا حقيقة من مبعوثي عباس ثم استدعاهما سعيد مع من استدعاهم من الطلاب ، ثم عاد فأرسلهما مرة ثانية للدراسة بأوروبا .

---

(١) عفظة ٤ (معيـــة تركي) رقم ٢٤ في ٢٦ المحرم ١٢٧١

وكان طلبة فينا يدرسون تحت « نظارة المسيو رمبرولف سركيس ناظر تعليم التلامذة المصريين بمدينةويانة » ، وكان يشكو من سلوكهم ، فكتب إليه الديوان يأذن له « باجرى تأديبهم بطرق التأديب الجارية فى حق أمثالهم بموجب أصول المدارس بذلك الطرف » [١] . أما الاشراف « الفنى » فكان موكولا إلى « المعلم شروتو » من أساتذة الطب فى فينا[٢] ، ولما عين « توبار بك » وكيلا للحكومة المصرية فى فينا أصبح يشرف على الطلبة المصريين الذين يدرسون بمدارسها . [٣]

أما طلبة برلين فقد عثر الأمير عمر طوسون على كتاب مخطوط من آثار جده سعيد باشا به صورهم وأسماؤهم ما عدا واحد منهم ونتائج أعمالهم وقائمة بأسمائهم وأعمارهم وجنسياتهم والعلوم التى يتعلمونها وقائمة أخرى بأسماء أساتذتهم . وصدرت المجموعة باهداء من مدير هذه البعثة إلى سعيد باشا . وقد أورد سمو الأمير عمر أسماءهم وتراجم لهم[٤] :

---

(١) دفتر ٢٤٣ (مدارس عربى) ص ١٢٢٨ رقم ٣٦٢ الى ناظر التعليم التلامذة المصريين بويانة فى ٢٣ المحرم ١٢٦٩

(٢) دفتر ٣٠١ (مدارس عربى) ص ١٨٠٩ رقم ٧٢٠ الى الحسابات فى ٨ جمادى الأولى ١٢٧٠

(٣) دفتر ٣١٠ (مدارس عربى) ص ٣٩٠٤ رقم ٩٤ الى التجارة فى غاية رمضان ١٢٧٠

(٤) الأمير عمر طوسون : البعثات العلمية ... ص ٤٧٦

العدد	الاسم	الجنسية	العمر	العلم
١	حافظ عفت	من القاهرة	١٧ سنة	الطب
٢	محمد راسخ	تركى الأصل	١٦ »	الفنون الحربية
٣	محمد نصحى	تركى	١٥ »	» »
٤	خورشيد نصحى	جركسى	١٥ »	» »
٥	مصطفى نائل	»	١٤ »	» »
٦	حامد أمين	مصرى	١٥ »	الصيدلة
٧	محمد عاطف	تركى	١٥ »	»
٨	عبد الله شكرى	جركسى	١٤ »	الطب
٩	يوسف شهدى	»	١٤ »	»

وكان « ناظر تعليمهم » — أو مدير البعثة — الدكتور هلوينج [1] ، وكان يبعث إلى السلطات بالقاهرة تقارير بنتائج الطلبة وسلوكهم ، وقد اقترح فى أحد تقاريره — فى أواخر حكم عباس الأول — أن تؤجر الحكومة محلا خاصا فى برلين وتجعل منه مدرسة لتلاميذها وتجلب لهم معلمين خصوصيين [2] . وينقل الأمير

(١) دفتر ٢٦٧ (مدارس عربى) ص ٨٥—٨٦ رقم ٢٨ إلى ديوان أمور خارجية فى ٢ ذى القعدة ١٢٦٩ .

(٢) دفتر ٢٩٧ (مدارس عربى) ص ١٠٩٤ رقم ٥٢١ إلى نوبار بك فى ٩ ربيع الأول ١٢٧٠ .

عمر طوسون عن (مجموعته) أسماء هؤلاء الأساتذة وهم : [١]

الدكتور هلوينج (Dr. Helwing) أستاذ العلوم السياسية بمعهد برلين الملكى وعضو المكتب الملكى لشئون البلاد ومدير تربية التلاميذ المصريين وتعليمهم .

مسيو ماهن (Mahon) : دكتور فى الفلسفة ويعرف اللغة التركية ويعلم اللغات الألمانية والفرنسية واللاتينية .

مسيو ساجر (Saéger) ومسيو لهمان (Lehmann) : أستاذان بالمدرسة الابتدائية وهما يعلمان التلاميذ المصريين القراءة والخط والجغرافية والتاريخ والرسم والاملاء والهندسة والجبر والطبيعة .

مسيو بلتش (Pietsch) : قائد الجيش الملكى وهو يعطى دروس الرسم النظرى والرسم الهندسى والطبوغرافية .

مسيو البرت ماير (Albert Meyer) : يعلم التلاميذ الأطباء الأقرباذين وعلى الحيوان والنبات .

مسيو مسهليد (Musfhold) : وكيل أونباشى فى الحرس الملكى وهو يعلم التلاميذ المصريين التمارين العسكرية .

مسيو بالوت (Ballot) : معلم الألعاب الرياضية .

مسيو لوتز (Lutze) : معلم السباحة .

وكان القائم على مراقبة هؤلاء التلاميذ مسيو ميتشرليك (Mitscherlick) الأستاذ

---

(١) الأمير عمر طوسون : البعثات العلمية ... ص ٤٧٧ و ٤٧٨ .

بالكلية الملكية وعهد فردريك وليم ، وكان ينوب عنه فى مراقبتهم مسيو جودك (Goudoke) الدكتور فى الطب ويكتب التقارير عن صحتهم .

وقد اشتهر من طلبة هذه البعثة [1] :

محمد راسخ (بك) : ترقى فى الجيش وقضى مدة طويلة فى السودان مديراً لبعض مديرياته .

محمد نصحى (باشا) : ترقى فى الجيش إلى رتبة اللواء واشترك فى الحرب الروسية سنة ١٨٧٧ ثم اشترك فى قتال المهديين .

حامد أمين (بك) : أرسل لتعلم الصيدلة ثم تحول فى عهد سعيد إلى الفنون الحربية . ترقى فى الجيش وانضم إلى عرابى ثم أحيل إلى المعاش . وكان يعرف لغات كثيرة .

عبد الله شكرى (بك) : أرسل لدراسة الطب ثم تحول إلى الفنون العسكرية . وقد بقى يتعلم ببرلين حتى تولى سعيد باشا ، وبعد سنتين أعاده إلى مصر وأدخله مدرسة الخطرية بالقلعة فتخرج منها ودخل الجيش وترقى به واشترك فى حرب الحبشة .

يوسف شهدى (باشا) : أرسل لتعلم الطب ثم تحول إلى الفنون العسكرية . وعاد إلى مصر فى عهد سعيد وترقى فى الجيش واشترك فى حرب الحبشة والروسيا . وقد انحاز إلى الخديو ضد العرابيين ، وكان ناظراً للحربية والبحرية فى وزارة مصطفى باشا فهمى (مايو ١٨٩١) ثم فى وزارة رياض باشا (يناير ١٨٩٣) .

---

(١) الأمير عمر طوسون : البعثات العلمية ... ص ٤٧٩ — ٤٨٦

وتذكر الوثائق أن سعيدا لما تولى أمر باعادة جميع الطلبة الذين أرسلوا من المفروزة إلى فينا وبرلين [١] ولكن فى التراجم التى سردها الأمير عمر طوسون أن بعضا منهم استمر يدرس فى أوروبا فى حكم سعيد .

وهاك بيانا موجزا ببعثات عباس الأول إلى أوروبا :

على قول	جملة المبعوثين	النفقة عليهم	ماخص الواحد
		جنيها	جنيها
السيد عبد الله نديم	٤٨	٨٢,٩٢٣	١٧٢٧,٦
جورجى زيدان وتبعه فيه أمين باشا سامى وغيره	١٩	٤٩,٦٧٥	٢٦١٤,٥
سمو الأمير عمر طوسون	٤١	غير معلوم	غير معلوم
على حسب ما وجدناه	٦١	»	»

(١) محفظة ٤ (مدارس) رقم ١٦٩ من محمد سعيد الى مدير المدارس فى ١٨ المحرم ١٢٧١ ومحفظة ٥ (معية تركى) رقم ٥٦ من عبدى شكرى الى كاتب ديوان الخديو فى ٧ ربيع الاول ١٢٧١

الكتاب الثانى

التعليم فى عصر سعيد باشا

١٨٥٤ — ١٨٦٣

الفصل الأول

سعيد والتعليم

في ٢٠ شوال ١٢٧٠ (يولية ١٨٥٤) خلف سعيد باشا عباسا الأول في ولاية مصر .

تولى سعيد باشا حكم مصر بعد أن انتهى على حكم محمد على وإبراهيم لها ست سنوات : ست سنوات كان لها — على ضآلتها — في تاريخ مصر أثر ليس بالقليل . شهدت وقوف الحركة الاصلاحية الواسعة النطاق التي وجهت مصر في النصف الأول من القرن التاسع عشر توجيهاً جديداً . شهدت انكماش القوة العسكرية والبحرية ، وانكماش النظام الصناعي الكبير الذي وضع محمد على أساسه . شهدت انحلال السياسة الاقتصادية التي اتخذها محمد على أساسا للنهوض بمختلف مرافق البلاد ، وأخيرا — وليس آخراً — شهدت انحلال النظام التعليمي الحديث الذي بدأه محمد على في مصر . وجملة القول شهدت هذه السنوات الست التي يتألف منها حكم عباس الأول التواء الخطة المحمدية العلوية : خطة الإحياء وتنشيط الهمم وبعث النفوس وفتح الآفاق الواسعة في مجالات الحرب والسياسة والاصلاح .

حتى إذا تولى سعيد كان الأمل قويا في أن يرعى هذه الخطة المحمدية العلوية : خطة أبيه ، ويتعهد جذورها التي لا تزال حية دفينة الثرى ، كما تعهده أبوه من قبل بالغرس

والنصح والإرشاد . كان أبوه يعزه ويعلق عليه أعذب الآمال . فقد أصبح أكبر أبنائه من بعد ابنه الكبير إبراهيم الذي قدر للشيخ الجليل أن يشهد رحيله في مرضه الأخير . وإذا كان محمد علي يقدر لحفيده عباس صلابته وعنفه مما قد يفيد مصر في أن تنجو بنفسها من طمع الغريب ، فقد كان يعرف فيه ضيق أفقه وقلة حرصه على التعلم والإفادة ، وكان يقدر لهذه الآفاق الرحبة التي رسمها في حياته الطويلة أن تضيق على يدي حفيده . أما سعيد فقد أقبل على العلم في صدر شبابه واختلط بالناس — ومنهم الأجانب — وعرف عنهم ومنهم الكثير . وأشركه أبوه في بعض جوانب الإصلاح ووالاه بالاقبال والتقويم والحث . لهذا لم يكن غريباً أن يعلق عليه محمد علي في مغرب حياته — ويعلق عليه معه العترة من رجاله — أكبر الآمال في رعاية الخطة المحمدية العلوية واحتضانها .

ولكن سعيدا كان سمح النفس إلى درجة الانقياد للأهواء المتناقضة ، كان قليل الثقة في عباس ورجاله وعهده ومؤسساته ، فلم يلق إليها بالا وأزمع أن يبدأ البناء من جديد ، وهنا وجه الخطأ : فإن خطة أبيه كانت لا تزال خطوطها مرسومة وقواعدها واضحة ، وجذورها — كما قلت — دفينة الثرى ، وكانت الحكمة الوطنية — فضلا عن احترام ذكرى الوالد الراحل — تقتضي سعيداً أن يترسم خطة أبيه ويتعهدها بالري والغذاء ، وقد ظل فيها من عناصر الحياة الكامنة القدر الذي مكن اسماعيل بعد ذلك بتسع سنوات من إحيائها لجني منها أطيب الثمرات . وسعيد فوق هذا لم يكن من الكفاية واتساع الأفق وثبات التوجيه وشمول الدرس والقدرة على تألف الأعوان بحيث يستطيع أن يبني خطة جديدة فضلا عن رسمها .

فجاءت الخطة أو الخطط التي حاول سعيد رسمها سقيمة الوضع تعصف بها الأهواء

من كل جانب : أهواء الوالى والمحيطين به من ذوى الحظوة لديه ، (والحظوة لدى سعيد كانت مما يسهل نواله كما يسهل فقده) ، ولم يستطع سعيد أن يجنبها عوامل الزلل وعواقب المستقبل . قدر سعيد ما تفيده مصر من زيادة اتصالها بالحضارة الأوربية ، ولكنه عنى بالمظهر أكثر من عنايته بالجوهر : سمح للأجانب — الصالح منهم والفاسد — بأن يتخذوا من مصر ميدانا لنشاطهم فى وقت نشطت فيه رءوس الأموال للبحث عن مجالات للعمل فى خارج أوربا ، فاتجه النشاط الأوربى إلى مصر متخذا أشكالا متنوعة : منها الديون والشركات والصحف والمدارس ، فنها المفيد ومنها ما يجب اتقاء شره ضمانا للمستقبل . وقدر سعيد ما لربط البحرين الأحمر والأبيض من خدمة كبيرة للعالم ولمصر فى الوقت نفسه ، فأذن بشق القناة ، ولكنه لم يتخذ من الضمانات ما يكفل تنفيذ العمل على نحو يحقق المصالح المصرية أو على الأقل لا يؤذيها . أما جوهر الحضارة الأوربية فقد غفل عنه سعيد : العلم وانتظام الحكم وانبعاث القوى الكامنة ، ففى الوقت الذى نرى فيه سعيدا يغدق على المدارس والمؤسسات الأجنبية نراه يضن على المدارس المصرية بالنفقة التى تمكنها من استدامة الحياة ، ويضن عليها بالتوجيه الثابت والرعاية الدائمة ، حتى إذا بدأت مدرسة من المدارس التى أنشأ تستوى على عودها وتمضى قدما أغنى عنها سعيد فضن عليها بماله أو عطفه ، فالتوت عن القصد ، أو أقبل سعيد يهدمها متعجلا كما بدأها متعجلا .

والجيش يرعاه سعيد فيكثر عدده وينتظم أمره ويبث فيه سعيد دعوة يخالها بعض رجاله دعوة وطنية فيهللون له ويكبرون ، وإذا بسعيد يضيق بهذا الجيش فيأمر بحله ، ويقصر همه على فرقة من الجند ، يدعوهم باسمه ويغدق عليهم من حسن الثياب وطيب المأكل ولطف المنظر . والسودان يهفو إليه سعيد فيزوره متفقدا أرجاءه ، حتى إذا

غضب لبعض شأنه اعتزم إخلاء هذه البلاد التي فقد أبوه في ضمها إلى مصر — أي في بعثها ووصلها بالعالم الاسلامي المتمدن — عزيزا من إخوته .

وعلى هذا النحو جرت الخطط التي حاول سعيد أن يرسمها لحكم مصر وسياسة أمورها . وخطته في التعليم — إن كانت له في التعليم خطة — توضح ما رأينا في خططه العامة من قصور في الفكر واضطراب في العمل وضعف في التوجيه وخضوع لشتى الأهواء .

* * *

في اليوم التالي لتوليته وجه سعيد باشا إلى مدير ديوان المدارس — عبدي شكري باشا — كتاباً يبلغه فيه تسلمه ولاية الأمر في البلاد ويثبته في إدارة المدارس ويأمره بالاهتمام بإدارة شئونها[1]. وأزمع الوالي الجديد أن يقف على حركة العمل في دواوينه فأمر ديوان المدارس بأن يضع بياناً مفصلا عن موظفيه — المهندسين منهم والأطباء ... ومرتباتهم وجهات استخدامهم . . . الخ[2] . وتجهم الجو حول ديوان المدارس ، فلم يكن سعيد يثق في عهد سلفه بنظمه ومؤسساته ورجاله . ولما كانت المدارس هي التي تقوم على حماية هذه النظم والمؤسسات والتمكين لها في حياة البلاد فقد كانت لذلك أشد تعرضا لما يصيب ولاية الأمر في مصر من تغيير . فقد رأيت ما فعله عباس في رجال العهد السابق ومؤسساته ، والآن وقد تولى الأمر في مصر وال جديد فقد توقع

---

(١) محفظة ٤ (مدارس) رقم ١٤٩ من محمد سعيد إلى مدير المدارس في ٢١ شوال ١٢٧٠

(٢) دفتر ٣٣١ (مدارس عربي) ص ٢٨١٩ رقم ٧٤ من لينانت بك في ١١ ذي القعدة ١٢٧٠ و ص ٢٨٦٦ رقم ١٦٧٤ من المالية في ٢٢ ذي القعدة ١٢٧٠

كثيرون تغييرات عاجلة تصيب المؤسسات التعليمية والرجال القائمين على شئونها .

وأخذ سعيد يعمل على تشتيت رجال العهد البائد : فبدأ بعلى مبارك بك ناظر المهندسخانة وملحقاتها وواضع أساس النظام التعليمي لعباس ، فبعث به معاوناً بمعية أحمد باشا المنكلى قائد الحملة العسكرية المسافرة للحرب فى القرم [١] . وأخذ فى الوقت نفسه يقرب إليه رجالا آخرين يتخذ منهم أعوانه فيما ينوى للمدارس من إلغاء أو إنشاء ، والحق أنهم لم يكونوا جدداً على المدارس والتعليم بل لقد ارتبطت أسماؤهم سنوات طويلة بتاريخ الحركة التعليمية فى عهد محمد على وإبراهيم ، نقصد إبراهيم أدهم باشا ورفاعة رافع بك ، وهما الرجلان اللذان أبعدهما عباس عن التعليم ليتقى معارضتهما وليوفر لنظمه ومؤسساته أسباب النجاح .

أما أدهم فكان عباس قد احتج بشيخوخته فآثر له الراحة بعيداً عن ديوان المدارس وقنع له بعضوية مجلس الأحكام . أما رفاعة فقد فضل له الخرطوم لينشىء فيها مدرسة ابتدائية يعلم فيها صبية السودان .

ووضع سعيد باشا على أثر توليه حداً لهذا كله ، وعرف للرجلين قدرهما وفضلهما على التعليم . فألغى مدرسة الخرطوم بعد توليه بسبعة أيام واستدعى رفاعة بك إلى القاهرة [٢] ، وعين أدهم باشا مفتشاً عاماً للمهمات والمدارس بالاضافة الى منصبه الأول

---

(١) دفتر ٣١٦ (مدارس عربى) ص ٥١٥٦ رقم ١٥٤٣ الى الجهادية فى ١٤ ذى الحجة ١٢٧٠ .

(٢) محفظة ٤ (معية تركى) رقم ١٥٠ من وكيل ديوان الخديو الى كاتب ديوان الخديو فى ١٩ المحرم ١٢٧١

وهو مدير ديوان الخارجية [١] .

وهكذا تقابل الرجلان : أدهم ورفاعة ، وأزمعا أن يجددا — فى ظل سعيد عهد ازدهار الحركة التعليمية على يدى والده العظيم . وأقبل أدهم على عمله فاستصدر من الوالى أمراً بوقف كافة العمائر فى القاهرة والأقاليم وهى التى كانت تستنزف من ديوان المدارس أكثر ميزانيته ونشاطه [٢] . وبعد أيام أصبح أدهم مركز النشاط والحركة فى ديوان المدارس : فهو يزور المدارس ويرأس لجان الامتحان ويعين الموظفين ... الخ . وما عدنا نسمع كثيراً عن مدير الديوان : عبدى شكرى باشا .

ولكن وجود أدهم باشا مفتشا عاما للمدارس لم يستطع أن ينقذ المدارس وديوانها من المصير الذى أعد لها . فلم تمض شهور أربعة على تعيينه فى هذا المنصب حتى صدر أمر سعيد باشا بفصل التلاميذ الذين لم يبلغوا العاشرة من عمرهم وإعادتهم إلى أهليهم وإلحاق الصالحين من الكبار بفرق الجيش [٣] . وهكذا لم يعد لوجود ديوان المدارس مبرر : فقد أبطلت العمائر التى كانت تابعة له ، على أن تتم بعد ذلك (بالمقاولة) ، والآن يشتت تلاميذ المدارس . لهذا صدر أمر سعيد باشا بإلغاء ديوان

---

(١) محفظة ٤ (مدارس) رقم ١٥٨ من محمد سعيد الى مدير المدارس فى ١٢ ذى القعدة ١٢٧٠ .

(٢) دفتر ٣٣٢ (مدارس عربى) ص ٣٠٠٢ رقم ٤٣٧ من مدرسة الطب فى ٢٠ ذى القعدة ١٢٧٠ .

(٣) محفظة ٤ (مدارس) رقم ١٨١ أمر الى ناظر ديوان المدارس فى ٩ ربيع الأول ١٢٧١

المدارس وتصفية حساباته على وجه السرعة (١٠ ربيع الأول ١٢٧١ = ١٨٥٤)[١] .

وكانت « الفروع » التابعة له إذ ذاك هي : مخزن الأبنية ، مخزن الأخشاب ، مدرستا الطب البشري والمهندسخانة وحساباتها مندمجة مع الديوان . وقد ظلت هاتان المدرستان قائمتين بعد اختيار تلاميذهما ومعلميهما من جديد [٢] ، وكذلك بقيت المصالح الأخرى التابعة للديوان وإن كانت حساباتها تجرى فيها على أن تقدم ميزانيتها السنوية لديوان العموم وهي : المطبعة والجبارة والكتبخانة ومصلحة المرس وعمارات المحروسة . وقد بقيت هذه المصالح قائمة حتى يبت في أمر بقائها أو إلغائها[٣] . وتلا ذلك أن أصدر سعيد أمراً إلى ديوان المالية[٤] بالغاء مدارس المبتديان والتجهيزية والمهندسخانة والطب لأنه « لدى النظر بعين المصلحة في تقويمها على وجه الانتظام ، رأى أن بقاء هذه المدارس » بالحالة التي هم (كذا) عليها الآن لا ينتج منه الفوائد المقصودة ، وخاصة « أنه حصل الاكتفى (كذا) بغيرهم الآن » . وهكذا تم إلغاء ديوان المدارس والمدارس التابعة له .

---

(١) دفتر ٢١٤٨ (مدارس تركى) ص ٤٣ رقم ١٩ من الجناب العالى الى ديوان المدارس فى ١٠ ربيع الاول ١٢٧١

(٢) دفتر ٢١٤٩ (مدارس تركى) ص ٥٥ رقم ١٩ من ديوان المدارس الى المالية فى ١٦ ربيع الأول ١٢٧١

(٣) دفتر ٣٣٤ (مدارس عربى) ص ١٥٠ رقم ٣٦٢ الى ديوان المالية فى ٢١ ربيع الأول ١٢٧١

(٤) دفتر ١٨٨٠ (أوامر عربى) رقم ٤٣ ص ٢٢ أمر الى المالية فى ٥ ربيع الثانى ١٢٧١

أما المدارس الحربية المفروزة فقد كانت تابعة للجهادية فلم يصبها شيء بإلغاء ديوان المدارس وكان لها مصير آخر .

أما أدهم باشا فقد فقد — عقب إلغاء ديوان المدارس — وظيفته كمفتش عام للمدارس واحتفظ بنظارة ديوان الخارجية وبتفتيش المهمات الحربية[1] .

أما رفاعة بك فقد كان يمضى وقته فى القاهرة يبنى الآمال وينظم عقود الثناء للوالى[2] . ولم ييأس الرجلان أن يقطعا الأمل فى العهد الجديد . كانا ما يزالان يأملان أن تنتعش الحركة التعليمية فى كنف سعيد وأن يجدد سعيد فى هذه الناحية من حكمه سيرة والده العظيم . فقد عرفت عن سعيد أفكار وميول طيبة تبشر بأطيب الآمال ، وهو بعد قد تثقف ثقافة حديثة وكان أكثر من سلفه اختلاطا بالأوروبيين وتقديرا للثقافة الأوروبية ، واجتمع من حوله نفر من كبار الأوروبيين فى العلم والحرب : كونيج ، كلوت ، لينان ، مريت ، بروكش ، سليمان الفرنساوى ، فردناند دلسبس . . . الخ وعلى الرغم من إلغاء بعض المدارس وديوانها إلا أن رفاعة وأدهم ما زالا ينظران إلى مستقبل التعليم فى مصر نظرة التفاؤل . فهذا الالغاء قد يكون مقدمة للانشاء على أساس جديد يأملان أن يكون خير أساس وأقواه ليبنى عليه مستقبل التعليم فى مصر . ووضع كل من الرجلين فى إعداد الأساس ثمرة الخبرة وتجارب السنين الماضية ، فأرادا أن يجنبا التعليم ذلك النقص الكبير الذى يلحظه مؤرخو التعليم فى عهد محمد على :

---

(١) محفظة ٨ (معية تركى) ورقة ٢ رقم ١٢٥ من ابراهيم أدهم ناظر الأمور الخارجية ومفتش المهمات الحربية فى ١٧ المحرم ١٢٧٢

(٢) محفظة ١٠ (معيـــة تركى) رقم ٥٦ من محافظ مصر الى خازن الخديو فى ٨ جمادى الأولى ١٢٧٢ (أدهم باشا يرفع الى سعيد باشا قصائد رفاعة بك)

وهو إهمال التربية الشعبية — أو على حد تعبير رفاعة نفسه — « وأما تربية الأهلية وإدخال المعارف فى أفراد مراتب الرعية على اختلاف درجاتهم والتسوية بين الأعيان والرعاع فى مادة التعليم الأهلى فلم تساعده (يقصد محمد على) المقادير على كمال الالتفات إليه وقضى قبل تكميله نحبه رحمة الله عليه ».

فاذا كان هذا الأمر قد فات محمد على أن ينهض به فالرجاء أن لن يفوت ابنه سعيدا . وهكذا عاد أدهم باشا إلى مشروعه القديم الذى كان قد وضعه فى أواخر عهد محمد على وهمّ بتنفيذه فى حكم إبراهيم القصير : مشروع « مكاتب الملة » لتعليم أبناء الشعب وتربيتهم[1] . وعاونه رفاعة فى بحث هذا المشروع ووضعه فى ثوب جديد والتقدم به إلى الجناب العالى[2] .

ووضع هذه اللائحة — أو على الأصح مشروع اللائحة — يؤرخ عصراً جديداً فى تاريخ نظريات التربية والتعليم فى مصر . حقاً لم يكن لها من أثر عملى فى الحركة التعليمية فى ذلك الوقت (عصر سعيد) ، ولكنها تقرر مبادىء خطيرة ستحدد القواعد التى ينهض عليها مستقبل التعليم والثقافة فى مصر :

(١) اتصال مصر بالحضارة الغربية وازدياد هذا الاتصال من عام لآخر يقتضيان مصر أن تعيد النظر فى نظامها التعليمى القائم ومحوره الشعبى الأزهر والمكاتب . ولكن التعليم فيها يحتاج إلى إصلاح ، لأنه قاصر عن « تحصيل المعارف البشرية الموصلة

---

(١) أنظر كتابنا : تاريخ التعليم فى عصر محمد على ص ١٤١ و ٩ ٢ — ٢١٠

(٢) نشرنا النص الكامل لمشروع لائحة المكاتب الأهلية فى عهد سعيد فى ملحق (١) فى الجزء الثالث من هذا الكتاب .

إلى درجة الرفاهية الموجودة بالبلاد الأجنبية كالعلوم والآديات وبعض حساب وهندسة وكالجغرافيا والتاريخ وكاللغة العربية والتركية والفارسية وغير ذلك مما يعد جهله الآن من النقائص » .

(٢) تعليم الشعب وظيفة من الوظائف الأساسية التي يجب أن تنهض بها الحكومة « التي هي كالأب . . . . وصار التوسط فيها بإعانتها على ذلك من قبيل فرض عين » . وذلك أن الأغنياء مع اقتدارهم على تربية أبنائهم لا يعرفون أفضل الطرق الموصلة إلى ذلك ، أما الفقراء فيقعد بهم فقرهم عن السعي لتعليم أبنائهم .

(٣) الغرض من المعارف العامة التي تقدم للأطفال في المكاتب العامة — التي اقترحت اللائحة إنشاءها — ليس الاعداد لوظائف الحكومة فقط كما تفعل المدارس الأميرية و « إنما هو التوسط لكسب العيش بأحسن حال ، سواء في ميادين الزراعة أو الصناعة أو التجارة أو الخدمة في دوائر الحكومة لمن يرغب فيها مختارا . فهذه المعارف الأولية تعين الناشيء على التجويد في صناعته بأن تفتق ذهنه وتيسر له الاطلاع في كتب صناعته .

(٤) وتتخذ هذه « المعارف العمومية الأهلية » أساسا لبناء « المعارف العالية » ، وبذلك يتلافى النقص الملحوظ في النظام التعليمي في عهد محمد علي : وهو ضعف التعليم الأولى الابتدائي وقلة العناية به بالقياس إلى التعليم العالي أو الخصوصي .

(د) « يعد إنشاء هذه المكاتب الأهلية من قبيل التجربة ، حتى إذا نجحت عممتها الحكومة في سائر الأقاليم والمدن المصرية ، وبهذا يصير في الديار المصرية حقيقة معارف عمومية ويصدق الاسم على المسمى . . . وتنتظم حكومة مصر في سلك التربية الأجنبية ويكون لها في ميزان الديار الأخرى المتمدنة أرجحية وأعلى مزية » .

(٦) السعى إلى إخضاع المكاتب الأهلية التى ينفق عليها أصحابها ، أو الأوقاف المخصصة لقراءة القرآن الشريف والخط لاشراف الإدارة التعليمية التى اقترحت اللائحة إنشاءها — وتمثل فى ناظر المكاتب ومعاونيه — وذلك « لإدخال الإصلاح فيها جميعا حسب الامكان ودرجها شيئاً فشيئاً تحت الأصول » .

وبذلك وضع هذا المبدأ الخطير : مبدأ العناية بالمكاتب الأهلية ، وسيكون من المبادىء التى يتمسك بها على مبارك وينادى بتنفيذها ويضع لذلك لائحته الشهيرة : لائحة رجب ١٢٨٤ [١] .

والآن نلخص أهم مواد هذه اللائحة :

أشارت اللائحة بانشاء عشر مكاتب أهلية بالقاهرة ، ولا يشترط فى التلامذة المتقدمين لها سوى « نظافة الأبدان والثياب فقط والخلو من الأمراض المنفرة » . وتقرر الكتب الآتية للتلامذة :

فى اللغة التركية : علم حال ، دريكتا ، بركوى ، إنشاء .

وفى اللغة الفارسية : سبحة الصبيان ، تحفة وهبى ، بند عطار .

وفى اللغة العربية : متن الأجرومية ، شرح الكفراوى ، شرح الشيخ خالد .

وفى الصرف : متن البناء ، المقصود .

وفى قراءة القرآن الشريف : حفظ الربع الأول للبعض والقرآن بتمامه للآخرين بنسبة استعدادهم .

وفى القراءة العربية : تقريب الأمثال ، أمثال لافونتين المترجمة .

---

(١) أنظر الفصل الخاص بالسياسة التعليمية فى الجزء الثانى من هذا الكتاب : التعليم فى عصر إسماعيل .

وفى الحســـــاب : مبادىء الحساب ترجمة شيمى افندى .

وفى مبادىء الهندسة : ترجمة شيمى أفندى كذلك .

وفى الجغرافيـــا : نبذة صغيرة تنتخب من تواريخ مصر والدول العثمانية .

وينقسم المكتب إلى أربع فرق توزع عليها الدراسة كما يلى :

الفرقة الرابعـــة : أحرف الهجاء وقراءة إلى جزء عم .

الفرقة الثالثـــة : قراءة من عم إلى يس وكتابة خط الثلث .

الفرقة الثـــانية : حفظ مفردات وجمل تركية وقراءة فى علم حال وفى النحو من الأجرومية والكفراوى وفى الصرف البناء والقسم الأول من الجغرافيا والعمليات الأربع الأصلية فى الحساب .

الفرقة الأولى : فى التركية دريكتا أو بركوى وفى الفارســـية سبحة الصبان وتحفة وهبي وفى الحساب الكسور الاعتيادية والعشرية والأعداد المتناسبة وفى الهندسة مبادىء الهندسة .

وفى العربية الشيخ خالد فى النحو والمقصود فى الصرف وقطع تواريخ وأدبيات لتعويد ألسنة التلاميذ على القراءة .

أما إدارة هذه المكاتب فتوكل إلى « ناظر عموم » يكون تحت رياسة مفتش المعارف العمومية (أدهم باشا) . ويعاون الناظر معاونان للاشراف على التعليم فى المكاتب حتى يجرى على أساليب التعليم فى المكاتب الأوروبية وأمين للمخازن .

واقترح تعيين رفاعة بك رافع ناظراً عاما على هذه المكاتب ، على أن يلحق به مترجمون لإتمام ترجمة كتاب الجغرافية لملطبرون الذى تمت ترجمة أجزاء منه فى عهد محمد على وغيره من الكتب الصالحة .

رفعت اللائحة إلى سعيد باشا لتناول موافقته ، فأمر بوقف تنفيذها حتى تظهر رغبة

الأهالى فى المكاتب الأهلية التى يراد إنشاؤها . وما لبثت العرائض أن قدمت يشكر فيها أصحابها الحكومة لما علموه من عزمها على تعليم « أبنائهم فى هذه المكاتب بالطوع والاختيار والمبيت عند أهاليهم ولا مانع من أخذ الانسان ولده متى أحب واختار ، فقط التعليم مدة النهار وتفقات التعليم أحياناً من لدن الخديو الأعظم » . وهذه العرائض اشترك فى التوقيع عليها أفراد من طبقات مختلفة : فن يوزباشى فى الجيش إلى مدرس فى الحكومة ومن بائع دخان إلى معاون بالمالية . . . الخ [1] .

ولكن سعيدا ما زال على انصرافه عن المشروع . فقد كانت تشغله إذ ذاك مسائل يراها فى ذهنه أهم من مشروع رفاعة وأدهم : كقناة السويس والجيش والقلعة السعيدية . . . الخ .

ورأى رفاعة بك أنه قضى مدة طويلة — مذ عاد من السودان - من غير عمل يوكل إليه ، حتى « ضاق به العيش » ، فالتمس — ريثما يبت سعيد فى مشروع المكاتب الأهلية — أن يقيدهو وخليفة أفندى زميله فى الخرطوم بديوان المحافظة أو أى جهة أخرى ليقوما بترجمة الكتب النافعة [2] . ولكن سعيداً — فى تنقله من جهة لأخرى — لم يكن لديه من الوقت متسع لينظر فى هذا الأمر ، أو كان على الراجح يتجه بفكره فى مسائل التعليم وجهة أخرى . وظل الأمر معلقاً حتى صدر الأمر بالموافقة على « ترتيب » المدرسة الحربية بالقلعة وتعيين رفاعة بك ناظراً عليها فى ١٣ ذى القعدة ١٢٧٢

---

(١) محفظة ٦ (معية تركى) رقم ١٤٤ من طلعت باشا الى المعية فى ١٣ جمادى الأولى ١٢٧١ (مرفقات عربية)

(٢) محفظة ٦ (معية تركى) رقم ٥١٦ من ابراهيم أدهم الى كاتب الديوان العالى فى ٢٨ جمادى الآخرة ١٢٧١ .

(يولية ١٨٥٦) وجعلها تابعة لديوان محافظة القاهرة ، والمحافظ إذ ذاك « إبراهيم أدهم باشا »[١] .

وبعد ست سنوات عرضت الفكرة للبحث مرة أخرى ، ولكن عرضها هذه المرة أجنبي ونوقشت في بيئة (أجنبية) : ألقى أحد أعضاء (المجمع المصرى Institut Egyptien) بحثا في جلسة المجمع بتاريخ ٢٩ يونية ١٨٦٠ عن التعليم في مصر ، انتقد فيه نظام التعليم القائم في مصر وخاصة قلة العناية بالطفل والدراسات الاعدادية ودعا إلى استخدام التعليم في المكاتب (وقوامه القرآن) أساسا لرفع مستوى التعليم وجعله إلزاميا . وبناء على ملاحظة ماريت — وكان عضوا عاملا بالمجمع — بأن الموضوع من الدقة بحيث لايمكن معالجته على هذا النحو ، تكونت لجنة لبحث الموضوع والتقرير عنه لهيئة المجمع ، ومن أعضاء هذه اللجنة رفاعة بك[٢] . ولكننا لم نعد نسمع عنها شيئاً .

وعلى هذا النحو طوى مشروع المكاتب الأهلية ، حتى تولى اسماعيل فتحقق الكثير منه على يديه .

أما سعيد فكانت له في التعليم سياسة أخرى : اعتقد أن مجهودات محمد على في تعليم أبناء المصريين انتهت إلى لاشيء ، وإذا كان محمد على قد نجح في إخضاعهم لنظام يفرض عليهم (من الخارج) فرضا ، فإنه لم يمس عقليتهم وظلوا ينظرون إلى

---

(١) دفتر ١٨٨٥ (أوامر) ص ٩ رقم ١٥٣ أمر الى محافظة مصر في ١٢ ذى القعدة ١٢٧٢

(٢) Rossi, de l'Etat actuel de l'Instruction publique en Egypte. (Bull. Inst. Egypt. No. 4. 1860.)

المدارس نظرتهم إلى الجيش »، ولهذا رأى سعيد أن الحاجة فى مصر لاتمس إلا إلى أمرين : الأول تكوين ضباط للجيش ، والثانى إعداد أطباء من المصريين ، أما دراسة الآداب فيبدو له أنه ينبغى قصرها على صفوة الشبيبة فى بلاده وليس من الملائم أن يدعو إلى تعلمها جموع الشعب »[١] . وبدأ سعيد منذ تولى الحكم فى مصر ينفذ سياسته . وحسبك أنه افتتح حكمه بإلغاء الهيئة الثابتة التى كانت تشرف على المدارس والتعليم وهى ديوان المدارس — ولقد كان إنشاؤها فى سنة ١٨٣٧ إيذانا ببدء سياسة تعليمية ثابتة الأصول محددة الأغراض واضحة المعالم وإذا كان ديوان المدارس — فى عهد عباس — قد شغل بأمور غريبة عن العلم والتعليم وهى أمور العمارة والبناء فلقد كان من اليسير إعادته إلى الطريق الصحيح . وسعيد نفسه قد أدرك هذا عقب توليه الحكم فى مصر ، فلقد وضع حداً لمسائل البناء والعمارة حين أصدر أمره بوقف الأبنية وتحويلها إلى مقاولين وتعيين أدهم باشا مفتشا عاما للمدارس أى مشرفا على الناحية الفنية من عمل الديوان . ولكن سعيدا مالبث أن ألغى الديوان جملة . وبالغائه فقدت المدارس سندا قويا كانت تستطيع الاعتماد عليه وتستمد منه القوة والتوجيه والارشاد ، ولم تعد توجد هيئة أوجهة إدارية معينة تختص مسائل التعليم وتحفل لتقدمه ، وتعنى بتفاصيله وتكون الصلة بين معاهده وبين الوالى . وأمامنا مثال واضح لما نقول :

فالمدرسة الحربية بالقلعة جعلت أول إنشائها تابعة لمحافظة مصر . وقد يكون الدافع إلى هذا ما عرفناه من الصلة القوية بين رفاعة وأدهم . ولم ينقض العام حتى رؤى أن

---

(١) Merreuau, L'Egypte sous le gouvernement de Said Pacha (Rev. des Deux Mondes, 15 Sept. 1857. p. 351.).

مدرسة القلعة هذه عسكرية بصبغتها فيجب أن تكون تابعة لديوان الجهادية [1] ، ثم لم تمض أربعة شهور وإذا بديوان الجهادية يلغى وتحال المدرسة الحربية إلى ديوان الداخلية [2] ، ثم يعاد ديوان الجهادية بعد عام ونصف عام فيعود الوالى إلى التحدث إليه فى الشئون الخاصة بالمدرسة حيناً وإلى محافظة مصر حيناً آخر [3] .

وما نقوله عن المدرسة الحربية بالقلعة ينطبق على غيرها من المدارس التى كانت قائمة فى عصر سعيد . وكان استبدال ديوان بآخر يتبعه استبدال لائحة بأخرى ونظام بآخر ، وهكذا عاشت هذه المدارس حياتها مضطربة من ديوان إلى آخر ومن نظام إلى آخر ، ولم تكن هذه الحياة المضطربة مما يستطيع أن ينتعش معه مشروع ضخم كمشروع التعليم الشعبي فى المكاتب الأهلية الذى أشرنا إليه فى هذا الفصل . فهذا المشروع الذى تقدم به أدهم ورفاعة كان يحتاج إلى سياسة منظمة مضطردة وإلى تفكير سليم وقيادة حكيمة وهيئات ثابتة . ولكن عصر سعيد لم يعرف شيئاً من هذا ، لهذا كان من الخير أن يطوى هذا المشروع حتى تتهيأ الوسائل لتنفيذه . أما المدارس فلا تخضع لشيء سوى أهواء سعيد المتقلبة ، وقد قاست المنشئات التعليمية التى أسسها من تقلب أهوائه ، ذلك لأن إنشاء المدارس لم يصدر عن خطة معينة وأغراض واضحة ، وكذلك كان إلغاؤها . وأكثر هذه المدارس لم يقدر له أن يمتد أجله إلى أكثر من خمس سنوات ، فكما شهد حكم سعيد إنشاءها كذلك شهد إلغاءها .

---

(١) أمين باشا سامى : تقويم النيل وعصر عباس وسعيد م ١ ج ٣ ص ٢١٦

(٢) المصدر السابق ص ٢٨٧

(٣) دفتر ١٨٩١ (أوامر) ص ١٨١ رقم ٣٠ أمر الى نظارة الجهادية فى ١٢ صفر ١٢٧٦ ودفتر ١٨٩٨ (أوامر) ص ١٨٦ رقم ٥٥ أمر الى محافظة مصر فى ٢٠ جمادى الآخرة ١٢٧٨

فالمدرسة الحربية بالقلعة تنشأ فى سنة ١٨٥٦ وتلغى فى سنة ١٨٦١ .

ومدرسة المهندسخانة بالقلعة السعيدية (القناطر الخيرية) تنشأ فى سنة ١٨٥٧ وتلغى فى سنة ١٨٦١ (أو بعبارة أصح تتحول إلى مدرسة حربية) .

والمدرسة الحربية بالاسكندرية (وأصلها المدارس الحربية المفروزة) تلغى فى سنة ١٨٦١ .

والمدرسة البحرية بالاسكندرية يتأخر افتتاحها إلى سنة ١٨٦٠ .

ومدرستا الطب والولادة تلغيان فى أواخر سـنة ١٨٥٤ ثم يعاد افتتاحهما فى سنة ١٨٥٦ ، ولكنهما يجتازان سنى اضطراب وقلق ، حتى ينتهى عصر سعيد وليس بمدرسة الطب سوى ٢٥ تلميذاً موزعين على ثلاث فرق .

ومن ذلك نرى أن أكثر مؤسسات سعيد التعليمية إما أن تلغى فى سنة ١٨٦١ أو تكاد تحتضر . وقد قيل فى تعليل هذا سفره إلى أوروبا فى ذلك الوقت[١] . ويمكننا أن نضيف إلى ذلك سبباً آخر هو حل الجيش المصرى فى سنة ١٨٦١ وصرف الجند إلى بلادهم وإحالة الضباط إلى الاستيداع بنصف مرتباتهم ، كما أنه أمر ببيع ما فى الخزائن الأميرية من الأمتعة الثمينة وبيع جميع المعامل والورش القديمة وبيع الأطيان المتروكة . فعل سعيد كل هذا رغبة منه — كما قيل — فى توفير المال لسداد الديون التى تراكمت على الحكومة المصرية[٢] .

وهكذا ينتهى حكم سعيد وليس بمصر من المدارس الحكومية سوى اثنتين : المدرسة الحربية بالقلعة السعيدية ومدرسة الطب بالقاهرة .

---

(١) Dunne, op. cit. p. 320.

(٢) أحمد عرابى باشا : كشف الستار عن سر الأسرار ... ص ١٧

وهكذا ترى أن المدارس تنشأ وتلغى تبعاً لأهواء سعيد ، واستحال التعليم على يديه — كما استحالت الجندية — إلى ملهاة يتسلى بها ! ولا غرو فقد كان ينظر إلى المدارس كما ينظر إلى فرق الجيش لهذا دعاها كلها (المدارس الحربية) وأقامها وسط معسكرات الجند : ففي قلعة القاهرة مدرسة حربية وفي القلعة السعيدية بالقناطر الخيرية مدرسة حربية أخرى والمدارس الحربية المفروزة تتحول إلى مدرسة حربية بالاسكندرية ، فالصبغة العسكرية واضحة في أكثر منشئات سعيد التعليمية . ولهذا ترى أن جل تلامذتها كانوا من الترك والمماليك ، من أبناء كريد والمورة والأناضول وغيرهم . أما العنصر المصري فكان ضئيلا بها أو منعدما . فمدارس سعيد لم تنشأ لتربية أبناء الشعب ، وإنما أنشئت لتربية نفر من مماليك الوالي وكبار ضباطه وموظفيه وإعدادهم لوظائف الحكومة وخاصة السلك العسكري . قد يرجع هذا إلى قلة ثقة سعيد في تعليم المصريين[1] ، وقد يرجع إلى أن مدارس سعيد لم تكن تستمد تلامذتها — كما فعلت مدارس محمد علي — من المكاتب التي كانت قائمة بالقاهرة والأقاليم وصبيتها من أهل البلاد ، ولكنها كانت مدارس قائمة بنفسها ، تقنع من تلامذتها بمعرفة القراءة والكتابة ثم تقوم على تنشئتهم على النحو الذي ترسمه لها

---

(١) لم نجد مصدراً يؤيد ماذكره عرابي باشا في ترجمة حياته (كشف الستار ... الجزء الأول ص ١٦) من أن سعيد باشا ارتجل في حفلة حافلة بقصر النيل خطبة استعرض فيها أحوال مصر والمصريين الغابرة ثم قال « وحيث أني أعتبر نفسي مصريا فوجب على أن أربي أبناء هذا الشعب وأهذبه تهذيبا حتى أجعله صالحا لأن يخدم بلاده خدمة صحيحة نافعة ويستغني بنفسه عن الأجانب ، وقد وطدت نفسي على إبراز هذا الرأي من الفكر إلى العمل » .

الرائج ، ولم يتسع الوقت لهذه المدارس حتى تشهد مصير خريجيها وأثرهم فى الحياة العامة .

وإذا كان رفاعة بك رافع قد قنع بعمله الجديد — بعد إخفاق مشروع المكاتب الأهلية — فى نظارة المدرسة الحربية بالقلعة فسرعان ما جهد ليجعل من معهده — فى حدود النظام الذى وضع له — مؤسسة مدنية عسكرية : فللغات الشرقية والأوروبية فيه نصيب وللأدبيات فيه نصيب وللرياضيات نصيب ، وإلى جانب هذا كله يمرن الطلبة تمريناً عسكرياً ويخضعون للنظام العسكرى فى حياتهم المدرسية . وقيل إن رفاعة عمل على التزيد من الصبغة المدنية لمعهده فجعل فيه قسما للمحاسبة وقلما للترجمة ، أو بعبارة أخرى حاول أن يعيد فيه سيرة مدرسته القديمة ، مدرسة الألسن . ولكن الزمن لم يتسع لمحاولاته .

وهكذا عاشت مدارس سعيد ما عاشت بعيدة عن الشعب ، لم تستطع أن تلبى حاجة من حاجاته ، لم يثر إختفاؤها بين الشعب أثراً ولم يكن لإلغائها أثر فى النظام التعليمى لأنه لم يكن ثمة نظام تعليمى فى عهد سعيد . فذهبت كما جاءت من غير أن تخلف فى حياة البلاد العلمية أثراً يذكر .

أما إغداق سعيد العطايا والهبات على الهيئات التعليمية الأجنبية لتمكينها من إقامة وإنعاش مؤسساتها فى مصر [1] فلا يمكن اتخاذه دليلا على قدر سعيد للتعليم ورغبته فى نشره ، بقدر ما يعد دليلا على ما عرف عن سعيد من (الكرم) ورغبته فى ذيوع

---

(١) قدرنا ماللمدارس الأجنبية ومدارس الطوائف الدينية فى مصر فى القرن التاسع عشر من تاريخ متصل لا يكاد يتأثر بالسياسات التعليمية التى تتغير بتغير الولاة من عباس إلى سعيد فاسماعيل ، ولهذا آثرنا أن يكون حديثنا عن هذه المدارس متصلا وآثرنا أن يكون موضعه فى الجزء التالى : تاريخ التعليم فى عصر اسماعيل . .

اسمه فى الأوساط الأجنبية فى مصر وأوروبا(١) .

* * *

وإذا كان سعيد قد والى إرسال البعوث العلمية إلى أوروبا حتى بلغ من أرسلهم للدراسة فى فرنسا وألمانيا — وهما البلدان اللذان وجه إليهما سعيد أعضاء بعثاته — ٧٧ طالبا(٢) فإنه لم يتبع فى مسألة البعوث سياسة واضحة وخطة معينة ، بل إنه اتخذ من نظام البعثات أداة يغدق بها على نفر من المقربين إليه وذوى الحظوة منه وكثير منهم من الأجانب ، أرسلهم آباؤهم إلى بلادهم للدراسة فيها صغار السن على نفقة سعيد ، ولا ينتظر أن تفيد منهم مصر كثيراً أو قليلا . لم يراع فى هذه البعوث تلبية حاجات البلاد ، لا تستثنى من ذلك سوى البعثات التى أوفدها قبل وفاته بعام من خريجى مدرسة الطب لاتمام الدراسة الطبية . فقد روعى فى اختيارهم تفوقهم أثناء الدراسة ، ولقد عرفت أسماء الكثيرين منهم وأدوا خدمات جليلة لبلادهم .

ونختم هذا الفصل بأن نعرض عليك أرقام (ميزانيات) التعليم فى شطر من حكم سعيد من سنة ١٨٥٧ إلى سنة ١٨٦٣ . وليس لنا أن نأسف كثيراً على السنوات السابقة لسنة ١٨٥٧ إذ لم يكن فيها نشاط تعليمى يذكر .

---

(١) يقول مستردن (ص ٣٤٠) انه ربما كان المال الذى منحه سعيد للفرير فى القاهرة والايطاليين فى الاسكندرية أكثر مما أنفقه على ميزانية التعليم طوال حكمه .

(٢) انظر فيما بعد الفصل الخاص بالبعثات فى عصر سعيد .

السنة	الميزانية السنوية للتعليم		
	بارة	قرشا	جنيها
١٧٥٧ (١)	١٤	٣١	٢٦,٥٢٨
١٨٥٨ (٢)	١٥	٦٩	٣٣,٤٦٨
١٧٥٩ (٣)	٧	٧٢	٢٠,٢٦٥
١٨٦٠ (٤)	١٦	٦٨	١٩,٩٧٢
١٨٦١ (٥)	٦	٦٩	٢٧,٤٣٤
١٨٦٢ (٦)	٣٨	٩٦	٢٨,٣٠٠
١٨٦٣ (٧)	٢٨	٦٣	١٢,٧٥٦

فأكثر مدارس سعيد — كما يظهر من مفردات هذه الأرقام — كانت قائمة بين سنتي ١٨٥٧ و ١٨٦١ . فني ميزانية سنة ١٨٥٧ لا تجد سوى مدرستي الطب والحربية وكذلك الحال في سنة ١٨٦٢ . وإذا كنا — رغم هذا — نرى أن مجموع ميزانية التعليم في سنة ١٨٦٢ لم ينقص عن ميزانية السنوات الماضية بل زاد على بعضها ، فلا يجب أن يغيب عنا أن مقدار ما صرف على (التعليم) فعلا في هذه السنة (١٨٦٢) لم يزد على

---

(١) دفتر ٣٢٦ (ميزانيات)

(٢) دفتر ٣٢٨ (ميزانيات)

(٣) دفتر ٣٣٠ (ميزانيات)

(٤) دفتر ٣٣٢ (ميزانيات)

(٥) دفتر ٣٣٣ (ميزانيات)

(٦) دفتر ٣٣٤ (ميزانيات)

(٧) دفتر ٣٣٥ (ميزانيات)

٤ بارات و٢١ قرشا و١,٨٧٤ جنيها . أما هذا التضخم (المفتعل فى رأينا) فيرجع إلى أن ماصرف على البعثات فى هذه السنة قد بلغ مبلغا يجعلنا نشك فى صحته وهو (٣٤ بارة و ٥٥ قرشا و ٢٦,٤٣٠ جنيها) ، حتى إذا وضعت ميزانية سنة ١٨٦٣ وهى السنة التى تولى فى أولها إسماعيل باشا هبطت أرقام ميزانية التعليم إلى أقل من نصف ما كانت عليه فى العام السابق . ويؤيد ماتذهب إليه من انكماش التعليم فى سنة ١٨٦٢، الأمر الذى أصدره سعيد باشا إلى شريف باشا فى أوائل سنة ١٢٧٨ (يولية ١٨٦١) ، بانقاص المقرر بالميزانية للمدارس الحربية الكائنة فى قلاع الاسكندرية ومصر وفى القلعة السعيدية ولمدرسة الطب إلى النصف وتنظيمها على هذا الوجه [1] . ويلوح أن أكثر هذه المدارس لم تستطع أن تعيش بعد إنقاص ميزانيتها إلى النصف فتقرر إلغاؤها فى سنة ١٨٦١ : وهى — كما ذكرنا — المدرسة الحربية بالقلعة ومدرسة المهندسخانة السعيدية والمدرسة الحربية بالاسكندرية .

وفى بعض التقارير أنه فى سنة ١٨٦٢ كان المبلغ الذى خصص للتعليم ٣٧٥٠ جنيها فقط [2] .

---

(١) أمين باشا سامى : تقويم النيل وعصر عباس وسعيد م ١ ج ٣ ص ٣٧٩ (إرادة لشريف باشا رئيس القومسيون فى ٧ المحرم ١٢٧٨)

(٢) Beardsley : Rapport . . . p. 11, De Régny : Statistique 1873 . p. xxx v 11 .

الفصل الثانى

معاهد الدراسة

المدرسة الحربية بالحوض المرصود

وجه سعيد منذ تولى أمر البلاد اهتمامه إلى العناية بالجيش وإلى ما يتصل بالجيش من جمع الجند وإعداد الضباط وتوفير الأسلحة والأدوات اللازمة له . وكان من الطبيعي أن يتجه تفكيره إلى الافادة من خدمات الرجل الذى اتصل اسمه بتاريخ الجيش المصرى فى عهد أبيه الكبير : سليمان الفرنساوى . وكان سليمان باشا قد أقام بمصروتزوج بها وكان أحد رجال محمد على القليلين الذين نالوا تقدير عباس الأول فكانت له عنده الحظوة . عهد سعيد باشا إلى سليمان باشا الفرنساوى — « رئيس رجال الجهادية » أو رئيس أركان حرب الجيش — وهو المنصب الذى كان يشغله منذ حكم عباس — بأن ينشىء مدرسة يقوم فيها على تكوين ضباط لأركان حرب الجيش . فأنشأها بالحوض المرصود فى أوائل سنة ١٢٧٢ (١٨٥٥) وألحق بها بعض أبناء كبار الموظفين والضباط [1] ، كما كان من بينهم

---

(١) محفظة ١٠ (معية تركى) رقم ٧٠ من سليمان باشا رئيس رجال الجهادية إلى خازن الخديو فى ٩ جمادى الأولى ١٢٧٢

تلاميذ بعض المدارس الملغاة — كالمهندسخانة وكانوا يميزون بمرتب كبير ، هو مائة قرش فى الشهر لكل طالب وتعيين « تفرين »[١] ، ومن أولئك الطلبة نفر صغار السن كانوا « يلازمون » قائد المدرسة حتى يصلوا إلى السن التى تؤهلهم ليكونوا طلبة بها .[٢] وكذلك أنشىء بالحوض المرصود « مصنع لصنع مؤخرات البنادق »[٣] .

---

(١) دفتر ١٨٨٣ (أوامر) ص ١٩٥ رقم ١٨٣ أمر كريم إلى الخزينة فى ٩ جمادى الأولى ١٢٧٢

(٢) محفظة ١٠ (معية تركى) رقم ٢٧ من سليمان باشا رئيس رجال الجهادية إلى خازن الخديو فى ٥ جمادى الأولى ١٢٧٢

(٣) محفظة ١٠ (معية تركى) رقم ٨٢ من ابراهيم باشا أدهم محافظ مصر إلى خازن الخديو فى ١١ جمادى الأولى ١٢٧٢ - ويتحدث على مبارك فى خططه (م ٣ ج ٩ ص ٤٧) عن مكتب أنشأه سليمان باشا الفرنساوى بمصر العتيقة على نفقته وشمل بالعطف أخا على مبارك وابن أخيه فألحقهما بهذا المكتب بعد طردهما من المدرسة . وفى مكان آخر (م ٤ ج ١٣ ص ٥٥) ذكر على مبارك « أن رفاعة عين ناظرا ثانيا للمدرسة الحربية التى كانت بالحوض المرصود تحت نظارة سليمان باشا الفرنساوى » وفى Merouau L'Egypte Contemporaine ص ٢٢٠ ذكر لمدرسة « أركان الحرب » التى أنشأها الجنرال سليمان باشا ويذكر « Vigntrinier » فى كتابه « Soliman Pacha » ص ٥٥٥ ، ٥٥٦ ان هذه المدرسة مدرسة سليمان باشا الفرنساوى . أنشئت فى عصر عباس الأول . ويذكر أن عباسا أمر سليمان باشا بأن يفتتح فى منزله بمصر العتيقة مدرسة عسكرية يتردد عليها فى أيام معينة أبناء بعض كبار الموظفين ليتلقوا على يديه المعارف اللازمة للمهنة التى يعدون لها وأطاع سليمان وبدأت الدراسة . ثم يستطرد (Vingtinier) فيذكر مشادة حدثت بين الوالى ورئيس أركان الحرب بشأن ماطلبه تلاميذ المدرسة من نقلها الى بولاق لتكون قريبة من القاهرة ، ولكن سليمان باشا رفض رفضا باتا رغم أوامر الوالى حتى اضطر =

ولكن أهواء سعيد وتقلبه بين شتى الآراء والتيارات ... لم يعد فى عمر هذه المدرسة ، الناشئة وأكبر الظن أنهـا لم تكمل عامها الأول ، فقد كانت ثمة تيارات خفية ورجال جدد ظهروا فى محيط الوالى ولهم فى التعليم آراء أخرى . نقصد إبراهيم أدهم باشا وكان قد عين بعد إلغاء ديوان المدارس محافظا للقاهرة ورفاعة رافع بك وكان قد اتصل بأدهم منذ حضر من الخرطوم وأمضى عامه الأول فى مصر يدعو لمشروعه الجديد — مشروع إنشاء المكاتب الأهلية ، ويغدق على سعيد قصائده يعنى فيها أشد العناية بامتداح الجناب العالى و « تجليدها بالأطلس النفيس والجلد الثمين ، ورفعها إلى المحافظ فيرفعها هذا بدوره إلى الوالى (١) . ولا يتحقق مشروع المكاتب الأهلية ويظل رفاعة بلا عمل فيلحقه أدهم تحت رياسته « عضوا ومترجما فى مجلس المحافظة » (٢) .

وكانت مدرسة المهندسخانة قد ألغيت ولم يعد ثمة مدرسة مدنية تمد التلاميذ للمدارس الأخرى : العسكرية أو الطبية . فاتجه الرأى — وقد يكون ذلك بتأثير

ـ هذا الى الموافقة على بقاء المدرسة فى مصر القديمة . ويتفق Vingtrinier هنا مع على مبارك فى أن هذه المدرسة (أو المكتب) أنشأها سليمان باشا الفرنساوى بمصر العتيقة « على نفقته » ، وقد تكون مدرسة أخرى غير المدرسة الحربية التى أنشأها سليمان باشا فى أوائل عهد سعيد فى الحوض المرصود .

(١) محفظة ١٠ (معية تركى) رقم ٥٦ من ابراهيم أدهم محافظ مصر الى خازن الخديو فى ٨ جمادى الأولى ١٢٧٢

(٢) على مبارك : الخطط التوفيقية م ٤ ج ١٣ ص ٥٥

أدهم ورفاعة — إلى أن يجعل من مدرسة سليمان باشا الفرنساوى بالحوض المرصود نواة لمدرسة جديدة تحتفظ من المدرسة الأولى بصفتها العسكرية ، على أن يتجه التعليم فيها وجهة مدنية بالإكثار من دراسة اللغات والأدبيات والرياضة إلى جانب التعليم العسكرى العام . وطبيعى أن يتجه الرأى إلى أن تضع الحكومة على رأس هذه المدرسة أحد العلماء ممن لهم قدم راسخة وخبرة واسعة فى إدارة هذا النوع من معاهد التعليم : ولم يكن هذا الرجل سوى رفاعة بك رافع .

قام سليمان باشا الفرنساوى بالخطوات التمهيدية لإنشاء المدرسة : فاختار لها تلامذتها المائتين وتتراوح أعمارهم بين السادسة عشرة والثامنة عشرة ومنهم تلامذة مدرسته القديمة وبعض المدارس الأخرى [1] من الملمين بالقراءة والكتابة وذوى الصحة والوجاهة [2] ، حتى إذا أتم عمله التمس إحالته الى المعاش [3] وسلم العمل إلى

---

(١) محفظة ١١ (معية تركى) رقم ١٦٣ من سليمان باشا رئيس رجال الجهادية إلى خازن الخديو فى ٣٠ رجب ١٢٧٢

(٢) محفظة ١١ (معية تركى) رقم ٣٣٨ من سليمان باشا رئيس رجال الجهادية إلى خازن الخديو فى ٢١ شعبان ١٢٧٢

(٣) محفظة ١٢ (معية تركى) رقم ٢٢٧ من سليمان باشا رئيس رجال الجهادية إلى خازن الخديو فى ١٤ شوال ١٢٧٢ وجاء فى هذا الالتماس أنه بلغ من العمر أربعا وسبعين سنة وقضى فى خدمة الحكومة المصرية إحدى وخمسين سنة وأنه يترك تسوية معاشه إلى كرم الجناب العالى من غير التجاء الى اللوائح والقوانين ، وأنه رغم اعتزاله الخدمة يضع نفسه تحت تصرف الخديو وأبدى استعداده ليلقى دروسا على كبار الضباط فى فن قيادة الجيش، وليشرف على ترجمة الكتب المراد ترجمتها من الفرنسية . وقد أصدر سعيد أمرا بقيد سليمان باشا بمرتباته القديمة (أمين باشا سامى : تقويم النيل وعصر عباس وسعيد م ١ ج ٣ ص ٣١٧)

رفاعة بك فصدر الأمر الكريم بتعيينه ناظرا للمدرسة الحربية بالقلعة وبالموافقة على « الترتيب » الذى وضع لها [١] .

المدرســـة الحربية بالقلعة

وهكذا أنشئت المدرسة الحربيـة بالقلعة فى ذى القعدة ١٢٧٢ (يوليـة ١٨٥٦) وجعلت تابعة لمحـافظة القاهرة [٢] — والمحافظ إذ ذاك إبراهيم أدهم باشا — ووضع لإدارتها « ترتيب » من سبعة عشر مادة [٣] .

يؤكد سعيد فى مقدمة هـذا الترتيب أن « تعليم العلوم والفنون أساس المدنية والتقدم » ولهذا وافق على هـذا الترتيب الذى ينظم تلامذة المدرسة : عددهم ومرتباتهم

= إرادة لعرفان باشا ناظر الدائرة السنية فى ١٤ شعبان ١٢٧٥) فلما مات سليمان باشا فى ٢٤ مارس ١٨٦٠ (.Vingtrinier p. 583) أمر سعيد بتخصيص معاش لحرمه وكريمته على اعتبار مرتبه فى رتبة الفريق العسكرية (تقويم النيل ص ٣٥٩ أرادة لراغب باشا ناظر المالية فى ١٥ ربيع الثانى ١٢٧٧) .

(١) دفتر ١٨٨٥ (أوامر) ص ٩ رقم ١٥٣ ودفتر ترتيبات ووظائف ... ص ٤٣٤ أمر كريم الى محافظة مصر فى ١٣ ذى القعدة ١٢٧٢

(٢) دفـــتر ١٨٨٥ (أوامر) ص ٩ رقم ١٥٣ أمر كريم إلى محافظة مصر فى ١٣ ذى القعدة ١٢٧٢ ، أمين باشا سامى : التعليم فى مصر - القسم الخامس ملحقات ص ٥١ ، اسماعيل باشا سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار ج ٢ ص ٢٧٠

(٣) أنظر مقـدمة الترتيب فى : دفتر ترتيبات ووظائف ص ٤٣٤ وترجمته وملخص اللائحة فى Merruau : L' Egypte Contemporaine p. 221 — 223 وقد ذكر « مرو » نقلا عن العدد من جريدة « برزخ السويس » التى كانت تصدر بالفرنسية فى الاسكندرية =

وحياتهم بهـا ومواد الدراسة وعدد سنى الدراسة وأساتذة المدرسـة وضباطها وموظفى قلم الترجمة الملحق بها .

فالمـادتان الأولى والثانية يحددان تلاميذ المدرسة بمائتين وتتراوح أعمـارهم بين الثانية عشرة والثامنة عشرة ويشـترط فيهم معرفة القراءة والـكتابة ، حتى يستطيعوا منذ السـنة الأولى أن يتابعوا شتى الدروس التى تلقى فى المدرسة . ويعـدُّ هؤلاء التلاميذ خاصة للسلك العسكرى ، على أن يدرسوا فى السنتين الأولى والثانية العـلوم المشتركة العسكرية والمدنية ، ولهذا اعتبرت الدراسة فى هاتين السـنتين دراسـة تجهيزية ، ثم يخير الطلبة فى مبدأ السنة الثالثة تبعاً لميولهم فمنهم من يختص بدراسة المواد العسكرية ومنهم من يفضل — أو يفضل له — الدراسة المدنية .

وذكرت المـادة الثالثة مواد الدراسـة الآتية : اللغة العربية إعراباً وإنشاء لجميع التلاميذ من غير استثناء واللغتان التركية والفارسية لمن يرغب فى تعلمهما وإحدى اللغات الأجنبية : الانجليزية أو الألمـانية أو الفرنسية بحسب رغبـة الطالب ورسم المثلثات والرسم الخطى والخطط العسكرية والجغرافية العامة والتاريخ . ونصت المـادة الرابعة على أن توزع هذه المواد على سنوات أربع قد تزاد سـنة خامسة . ثم تلى ذلك المواد الخاصـة بامتحان النقل من فرقة إلى أخرى وتوزيع الجوائز على الطلبـة الممتازين

= الصادر فى ٥ أغسطس ١٨٥٦ أن سعيداً أملى بنفسـه القرار بالموافقة على لائحة المدرسة وأن كثيراً من موادها قد وضع بناء على اشارته الخاصـة — وفى كتاب لرئاسة باشمعاونه الى وكيل الجهادية فى ٢٣ شوال ١٢٧٣ (محفظة ١٤ معية تركى رقم ١٣٥) اشارة الى أن تلك اللائحة قد وضعها سعيد بنفسه .

ومرتبات الطلبة [١] والملابس والكتب وأدوات الدراسة وكلها على نفقة الحكومة ، وتنص المادة الرابعة عشرة على العقوبات التى توقع على الطلبة ويحرم قطعيا العقوبات المدنية .

وفى المادة السادسة عشرة أن يشكل مجلس للدراسة من ناظر المدرسة ووكيلها وأستاذ من كل من أساتذة اللغة العربية والتركية واللغات الأجنبية والرياضيات وأحد الضباط الذين يقومون على التعليم العسكرى . على أن يتناوب أساتذة المدرسة عضوية المجلس كل ثلاثة أشهر حتى يتساح لهم جميعاً أن يأخذوا فى مداولاته بنصيب ، أما اختصاص هذا المجلس فتداول الرأى فى كل ما يعود على المدرسة بالتقدم ، وترفع قراراته إلى الوالى .

وأقبل رفاعة بك على عمله الجديد ، يرمع أن يجدد به ذكريات مدرسة الألسن التى قام على إدارتها وتعهد شبابها سنين طويلة . وهو لا يحب أن تحول صبغة المدرسة العسكرية عن آماله وميوله . وأكبر الظن أن رفاعة راح يستكثر من الصبغة المدنية لمدرسته ، ليحبب فيها الأهالى من وجهة ، وليجعل منها ما كانت مدرسة الألسن من قبل — مركز الثقافة المدنية فى مصر . فلم يقنع لها بفرقها الدراسية العادية ، بل قيل إنه

---

(١) جاء فى هذه اللائحة أن مرتب الطالب فى الشهر مائة قرش ، ولكن جاء فى وثيقة أخرى (دفتر ١٨٨٩ (أوامر) ص ٨٤ رقم ٢٤ أمر كريم الى الجهادية فى ٢٢ رجب ١٢٧٤) ان النفر (الطالب الذى لا يحمل رتبة عسكرية) الذى يقرأ ويكتب له فى الشهر ٧٥ قرشا والمبتدىء ١٥ قرشا والاونباشى يزيد عن النفر ١٠ قروش والجاويش والبلوك يزيد عن الاونباشى ١٠ قروش والباشجاويش يزيد ١٠ قروش أخرى .

جعل فيها فرقة خاصة للمحاسبة (١) ، وألحق بها قلماً للترجمة وضع على رأسه أحد تلامذته القدماء : السيد صالح مجدى (٢) ، بل قيل إن رفاعة كان يجمع إلى هذا نظارة مدرستى الهندسة الملكية والعمارة وتفتيش مصلحة الأبنية (٣) . أما مدرسة الهندسة هذه فلم

---

(١) أمين باشا سامى : التعليم فى مصر ص١٦ ، ويبدو أن انشاء هذه الفرقة تأخر عامين فنى ٢٢ صفر ١٢٧٤ صدر أمر كريم الى رفاعة بك (دفتر ١٨٨٩ (أوامر) ص ٥٠ رقم ١٦) بتخصيص ٤٣ تلميذا ليتعلموا الكتابة والانشاء وغيرهما .

(٢) على باشا مبارك : الخطط م ٢ ج ٨ ص ٢٤ ، الوقائع المصرية العدد ٣٨٣ فى ٥ ذى القعدة ١٢٧٧

(٣) السيد صالح مجدى : حلية الزمن فى مناقب خادم الوطن وعبد الرحمن بك الرافعى : تاريخ الحركة القومية . الجزء الثالث ص٤٩٣ — ولم يقتصر رفاعة بك على عنايته بترجمة الكتب بل عنى كذلك بطبع جملة من المؤلفات القديمة فاستصدر من سعيد باشا أوامر « بطبع جملة كتب عربية على طرف الحكومة مع الانتفاع بها فى الأزهر وغيره منها تفسير الفخر الرازى ومعاهد التنصيص وخزانة الأدب والمقامات الحريرية وغير ذلك من الكتب التى كانت عديمة الوجود فى ذلك الوقت (على مبارك : الخطط م ٤ ج ١٣ ص ٥٥ — ٥٦) ومنها أيضا مقدمة ابن خلدون . وقد استلزم هذا عناية بمطبعة بولاق حفظا « لصيت وشهرة المطبعة المصرية المشهورة بصحة ودقة أمورها وجودة طبعها » فصدر الأمر الى ناظرها — جودت أفندى — باختيار المصححين وغيرهم لسرعة طبع الكتب التى دفعت بها محافظة القاهرة الى المطبعة وعددها عشرون أو ثلاثون كتابا . وكانت هذه الكتب تطبع على نفقة الحكومة أو يقوم الملتزمون بطبعها على نفقتهم . وقد عين الشيخ ابراهيم الدسوقى الذى كان مصححا بالمهندسخانة القديمة رئيسا لمصححى المطبعة ومن مصححيها ، الشيخ محمد قطه ، وهو من أقرباء رفاعة بك وكان مدرسا بمدرسة الألسن القديمة . ومن الكتب الأجنبية الهامة التى طبعت باعانة سعيد باشا كتاب الأستاذ بروكش فى تاريخ مصر فى ثلاثة مجلدات (انظر أمين باشا سامى : تقويم النيل ومصر عباس) =

تكن — على وجه الترجيح — (لأن الوثائق لا تذكر شيئاً فى هذا الصدد) سوى تلاميذ المهندسخانة الملغاة التى ضم بعض تلامذتها إلى المدرسة الحربية الجديدة .

أما مدرسة العمارة فقد ذكر أمين باشا سامى [1] أنها أنشئت فى يناير سنة ١٨٥٨ أى بعد إنشاء مدرسة القلعة بنحو عام ونصف عام وألغيت فى أغسطس ١٨٦١ أى فى تاريخ إلغاء مدرسة القلعة . وكان ناظرها يدعى «أحمد أفندى» وليس فى أى مصدر آخر ذكر لهذه المدرسة .

اختار رفاعة بك مدرسى مدرسته من بين مدرسى مدرستى الحوض المرصود والمهندسخانة القديمة ، وكان رفاعة دائم الحدب عليهم والتوصية بهم [2] .

أما تلامذته فقد نظمهم أنفارا وضباط صف ورتبهم ثمانية فصول طبقا لقدراتهم العقلية ، يدرسون فى العام الأول من التحاقهم بها كما جاء بتقرير لجنة امتحان التلاميذ على النحو الآتى [3] :

= وسعيد م ١ ج ٣ ص ١٥٦ و١٥٩ و٢٧٢ و٣٥٦ — ودفتر ١٨٨٠ (أوامر عربى) ص ١٧٧ رقم ٣ إلى محافظ المحروسة فى ١٠ جمادى الأولى ١٢٧١

(١) التعليم فى مصر . القسم الخامس ملحقات ص ٤٩ — وهذا يفسر قول دور فى كتابه ص ٢١٥ أنه فى حكم سعيد باشا جمع ما بقى من مدارس الحكومة القائمة فى القلعة تحت إدارة رفاعة بك .

(٢) ومنهم حسين سليمان ومحمد خفاجى معلما الرياضيات ومحمد صادق معلم الرسم ومصطفى النجدى معلم اللغة الألمانية وطبيب المدرسة والشيخ محمد الزعفرانى معلم العربية أما وكيلها فيدعى البكباشى ابراهيم افندى .

(٣) المرفق العربى للوثيقة التركية رقم ١٣٥ (محفظة ١٤ معية تركى) فى غرة القعدة ١٢٧٣

تلاميذ الفصل الأول وهم ١٣ تلميذا يدرسون فى الهندسة الثمان مقالات من لوچاندر باثبات .

والحساب : على التمام (كذا) باثبات .

واللغة الفرنسية : فى النحو لغاية الضمير ومطالعة أخلاقنا مه وإملاء .

واللغة التركية : ثلاث عشرة قطعة من تحفة وهبي وقراءة مفردات تركية .

واللغة العربية : القسم الأول من التحفة الحربية فى تعليم العربية .

وتوريه بيادة (أى المناورات) فصل أول لغاية الدرس الرابع من القانون الثانى علما وعملا وكذلك يدرسون الرسم وخط الرقعة .

وتلاميذ القسم الثانى من الفصل الأول وهم ١٢ تلميذا يدرسون المواد السابقة مع اختلاف بسيط فى الهندسة والفرنسية .

وتلاميذ الفصل الثانى وهم ٢٨ تلميذا يدرسون المواد السابقة مع اختلاف فى التفصيلات على أنهم يدرسون اللغة الانجليزية بدل الفرنسية ، ومنهم اختير فريق لدراسة (التلغراف الانجليزى) بمصلحة المرور [١]

وتلاميذ الفصل الثالث وهم ٢٣ تلميذا يدرسون — عدا بقية المواد — اللغة الألمانية .

« « الرابع « ٣٠ « « — « « « « — « الفرنسية

فيقضون بقراءة وحفظ مفردات ومحادثات ابتدائية . أما فى الهندسة فيكتفون بالمقالة الأولى من لوچاندر وفى الحساب العمليات الأربع وكذلك تلاميذ الفصل الخامس وهم ٢٩ وتلاميذ الفصل السادس وهم ٢٨ تلميذا أما تلاميذ الفصل السابع

---

(١) محفظة ١٧ (معية تركى) رقم ٤٦ من ناظر الداخلية الى المعية فى ١٤ جمادى الأولى ١٢٧٤ .

و۸ و٤) فيكتفون فى الحساب بعمليات الجمع والطرح وضرب الأعداد الصحيحة وفى الفرنسية بقراءة كلمات من كتاب هجاء فرنسي وفى اللغة العربية يقرؤون جانبا من (التحفة الخرية فى تعليم العربية) ويكتبون خط الرقعة وفى مناورات البيادة يكتفون بالفصل الأول من القانون الثانى علما وعملا .

أما تلاميذ الفصل الثامن ، وهو أول فصول المدرسة فعدد تلامذته ١٩ منهم ١١ تلميذا سودانيا ولا يدرسون سوى الهجاء وقراءة القرآن الكريم .

وهكذا ترى أن رفاعة بك قد تجاوز – منذ العام الأول من حياة مدرسته – عدد تلامذتها المقرر بثلاثين تلميذا .

ونظم مجلس المدرسة الدراسة على الفصول الثمانية فى العام الثانى من حياة المدرسة بما لا يخرج عما تقدم [1] سوى تدريس « الشيخ خالد » و « الكفراوى » فى شرح الآجرومية بدلا من كتاب (التحفة الخرية) وكذلك بقيت اللغات الأجنبية تدرس بالفصول السبع الأخرى . وكان للغة الفرنسية النصيب الأوفى ، فقد كانت تدرس فى خمس فصول والانجليزية فى فصل والألمانية فى آخر .

والجدول التالى يبين خطة الدراسة بمدرسة القلعة فى عامها الثانى :

---

(١) محفظة ١٤ (معية تركى) رقم ٤٦٥ (ومرفقها العربى) من رفاعة بك ناظر المدرسة الحربية إلى كاتب ديوان الخديو فى ٢٨ ذى الحجة ١٢٧٣ .

(جدول ترتيب دروس المدرسة الحربية فى السنة المكتبية
من ١٥ شوال ١٢٧٣ إلى ١٥ شعبان ١٢٧٤)

المادة	الفصل الأول	الثاني	الثالث	الرابع	الخامس	السادس	السابع	الثامن
نحو	شرح الأجرومية للشيخ خالد	متن وشرح الأجرومية للكفراوي				متن الأجرومية مجرد عن الشرح		قراءة قرآن وكتابة
هندسة	أربع مقالات من لوجاندر بإثبات			مقالتان من لوجاندر بإثبات			—	
حساب	الجزء الأول من الحساب بإثبات والنسبة والتناسب			الجزء الأول من الحساب بدون إثبات والنسبة والتناسب				
لغة أجنبية	لغة فرنسية	لغة انكليزية	لغة ألمانية	لغة فرنسية				
مادة عسكرية	تورية ... مادة							
لغة تركية وفارسية	تحفة وهي ومفردات				علم حال ومفردات			
رسم وخط	رسم طبوغرافيا				رسم خطوط وخط فرنساوي			

وهكذا نرى أن تأثير مدارس محمد علي ما زال قوياً : فكتبها ما تزال تدرس كالكفراوى والشيخ خالد وتحفة وهبي وعلم حال ولوجاندر ، على أنا نلحظ عناية أشد بتدريس اللغات الأجنبية فقد عم تدريسها جميع تلاميذ المدرسة سوى المبتدئين وجد تدريس اللغة الألمانية لبعض تلامذتها . والسنة الدراسية — كما كانت فى عهد محمد على — تنتهى فى شهر شعبان من كل عام ، فيمتحن التلاميذ فى النصف الثانى منه ثم يقضون الاجازة السنوية فى رمضان وعيد الفطر ثم تفتتح الدراسة فى منتصف شوال ، وبذلك تستمر الدراسة عشرة أشهر كاملة لا يتخللها سوى عطلات قصيرة فى عيد الأضحى والمواسم الأخرى . وكان يعهد بامتحان التلاميذ إلى لجان تتكون من بعض النابهين المتصلين بالمدارس كعلى مبارك وعلى ابراهيم وغيرهما . ورأس لجنة الامتحان أحد الأعوام محمد شريف باشا ناظر ديوان الخارجية .

وأفلحت المدرسة فى « جذب خواطر الأهلين »[1] فكثرت طلبات إلحاق أبنائهم بها ، حتى اضطر رفاعة بك كما رأيت إلى تجاوز العدد المقرر لمدرسته بثلاثين تلميذاً . ومع ذلك فقد كان يضطر إلى صرف كثير من الشبان الأصحاء الذين يعرفون القراءة والكتابة[2] ولبت الحكومة حاجة الأهلين ، فرفعت عدد التلامذة إلى ثلاثمائة وبنت لهم بعض حجرات جديدة[3] ، بعد أن عدلت عما ارتآه رفاعة بك من نقل المدرسة من

---

(١) على باشا مبارك : الخطط التوفيقية م ٤ ج ١٣ ص ٥٥

(٢) محفظة ١٤ (معيـة تركى) رقم ٢٩٩ من ناظر الجهادية إلى المعية فى ٢٤ ذى القعدة ١٢٧٣

(٣) أمين باشا سامى : تقويم النيل وعصر عباس وسعيد م ١ ج ٣ ص ٢٣٥ ارادة لأدهم باشا محافظ المحروسة فى ١٠ المحرم ١٢٧٤

القلعة إلى مكان المهندسخانة القديمة ببولاق[١] ، ثم ألحقت بها عشرين من أبناء الأوروبيين المقيمين بمصر[٢] . على أنه فى العام السابق لالغائها — أى فى سنة ١٨٦٠ — صدر الأمر بعدم زيادة تلامذتها والاكتفاء بالـ٢٤٣ تلميذاً الموجودين بها[٣] .

ويبدو أن سعيد باشا ارتاح لتقدم المدرسة وقدر جهود ناظرها فأنعم عليه برتبة المتمايز بعد إنشاء المدرسة بثلاثة أعوام[٤] .

على أن ثمة أمراً كان لاشك يعوق إطراد تقدم المدرسة : وهو اختلاف الجهة التى تتبعها المدرسة من وقت لآخر . فقد رأيت أنها أول إنشائها جعلت تابعة لمحافظة مصر ، وقد أرجعنا ذلك إلى ما كان من الصلة بين رفاعة بك وأدهم باشا محافظ مصر . ولا شك فى أن هذه التبعية كان لها ما يبررها : فقد عرف عن أدهم اتصاله بالتعليم فى عهد محمد على وأوائل حكم عباس اتصالا أجدى عليه خبرة وكفاية فى معالجة مسائله والتعرف إلى رجاله .

على أن ما عرف من كثرة التغييرات الإدارية فى عهد سعيد لم يترك مجالا لبقاء المدرسة تابعة لمحافظة مصر ، ففى غرة رجب ١٢٧٣ (فبراير ١٨٥٧) وضع نظام جديد

---

(١) محفظة ١٤ (معيـة تركى) رقم ٤٦٠ من ناظر المالية إلى المعية فى ٢٨ ذى الحجة ١٢٧٣

(٢) دفتر ١٨٩٤ (أوامر) ص ٢ رقم ١ أمر الى ناظر المدرسـة الحربية فى ٢٤ صفر ١٢٧٧

(٣) دفتر ١٨٩٤ (أوامر) ص ١٢٥ رقم ٦٣ أمر إلى محافظ مصر فى ١٦ شوال ١٢٧٧

(٤) أمين باشا سامى : تقويم النيل وعصر عباس وسعيد م ١ ج ٣ ص ٣٢٩ ارادة لناظر الجهادية فى ٢٠ ذى الحجة ١٢٧٥

لاختصاصات الدواوين ورؤى فيه أنه لما كانت مدرسة القلعة مدرسة عسكرية فيجب أن تكون تابعة « فى كل أمورها وخصوصياتها لديوان الجهادية »[1]. ويبدو أنه كان لديوان الجهادية رأى جديد فى تنظيم المدرسة، فطلب إليه أن يضع ترتيباً جديداً للمدرسة وافق عليه الوالى فى ٢٩ ربيع الثانى ١٢٧٤ (يناير ١٨٥٨)[2]. ولم يمض على ذلك شهور أربعة حتى صدر الأمر بإلغاء ديوان الجهادية وإحالة المدرسة الحربية إلى ديوان الداخلية[3]. وبعد عام وبعض عام أعيد ديوان الجهادية، وعاد الوالى يتجه إليه فى الشئون الخاصة بالمدرسة حيناً وإلى محافظة مصر حيناً آخر[4].

وثمة أمر آخر لاشك كان له أثره فى سير المدرسة : وهو اختلاف ميزانيتها اختلافاً بيناً من عام لآخر. ونزيد هذا الأمر هنا جلاء مستندين إلى وثائق أخرى غير دفاتر الميزانيات.

فقد كانت ميزانية المدرسة منذ إنشائها تبلغ فى الشهر ٢٧ بارة و ٢٦ قرشا و٦٥٧ جنيها. ثم لما وضع للمدرسة ترتيب جديد على أثر إحالتها إلى ديوان الجهادية فى سنة ١٢٧٤ (١٨٥) أنقصت ميزانيتها الشهرية فى هذا الترتيب إلى ١٦ بارة و١٥ قرشا

---

(١) المصدر السابق ص ٢١٦

(٢) دفتر ١٨٨٩ (أوامر) ص ٨٤ رقم ٢٠ أمر كريم الى ديوان الجهادية فى ٢٩ ربيع الثانى ١٢٧٤.

(٣) أمين سامى. تقويم النيل م ١ ج ٣ ص ٢٨٧ أمر عال للداخلية فى ٢٥ شعبان ١٢٧٤.

(٤) دفتر ١٨٩١ (أوامر) ص ١٨١ رقم ٣٠ أمر كريم الى نظارة الجهادية فى ١٢ صفر ١٢٧٦ ودفتر ١٨٩٨ (أوامر) ص ١٨٦ رقم ٥٥ أمر كريم الى محافظة مصر فى ٢٠ جمادى الآخرة ١٢٧٨

و ٥٨ جنيها [١] ، وبعد ذلك أضيف إلى هذه الميزانية الشهرية مبلغ ٥/١٠٤٢ قرشا بناء على رغبة ناظرها [٢] ، على أنه قبيل إلغائها صدر الأمر با نقاص ميزانيـة المدارس — ومنها المدرسة الحربية بالقلعة — إلى نصف ماهي عليه [٣] . ولا شك فى أن هذه الضربة كانت قاصمة ، لم تستطع المدرسة أن تتخلص منها فكان ذلك تمهيداً لإلغائها .

وحدث هذا الالغاء فى أوائل سنة ١٢٧٨ (أغسطس ١٨٦١) بعد أن عمرت خمسة أعوام وشهرين [٤] ، وأوشكت المدرسة أن تؤتى ثمارها و « ظهرت نجابة تلامذتها واستفادتهم استفادة جيدة فى أقرب وقت » [٥] .

مدرسة القلعـــة السعيدية

رأيت أن سعيد باشا أمر فى أغسطس ١٨٥٤ بالغاء مدرسة المهندسخانة التى أنشأها عباس الأول وبالحاق ناظرها « على مبارك بك » بالحملة المسافرة للقتال فى بلاد

---

(١) أمين باشا سامى : تقويم النيل وعصر عباس وسعيد م ١ ج ٣ ص ٢٦١ أمر كريم إلى ديوان الجهادية فى ٢٩ ربيع الثانى ١٢٧٤

(٢) دفتر ١٨٩١ (أوامر) ص ١٨١ رقم ٣٠ أمر كريم الى ديوان الجهادية فى ١٢ صفر ١٢٧٦

(٣) أمين باشا سامى : تقويم النيل ... م ١ ج ٣ ص ٣٧٩ إرادة لشريف باشا رئيس مجلس القومسيون فى ١٠ المحرم ١٢٧٨

(٤) أمين باشا سامى : التعليم فى مصر . القسم الخامس ملحقات ص ٥٩ ودفتر ١٨٩٨ (اوامر) ص ١٨٦ رقم ٥٥ امر كريم الى محافظة مصر فى ٢٠ جمادى الآخرة ١٢٧٨

(٥) على باشا مبارك : الخطط التوفيقية م ٤ ج ١٣ ص ٥٥

القرم، وبيعت كتب المدرسة وأدواتها [١].

وهكذا عفى على المهندسخانة وآثارها. ولكن الحكومة مالبثت أن أحست الحاجة إلى المهندسين فراحت تتلمسهم من المهندسين المفصولين أو المحالين إلى الاستيداع [٢].

وكان سعيد يطوف بجيشه من مكان لآخر، واستقر به فى إحدى جولاته عند القناطر الخيرية، ففكر فى أن يبنى عندها قلعة تخلد اسمه وتحمى — فيما ذكروا له — القاهرة من ناحية الشمال وتكون مركزا عسكريا تتجمع فيـــه وحدات الجيش وخاصة الفرق (السعيدية) التى تحمل اسمـــه وتمتاز بين فرق الجيش بلباس خاص وتدريب خاص ومرتب خاص.

وفى صباح ٢٣ جمادى الآخرة ١٢٧١ (مارس ١٨٥٥) أقيم احتفال باهر وضع فيه محمد سعيد باشا الحجر الأساسى فى بناء القلعة السعيدية وضربت مدالية تذكارية نقش على إحدى واجهتيها رسم الاستحكامات التى أقيمت وعلى الجهة الأخرى هذه العبارة [٣]:

« فى يوم الاثنين الثالث والعشرين من جمادى الآخر سنة إحدى وسبعين ومائتين »
« وألف من الهجرة وضع أساس القلعة السعيدية والاستحكامات المنيعة وسط »
« القناطر الخيرية لحماية أم الدنيا محمد سعيد بن محمد على العظيم المولود بالإسكندرية »

---

(١) على مبارك: الخطط التوفيقية م ٣ ج ٩ ص ٤٨

(٢) أمين سامى: تقويم النيل ... م ١ ج ٣ ص ١٦ أمر الى أدهم باشا محافظ مصر فى ٩ شعبان ١٢٧٢

(٣) المصدر السابق ص ١١٠ والصفحة المواجهة لصفحة ١٠٦

« سنة سبع وثلاثين ومائتين وألف والذى تولى حكم مصر فى شوال سنة سبعين « ومائتين وألف من الهجرة وله من العمر أربع وثلاثون سنة » .

وسرعان ما أصبحت « القلعة السعيدية » مركزا لنشاط عسكرى وتعليمى كبير : أنشئت بها فى أول الأمر مدرسة حربية يتعلم فيها ضباط الجيش ، ويرجع السبب فى إنشائها إلى حادث طريف يتفق مع ما نعرفه من أخلاق سعيد . ذكر اسماعيل باشا سرهنك [١] أن سعيد باشا لما قصد السفر إلى السودان فى سنة ١٢٧٣ (١٨٥٦) صرف جميع عساكر الجيش لخوفه من أن يثوروا عليه مدة غيابه ، وذكر فى موضع آخر [٢] أن سعيدا جمع عموم الضباط من أول رتبة البكباشى إلى رتبة الاسبران وشكل منهم مدرسة بالقلعة السعيدية وجعل لها الأساتذة والمأمورين وجعل نظارة المدرسة للأميرالاى على بك المعروف بسيواستبول ، ولما عاد سعيد من السودان أعاد الجيش ثانية . وتؤيد الوثائق التى بين أيدينا ما ذكر سرهنك من جمع الضباط فى مدرســـة بالقلعة السعيدية : فقد أصدر سعيد أمرا إلى ديوان الجهادية فى أوائل سنة ١٢٧٤ (نوفمبر ١٨٥٧) بالحاق الأكفاء من الضباط بهذه المدرسة أما غير الأكفاء فيمنحون معاشا أو أرضا [٣] .

ثم لما صدر الأمر باعادة تنظيم الجيش اختير ضباطه من الضباط الملحقين

---

(١) حقائق الأخبار ... ج ٢ ص ٢٧٠

(٢) المصدر السابق ص ٢٧٥

(٣) محفظة ٦ (جهادية) رقم ٢١٨ أمر الى ناظر الجهادية فى ٦ ربيع الأول ١٢٧٤

بالمدرسة الحربية بالقلعة السعيدية [١] .

وعلى هذا النحو كان إنشاء هذه المدرسة الحربية بالقلعة السعيدية وكانت نهايتها .

أما القلعة السعيدية فما لبثت أن استعاضت عن المدرسة الحربية بمدرسة أخرى : فى أوائل سنة ١٢٧٤ (أواخر سنة ١٨٥٧ م) أى فى الوقت الذى انتهت فيه المدرسة الحربية ، أمر سعيد باشا بانشاء مدرسة للهندسة تلحق باستحكامات القلعة ، على أن يكون تلاميذها من أبناء الأهالى والعمد والمشايخ والتجار ، ثم ووفق على أن يلحق بها أبناء الموظفين أيضا ، وخص كل مديرية عدد معين من التلاميذ على أن تتراوح أعمارهم بين الثالثة عشرة والثامنة عشرة ويعرفوا القراءة والكتابة .

وهكذا اجتمع فى (قصر النيل) — ريثما يتم إعداد مكان المدرسة بالقلعة السعيدية — خمسة وسبعون شابا ليكونوا (نواة) المهندسخانة ، وكل زادهم من العلم معرفة القراءة والكتابة ، وكانوا موزعين على المديريات الآتية : [٢]

مديرية روضة البحرين	٢١ طالبا
مديرية المنيا وبنى مزار	١٩ «
مديرية الجيزة	٩ طلاب

---

(١) محفظة ١٦ (معية تركى) رقم ١٨٢ من ناظر الجهادية الى المعية فى ١٥ ربيع الثانى ١٢٧٤

(٢) محفظة ١٦ (معية تركى) رقم ١٦٠ و ١٧٢ و ١٨٩ و ٢٢٢ و ٢٣٢ و ٢٣٨ من المديريات فى ربيع الثانى ١٢٧٤ .. وليس فى الوثائق ما يؤيد ما ذكره اسماعيل سرهنك باشا (حقائق الأخبار ج ٢ ص ٢٧٠) من ان سعيدا باشا فتح مدرسة المهندسخانة ثانية ببولاق سنة ١٢٧٤ ثم نقلها الى القلعة السعيدية ، والصحيح ما ذكرناه وهو أن طلبة المهندسخانة اجتمعوا أولا فى قصر النيل ثم انتقلوا الى القلعة السعيدية .

مديرية أسيوط	٨ طلاب
مديرية جرجا	٧ «
مديرية قنا	٥ «
مديرية إسنا	٥ «
مديرية القليوبية	طالب واحد

وكان يراد إعداد هؤلاء الطلاب للهندسة العسكرية فاختيرت لهم القلعة السعيدية ليقيموا بها تحت إشراف مأمور استحكاماتها « موتوبك » ويكونوا تابعين لديوان الجهادية ، وأقيمت لهم فى أول الأمر بيوت من خشب [١] ، وعهد إلى موتو وضع « ترتيب » للمهندسخانة الجديدة يوضح فيه ما تحتاج اليه من المدرسين والموظفين . ووافق سعيد باشا على هذا الترتيب وأصدر أمره بتنفيذه فى ١٩ ربيع الثانى ١٢٧٤ (١١ ديسمبر ١٨٥٧) ، ومما جاء فيه تعيين مسيو دى برناردى « De Bernardi » كبيرا لمعلمى المدرسة وتعيين ستة عشر صف ضابط من سلاح المهندسين الخارجين عن الخدمة [٢] .

---

(١) أمين سامى : تقويم النيل وعصر عباس وسعيد م ١ ج ٣ ص ٢٥٦ أمر الى السكة الحديد فى ١٨ ربيع الثانى ١٢٧٤ :

(٢) دفتر ١٨٨٩ (اوامر) ص ٧٠ رقم ١٦ أمر الى ديوان الجهادية فى ١٩ ربيع الثانى ١٢٧٤ — ويذكر امين باشا سامى (التعليم فى مصر ، القسم الخامس من الملحقات ص ٤٨) أن مدرسة المهندسخانة فتحت فى ديسمبر ١٨٥٨ وناظرها « احمد افندى حلمى » ولكن الواقع — كما ترى من الوثائق التى ذكرناها — أن المدرسة فتحت فى ديسمبر ١٨٥٧ وكانت تحت ادارة موتو بك مأمور الاستحكامات ورياسة الحركة الفنية فيها دى برناردى أما أحمد حلمى فقد يكون ناظرا لمهمات المدرسة ، وقد عين وكيلا للمدرسة التجهيزية اول =

ومضى شهران على موافقة الوالى على (ترتيب) المدرسة ، وصدر الأمر بأن يرسل الطلبة بقصر النيل الذين قيدوا ، على ذمة مدرسة العلوم الهندسية ، إلى القلعة السعيدية حيث يباشر موتو بك تعليمهم [1] .

وعلى هذا النحو أنشئت مدرسة المهندسخانة السعيدية .

وما بدأ التلاميذ دراستهم حتى ألغى ديوان الجهادية — الذى اليه يتبعون — وأحيلت المهندسخانة — مع بقية المدارس — إلى ديوان الداخلية [2] ، حتى إذا عاد ديوان الجهادية إلى الوجود بعد عام أو عامين عادت مدرسة المهندسخانة فأصبحت تابعة اليه [3] .

أما برامج الدراسة بالمهندسخانة السعيدية فلا نعلم عنها شيئاً كثيرا ، سوى ماجاء فى بعض الوثائق [4] من أن الوالى وافق على ماعرضته الجهادية خاصا بتعيين عشرة من

= افتتاحها فى حكم اسماعيل — وكان لمدرسة المهندسخانة السعيدية وكيل هو « محمد نصر افندى » وقد عين وكيلا لمدرسة المبتديان أول افتتاحها فى حكم اسماعيل

(١) دفتر ١٨٨٩ (اوامر) ص ١٢٧ رقم ٢٥ امر الى ديوان الجهاديه فى ٢٥ رجب ١٢٧٤ .

(٢) امين سامى . تقويم النيل ... م ١ ج ٣ ص ٢٧٨ أمر الى ديوان الداخلية فى ٢٥ شعبان ١٢٧٤ .

(٣) دفـــتر ١٨٩٣ (أوامر) ص ٧٧ رقم ٥٧ أمر الى ديوان الجهادية فى ١٦ شوال ١٢٧٦ .

(٤) دفتر ١٨٩٩ (أوامر) ص ١١٣ رقم ١١٨ ج ٢ امر الى ديوان الجهادية فى ٧ شوال ١٢٧٨ .

تلامذة المدرسة وجدوا متفوقين على أقرانهم فى الاستحكامات الخفيفة والقوية والعمليات الطبوغرافية واتضح من الامتحان كفايتهم للقيام بالأعمال الهندسية تحت إدارة كبير مهندسى القلعة السعيدية ليمرنوا على أعمال الاستحكامات وغيرها من الأعمال الهندسية وربط لكل منهم ٢٥٠ قرشا فى الشهر .

وبعد أربع سنوات من افتتاح مدرسة المهندسخانة نظمت نظاما جديدا : ذلك أنه فى أواخر سنة ١٨٦١ (١٢٧٨ هـ) ألغيت المدرستان الحربيتان بالقاهرة (بالقلعة) والاسكندرية فرؤى أن تحول مدرسة المهندسخانة السعيدية (بالقلعة السعيدية) إلى مدرسة حربية لمائة تلميذ . وقد قام بوضع النظام الجديد « محمد شريف باشا » وكان فى ذلك الوقت رئيسا لمجلس الأحكام . ووافق الوالى على « الترتيب » الذى وضعه وزيره فى ٨ صفر ١٢٧٨ (يوليه ١٨٦١) . وفى ذلك الوقت كان ديوان الجهادية قد ألغى مرة ثانية فأضيفت حسابات المدرسة إلى ديوان المالية ، ثم لما أعيد ديوان الجهادية أعيدت حساباتها اليه [1] .

وكان حكم سعيد قد آذن بالزوال . فلما تولى اسماعيل فى يناير ١٨٦٣ أمر بنقل (المدرسة الحربية) من القلعة السعيدية إلى قصر النيل [2] ، وفى أوائل سنة ١٢٨٠ (يونيه ١٨٦٣) استقرت المدرسة باحدى ثكنات الجيش بالعباسية [3] ثم نقلت

---

(١) دفتر ٣٥٠ (مدارس عربى) ص ٢٢ رقم ١٣٢ الى ديوان المالية فى ١٢ شعبان ١٢٨٠

(٢) دفتر ٣٤٢ (مدارس عربى) ص ٨٣ رقم ١٠٨ الى مخزن الآلات فى غاية ذى القعدة ١٢٧٩

(٣) دفتر ٣٤٢ (مدارس عربى) ص ١١٢ رقم ٢٠ الى ادارة الهندسة فى ٢٠ المحرم ١٢٨٠ .

تبعيتها من ديوان الجهادية الى ديوان المدارس بعد أشهر من إنشائها[1]، ثم دعيت « مدرسة المدفعية »[2]. وكانت إحدى المدارس الحربية الشهيرة فى عصر إسماعيل.

المدرسة الحربية بالاسكندرية

لما تولى سعيد باشا كانت مدرسة المفروزة — أو المدارس الحربية كما دعيت بعد ذلك — وهى التى أنشأها سلفه قائمة على إعداد الضباط لمختلف أسلحة الجيش: ففيها مدرسة للفرسان وأخرى للمدفعية وثالثة للمشاة. وعلى الرغم من حنق سعيد على منشآت سلفه وقلة ثقته فيها وفى رجالها فقد أزمع أن يفيد من هذه المدارس فى تنفيذ المشروعات التى كانت تجول بخاطره عند ما تولى أمر البلاد وخاصة ما كان منها متعلقا بإعادة تكوين الجيش على النحو الذى كان يبغى. فأصدر أمره بأن يختار من طلابها نفر ليكونوا ضباطا فى الكتائب الجديدة وآخرون ليبحثوا لدراسة « تعليمات

---

(١) دفتر ٣٤٢ (مدارس عربى) ص ١٥٧ رقم ٥٢ الى الجهادية فى ١٦ المحرم ١٢٨٠.

(٢) دفتر ٣٧١ (مدارس عربى) ص ٤ رقم ١٢٣ الى المالية فى ١٦ رمضان ١٢٨٢ ويذكر أمين باشا سامى (التعليم فى مصر ، ص ٤٨ و ٥٤) وينقل عنه مستر دن (ص ٣٢٠) أن مدرسة المهندسخانة بالقلعة السعيدية انتهت فى أغسطس ١٨٦١ ثم أعيد افتتاحها فى سبتمبر ١٨٦٢ باسم المدرسة الحربيـــة وناظرها مسيو دى برناردى ثم نقلت الى العباسية فى سنة ١٨٦٣ وظلت حتى أغلقت فى يولية ١٨٦٤ . ولكن الوثائق التى أوردناها لاتشير إلى إلغاء المهندسخانة بل الى تنظيمها واستبدال اسم جديد باسمها القديم. أما دى برناردى فقد كان ناظرا كبيرا لمعلمى المهندسخانة ثم لما أصبحت مدرسة حربية جعل مديرا لها.

الجرخجية « escarmouche » في أوروبا ، وأنفذ الأمر فاختاروا اثنين وثلاثين ضابطا للفرسان وثلاثة عشر ضابطا للشاة واثنى عشر طالبا للبعثة العسكرية وكلهم من المماليك والترك وأهل قولة وكريد وأورنة وغيرهم . وكانت المدارس الحربية إذ ذاك ما تزال في القاهرة وعلى رأسها « أحمد كمال باشا »[1] .

وبذلك لاح أن سعيدا لاينوى سوءاً بالمفروزة ، على أنه أصدر أمره — بعد نحو عام — بنقلها إلى الاسكندرية وجعلها تابعة لديوان البحرية وعزل ناظرها — كمال باشا — وتعيين وكيلها الصاغ — أحمد أفندى — ناظراً مكانه برتبة البكباشى[2] .

على أن نقل المدرسة إلى الاسكندرية — وخاصة بعد اعتزال مدير البحرية النشط — حافظ باشا خليل ثم انتقال ديوان البحرية إلى القاهرة[3] — قد أدى إلى سوء حالها : فالتلاميذ والخدم لا يصرف لهم شيء من مرتباتهم ويقضون الشتاء من

---

(١) محفظة ٤ (معية تركى) رقم ٢٤ من احمد كمال باشا مدير المدارس الحربية الى كاتب الديوان العالى فى ٦ المحرم ١٢٧١ ويوافق هذا التاريخ (١٨ سبتمبر ١٨٥٤) ويثبت هذا خطأ ما ذهب اليه امين باشا سامى من ان مدرسة المفروزة بمصر نقلت الى الاسكندرية فى ديسمبر ١٨٥٠ بعد أن بقيت بمصر سنة وثلاثة اشهر فقط (التعليم فى مصر . القسم الخامس من الملحقات ص ٤٥)

(٢) محفظة ١٠ (معية تركى) رقم ٤١٣ من حافظ خليل باشا ناظر البحرية الى كاتب الديوان الخديوى فى ١٧ جمادى الثانية ١٢٧٢ ، يذكر أمين باشا سامى : المصدر السابق ان « احمد بك كمال اعتزل نظارة المدرسة بالاسكندرية فى فبراير ١٨٥٦ » وان احمد أفندى الجزايرلى خلفه من مارس ١٨٥٦ الى ديسمبر ١٨٥٨ .

(٣) محفظة ١٣ (معية تركى) رقم ٩٤ من المير حسين حسنى الى المعية فى ١٠ رجب ١٢٧٣

غير ملابس تقيهم البرد ، وديوان البحرية يصم أذنيه عن مطالب ناظر المدرسة فيضطر هذا إلى الكتابة إلى المعية رأساً ملتمساً عرض الأمر على الجناب العالى[١]. ويرى سعيد باشا أن إلحاق المدرسة بديوان محافظة الاسكندرية قد يقيلها من عثرتها ، فأصدر أمره بذلك فى ١٠ شعبان ١٢٧٣ (أبريل ١٨٥٧) . وأقبل محافظ الاسكندرية على المدرسة ينظم تعييناتها ويرتب سائر أمورها[٢]. وبدأت المدرسة تنتعش : فامتحن تلاميذها ورفعت بنتائجهم تقريرات إلى الوالى ، جرياً على الأصول التى كانت مرعية فى المدارس فى عهد المرحوم مولانا الأكبر .[٣]

كان بالمدرسة فى ذلك الوقت — كما أثبت جدول الامتحان — ٢١٢ تلميذاً موزعين على الفرق الآتية :[٤]

الفرقة الأولى (النهائية) ٣٦ تلميذا

---

(١) محفظة ١٣ (معية تركى) رقم ٢٦١ من البكباشى احمد أفندى ناظر مدرسة الحربية الى المعية فى ٣ شعبان ١٢٧٣

(٢) محفظة ١٣ (معية تركى) رقم ٣٦٦ من محمد شاكر باشا محافظ الاسكندرية الى المعية فى ١٨ شعبان ١٢٧٣

(٣) محفظة ١٤ (معية تركى) رقم ٦١٧ من خورشيد باشا محافظ الاسكندرية الى المعية فى ٢٨ شوال ١٢٧٣

(٤) كما كان يقبل بالمدرسة أيضاً بعض ابناء الأوروبيين (دفتر ١٨٩٣ أوامر) ص ٧٧ أمر كريم الى نظارة الجهادية فى ١٦ شوال ١٢٧٦) ، ومن تلاميذ المدرسة اسماعيل بك نجل الأمير محمد على باشا وحفيد محمد على الكبير وبعض عائلته (محفظة ١٤ (معية تركى) رقم ٢٠٧ من خورشيد باشا محافظ الاسكندرية الى المعية فى ٢١ ذى القعدة ١٢٧٣)

الفرقة الثانية	٤٤ تلميذاً
« الثالثة	١٣٢ «

والمتتبع لأسماء هؤلاء التلاميذ — وهي مثبتة في جدول الامتحان — وجنسياتهم لا يرى أن لأبناء البلاد فيها حظا كبيرا ، فليس من بينهم سوى سبعة طلاب كتب أمامهم « مصرلي » ، وقد لا يعني هذا أنهم من أهل البلاد بل قد يعني أنهم ولدوا بها ، أما الآخرون فأخلاط من الشركس وأبناء المورة والأناضول وأزمير ومرعش وكريد والأستانة . . . الخ .

وكانوا موزعين على بلوكات ولهم رتب عسكرية : من نفر إلى باشجاويش ، ومنهم ملازمون ، وتلاميذ الفرقة الأولى يدرسون الحساب وقد ذكر في جدول الامتحان أنهم بلغوا فيه درجة جيدة ، حتى يجوز لهم أن يشرعوا في تعلم أصول الهندسة والجبر ، ويدرسون الرسم ويقرؤن (تحفة وهبي) ويكتبون الرقعة أو الثلث ويمرنون جميعاً على الحركات العسكرية .

وتلاميذ الفرقة الثانية يدرسون النحو والصرف ويكتبون الرقعة أو الثلث ويمرنون على الحركات العسكرية وقليل منهم يدرس الفارسية .

أما تلاميذ الفرقة الثالثة فيقرؤن القرآن ويكتبون الثلث .

ومن ذلك نرى أن تلاميذ المدرسة الحربية بالاسكندرية كانوا دون تلاميذ المدرسة الحربية بقلعة القاهرة علما وأقل منهم تحصيلا . وأدرك ناظر المدرسة هذه الحقيقة ، فاقترح على المحافظة أن يدرس تلاميذها اللغة الفرنسية وأن يعين مسيو « بارتلي » الذي كان مدرسا بمدرسة الطب ويعمل إذ ذاك في سكرتيرية مشورة

الأطباء بالاسكندرية مدرسا لهذه اللغة ووافقت المحافظة والمعية [1] . ثم تلا ذلك تكوين لجنة لتنظيم الدراسة بالمدرسة تظهر فيها أسماء أدهم باشا ورفاعة بك وأرتين بك ، ولهم في تنظيم المدارس أكبر خبرة منذ عهد محمد علي .

وقد قام بالنصيب الأكبر من العمل رفاعة بك ، فامتحن تلاميذ المدرسة ولم يمض على امتحانهم السابق سبعة أشهر ، وأثبت درجاتهم في جداول أردفها بمقترحاته : [2]

وكان بالفرقة الأولى ٢٥ تلميذا وقد درسوا المواد الآتية :

الحساب : إلى آخر التناسب بالاثبات .

الجبر : إلى آخر الدرجة الأولى .

الهندسة : إلى آخر المقالة الأولى من لوجندر .

اللغة التركية : قرؤا من بندر عطار إلى القطعة الثامنة وهي دربيان نصيحة ملوك وسلاطين .

الرسم والخط : الرسم النظرى ، وخطوط من الأمشق ونقل رسم عمارات بالألوان والظلال .

التعليمات العسكرية : منقسمون فيها إلى ثلاثة فصول .

وبالفرقة الثانية ٢٠ تلميذا درسوا ما يلي :

الحساب : بإثبات إلى آخر قواسم الأعداد .

---

(١) محفظة ١٤ (معية تركى) رقم ٤٣٢ من خورشيد محافظ الاسكندرية إلى المعية في ٢٢ ذى الحجة ١٢٧٣

(٢) محفظة ١٦ (معية تركى) رقم ١٨٣ من خورشيد محافظ الاسكندرية الى المعية في ١٥ ربيع الثانى ١٢٧٤

اللغة الفارسية : منقسمون فيها إلى فصلين . الأول ختم التحفة والثانى قرأ خمس عشرة قطعة منها .

الرسم والخط : الرسم النظرى وخطوط من الأمشق .

التعليمات العسكرية : منقسمون فيها إلى ثلاثة فصول

وبالفرقة الثالثة ٤٩ تلميذا درسوا :

الأجـــرومية : حفظاً من غير إعراب .

الصرف : انقسموا فصلين . الأول أتم الأمثلة وابتدأ فى البناء والثانى قرأ من الأمثلة إلى صيغة فعل الأمر .

وبالفرقة الرابعة ثلاثة فصول :

الفصل الأول : ٣٨ تلميذا . قرؤا ثلاثة أرباع القرآن وقراءتهم لا بأس بها .

الفصل الثانى : ٣٥ تلميذا . قرأوا الى الجزء الثالث من القرآن وقراءتهم بسيطة .

الفصل الثالث : ٢٢ « « « الجزء الأول وابتدأوا فى الجزء الثـــانى ، ثم : تلاميذ مبتدئون فى الهجاء .

وقد أشـــار رفاعة بك بأن يضم (القرآنجية) جميعا أى قارئو القرآن فى فرقة خامسة .

وعلى ضوء هذه النتائج ، استقر رأى جمعية المدرسة بحضور سعادة أدهم باشا ، على تعديل الدروس وزيادة العناية بتدريس اللغة الفرنسية ووضع جدول لساعات الدراسة واستذكار الدروس وأوقات الرياضة ورفع هذا كله إلى الجناب العالى .

وفى تلك الأثناء كان ديوان الداخلية جادا فى وضع (تراتيب) المدارس . وقد بلغت نفقات المـــدرسة الحربية بالاسكندرية طبقاً للترتيب الذى وضع لها

١٥ بارة و ٢٤ قرشا و٤٤٦ جنيهاً في الشهر ، وبذلك اقتصدت الحكومة مبلغ ٦ بارات و ٩٧ قرشا و ٦٤ جنيها وفصلت بعض الموظفين [١] .

ولم تنقطع صلة رفاعة بك — وهو ناظر المدرسة الحربية بقلعة القاهرة — بالمدرسة الحربية بالاسكندرية ، فكان يزورها من وقت لآخر ليفتش عن أحوالها ويمتحن تلامذتها يصحبه أحياناً محمد شريف باشا ناظر الخارجية ويصدر أوامره إلى ناظرها ويكتب في شأنها إلى محافظة الاسكندرية أو إلى المعية رأساً [٢] . وقد كان لهذا أثره في تقريب مستوى الدراسة بمدرسة الاسكندرية من مستوى مدرسة القاهرة . فأشير بأن تجعل مدة الدراسة بها خمس سنين توزع بينها مختلف المواد ، وأن يصرف عن المدرسة التلاميذ الأغبياء المتقدمون في السن وأن يثاب المدرسون الأكفاء بمرتب شهر أو شهرين مكافأة لهم بنسبة عدد الطلبة الذين نشأوهم [٣] .

وقد تعاقب على المدرسة مذ نقلت إلى الاسكندرية وعزل ناظرها أحمد باشا كمال نظار كثيرون من أوائل سنة ١٢٧٢ (١٨٥٥ — ١٨٥٦) وهم : [٤]

---

(١) دفتر ١٨٨٩ (أوامر) ص ٨٦ أمر الى محافظة الاسكندرية في ٢٩ ربيع الثاني ١٢٧٤

(٢) محفظة ١٨ (معية تركي) رقم ١٨٨ من رفاعة رافع ناظر المدرسة الحربية الى المعية في ٢٤ رجب ١٢٧٤

(٣) محفظة ٢٠ (معية تركي) رقم ٢١١ من محمد شريف باشا ناظر الخارجية الى المعية في غاية ذي الحجة ١٢٧٤

(٤) هذا البيان عن أمين باشا سامي : التعليم في مصر - القسم الخامس من الملحقات ص ٤٥ — والوثائق التي بين أيدينا تكاد تتفق معه في تاريخ تعيين كل من أحمد أفندي =

أحمـــد أفندى الجزايرلى من مارس ١٨٥٦ إلى ديسمبر ١٨٥٧
ثم إبراهيم « أدهم « يناير ١٨٥٨ « يونية ١٨٦٠
« حسين « سليمان « يولية ١٨٦٠ « أغسطس ١٨٦٠
« سليمان « نجاتى « سبتمبر ١٨٦٠ « أغسطس ١٨٦١

وظلت المدرسة تابعة لمحافظة الاسكندرية حتى صدر الأمر بالغائها فى ٢ صفر ١٢٧٨ (يولية — أغسطس ١٨٦١) [1] فى نفس الوقت الذى ألغيت فيه المدرسة الحربية بالقاهرة .

المدرســـة البحرية بالاسكندرية

رأيت أن عباسا الأول أمر — أثر توليه — بإلغاء المدرسة البحرية بالاسكندرية وتشتيت تلامذتها ففصل الكثيرون وألحق الباقون بإحدى سفن الأسطول . [2]

فلما تولى سعيد انبعثت الآمال فى إحياء البحرية المصرية والمدرسة البحرية . فقد درس سعيد فى حياة والده العظيم الفنون البحرية وتخرج فى المدرسة البحرية بالاسكندرية وتدرج فى السلك البحرى حتى بلغ أرفع رتبه . وبدأ سعيد عنايته

= وابراهيم أدهم افندى ناظرا على المدرسة . الا أنه يلوح أن أدهم لم يبق طويلا بالمدرسة . إذ أنه بعد تعيينه بشهر وبضعة أيام يبدو اسمه فى الوثائق مقرونا « بمدير اسيوط » (محفظه ١٨ معيـــة تركى رقم ٥ فى غرة رجب ١٢٧٤) ولكن الوثائق لا تذكر شيئاً عن نظار المدرسة من بعده .

(١) دفتر ١٨٩٥ (أوامر) ص ٤٨ رقم ٧٢ أمر كريم الى محافظة الاسكندرية فى ٢ صفر ١٢٧٨

(٢) انظر فيما سبق ص ٦٩

بالبحرية بإعادة إنشاء ديوان البحرية وجعل مقره بالاسكندرية . ولكن يلوح أن سعيدا خشى أن يظل الديوان من غير عمل يقوم به لأنه لم يكن ثمة أسطول فى ذلك الوقت فجعل من اختصاصه شراء كل ما يلزم لسائر مصالح الحكومة ، ومن ذلك أن ديوان المدارس طلب إليه أن يبتاع له حالات قطن لتلامذة جدد بالمهندسخانة[١] !
ولم يفعل سعيد شيئاً لتجديد البحرية المصرية ، وظلت المدرسة البحرية قاصرة على النفر من التلاميذ الملحقين بالسفينة « فيض جهاد »[٢] وكانوا يدعونهم أحيانا « مكتب بحرية اسكندرية » أو « المدرسة البحرية » . وقنع سعيد بأن نقل المدرسة الحربية (المفروزة) إلى الاسكندرية وجعلها تابعة لديوان البحرية .

وسرعان ما اكتشف سعيد أن ديوان البحرية لا يعمل شيئاً بالاسكندرية فأمر بنقله إلى القاهرة[٣] وأخيرا . . . . وكان قد مضى على تولى سعيد خمس سنين — فكر فى تجديد المدرسة البحرية بالاسكندرية ، وأرسل يطلب من فرنسا كتباً فى فنون البحر

---

(١) دفتر ٣٣٣ (مدارس عربى) ص ١٤٠ رقم ٩٩ الى المالية فى ١٢ المحرم ١٢٧١ ودفتر ٣٣٤ (مدارس عربى) ص ٣٧ رقم ١٤ الى ديوان عموم بحرية باسكندرية فى ١٣ صفر ١٢٧١

(٢) دفتر ٣٣٩ (مدارس عربى) ص ٣٧٩ رقم ١٤٤ من المهندسخانة فى ٢٧ صفر ١٢٧١

(٣) محفظة ١٣ (معيه تركى) رقم ٩٤ من الميرحسين حسنى الى المعيه فى ١٠ رجب ١٢٧٣

دفع بهما إلى قلم الترجمة بالمدرسة الحربية بالقاهرة لتتم ترجمتها فى وقت وجيز [١] .

ومضى عام وبعض عام . وفى أواخر سنة١٢٧٦ (١٨٦٠) أنشئت المدرسة البحرية ونصب ناظراً عليها أحد رجال البحرية الايطالية ويدعى الكابتن فدريقو (Federico) وكانت الحكومة المصرية قد استدعته قبل ذلك بأشهر ليعمل فى البحرية المصرية[٢]. وهكذا جدد سعيد المدرسة البحرية وانتخب لها جملة من نجباء تلامذة المدارس الحربية ، وكانوا يمرنون يوميا فى الفرقاطتين « شير جهاد ورشيد » ، ولما أريد إصلاحهما سافر تلامذة البحرية بهما إلى لفربول ومعهم القبودان فدريقو بك [٣] .

وتبغ بهذه المدرسة كثير من الضباط . على أن سعيدا ما زال عند موقفه الأول فلم يعمل على تجديد الأسطول المصرى . وقيل إن سعيدا كان يرى أنه لا بد قبل كل شىء من وجود المدرسة البحرية وتخريج ضباط أكفاء منها وذلك يحتاج إلى وقت طويل . أما الحصول على السفن فأمر سهل لأنه يمكن شراؤها فى أى وقت[٤]. ولازمته هذه الفكرة حتى مات وتولى إسماعيل فدخلت البحرية المصرية والمدرسة البحرية فى طور جديد .

---

(١) محفظة ٢٢ (معية تركى) رقم ١٩٢ من محمد شريف ناظر ديوان الخارجية الى المعية فى ٢٧ ربيع الأول ١٢٧٥

(٢) محفظة ٢٥ (معية تركى) رقم ٣٦٨ من محمد شريف ناظر ديوان الخارجية الى المعية فى ٩ ذى القعدة ١٢٧٦ .

(٣) اسماعيل سرهنك باشا : حقائق الأخبار ... ج٢ ص٢٧٠ ويذكر سرهنك باشا ان إدارة المدرسة كانت لأحد مطوش قبود ان أحد رجال البحرية

(٤) المصدر السابق ج ٢ ص ٥٣

مدرسـة الطب

رأيت كيف عاشت مدرسة الطب حياتها فى حكم عباس متعثرة فى طريقها ، فمن نظام يوضع لينقض إلى ألوان مختلفة من الثقافات : الفرنسية والألمانية والايطالية يراد فرضها عليها ، إلى أطباء مختلفى الجنسية والثقافة والنزعة لا يكاد يستتب للواحد منهم الأمر حتى يخلفه آخر ، وبعثات للطب ترسل إلى مختلف الجامعات الأوروبية : مونيخ وفينا وبرلين وبيزا وأدنبرة . والحق أن مدرسة الطب لم يقدر لها أن تحيا فى حكم عباس إلا بفضل قوة الاستمرار وحدها وبفضل ما أفادت فى حكم مؤسسها الأول من تقاليد وأثر لاينكر فى النهضة التعليمية والاجتماعية . ولا نستطيع أن نغفل عاملا كان له أثره فى الاحتفاظ بهذه التقاليد ، نعنى أولئك الأطباء المصريين من خريجى المدرسة وبعثاتها الأولى ، وقد درسوا بها طلابا ثم عادوا إليها مدرسين فأساتذة . وإذا كانوا حتى ذلك الوقت محرومين من الاشتراك فى الإدارة العليا للمدرسة — وقد كانت من اختصاص شورى الأطباء — فقد كانوا أشد اتصالا بالطلبة فى الدروس وفى خارج الدروس ، وبذلك كانوا العنصر الثابت فى تلك السنوات المضطربة التى مرت بها المدرسة .

ويرسم « كلوت بك » وهو لم يفتر لحظة عن تتبع المدرسة والإشادة بالنظم التى وضعها والنجاح الذى أصابت فى عهد إدارته — صورة قاتمة لها حين انتهى حكم عباس فى سنة ١٨٥٤ . يقول إنه عند ما تولى سعيد كانت المدرسة قد فقدت أهميتها وأصابها الجدب لدرجة أن تقرير إلغائها كان أسهل من محاولة إصلاحها [1] .

---

(1) Clot : Compte rendu de la réouverture de l'Ecole de médecine du Caire P. 16-17.

تولى سعيد فى يولية ١٨٥٤ . وكان توليه مبعث ارتياح لدى الرجال الذين خدموا فى عهد محمد على وتطلعوا إلى أن يعيد الأمير ذكرى حكم والده المجيد ، ومن هؤلاء الرجال الذين طالما حنوا إلى أيامهم بمصر كلوت بك . سرعان ما شد رحاله إلى مصر ينشد النجم البازغ ويتطلع إلى الحظوة فى ظلال الحكم الجديد .

وفى نوفمبر ١٨٥٤ وصل كلوت بك إلى القاهرة ، وقدم عواطفه لابن محمد على ، وكان طبيعياً أن يبادر بالاتصال بمدرسته فأسرع إلى زيارة الدكتور رانزى (Ranzi) رئيس شورى الأطباء ومدرسة الطب ، وكان قد انعقد بين الرجلين على البعد صلات الود والتقدير . ويبدو أن رانزى قد أدرك أن خدمته لمصر قد آذنت بالانتهاء ، فألح على كلوت بك ليتسلم إدارة المدرسة من يديه ، وطلب إلى الوالى أن يحله من عقده ولم يمض عليه سوى عام واحد ، واستعاد فى جامعة فلورنسة كرسى العيادة الجراحية . وقبل كلوت بك ، بعد تردد ، العبء الثقيل ، عبء إعادة تنظيم الإدارة الطبية والصحية كلها مع العمل لمطابقتها لحالة مصر الراهنة .

والحق أن العمل كان شاقا . فاذا كان كلوت بك قد استطاع — باستقالة الدكتور رانزى — أن يتخلص من النفوذ الإيطالى ، فقد بقى أمامه النفوذ الألمانى الذى استطاع أن يشق طريقه إلى بلاط الوالى الجديد ، ويتمثل هذا النفوذ فى الطبيبين رابر Rayer ولاوتنر Lautner وقد رأينا الدور الذى قاما به فى مدرسة الطب فى حكم عباس[1] .

فبينا كلوت بك ماض فى عمله بوصف كونه المفتش العام للصحة فى مصر كان

---

(١) انظر فيما سبق ص ٨٧

راير قد خلف رانزى فى رياسة شورى الأطباء مع احتفاظه بوظيفة كبير جراحى مستشفى قصر العينى . أما زميله لاوتنر وكان وكيلا لشورى الأطباء فقد خلف راير كبيراً لأطباء المستشفى وكذلك كان كبيراً لأطباء الجناب العالى[1] . وأقبل كلوت ينظم الإدارة الصحية والطبية ومدرستى الطب والولادة ، وكان بمدرسة الطب قبل تولى سعيد بشهرين تسعون طالبا وبمدرسة الولادة خمسة وعشرون طالبة[2] . ويظهر أن كلوت وجد من الصواب الاقدام على إلغاء المدرستين حتى يمهد الأرض الصالحة ليعيد بناءها من جديد . ففى ديسمبر ١٨٥٤ - بعد وصول كلوت بك إلى مصر بشهر واحد - شرد تلامذة مدرسة الطب ، ففصل منهم ٧٧ طالبا ولم يبق بها سوى عشرين[3] ، ثم ألغيت المدرستان فى أوائل سنة ١٨٥٥ . وقيل فى تعليل إلغاء مدرسة الطب إنها أصبحت مركزاً (تجاريا) لإعطاء شهادات طبية مزورة للاعفاء من الخدمة العسكرية[4] . واستعرض سعيد باشا بنفسه تلامذة المدرسة أمام ديوان الخديوى بالقلعة ، فجعلهم أقساما بحسب أعمارهم ، فحديثو السن أمر بطردهم من المدرسة وألحق الآخرين بالجندية[5] . وانقطعت عن المدرسين والمدرسات مرتباتهم وحل بهم

---

(١) محفظة ٧ (معية تركى) رقم ٢١٠ ورقة ٣ فى ٢٤ ذى القعدة ١٢٧١ ومحفظة ٥ (معيه تركى) رقم ٢٨٩ من مدير المدارس الى كاتب ديوان الخديو فى ٤ المحرم ١٢٧١

(٢) دفتر ٢١٤٩ (مدارس تركى) ص ٤٧ رقم ٨٩ من مدير المدارس إلى أدهم باشا فى ٢١ صفر ١٢٧١ (تقرير امتحان سنة ١٢٧٠)

(٣) دفتر ٣٣٩ (مـــدارس عربى) ص ٣٦٦ رقم ١٥٠ من مدرسة الطب فى ١٥ ربيع الأول ١٢٧١

(٤) Sandwith : op. cit : p 17.

(٥) جورجى زيدان : مشاهير الشرق ج ٢ ص ٢٩٧ (من ترجمة الدكتور درى باشا)

الضيق وأخذوا يترددون على دوائر الحكومة حتى ربطت مرتباتهم بالمستشفيات التي كانوا يعملون بها [١] .

وأزمع كلوت بك أن يقيم بناءه الجديد على أرض جديدة ، فعرض أن ينقل مستشفى قصر العيني إلى البناء الذي كان يشغله مصنعان للحكومة بالخرنفش [٢] ، كما أنه فكر كذلك في إعداد (المبيضة) ببولاق لتكون مقرا لمدرسة الطب الجديدة [٣] ، ولكن كلا اقتراحيه لم ينفذا .

وأدرك كلوت بك أن لا سبيل لتنفيذ مشروعاته إلا إذا توحدت الإدارة الطبية التي كانت موزعة بين شورى الأطباء في القاهرة — وكان النفوذ الألماني غالبا فيه — ومجلس الصحة بالاسكندرية وكان بحكم تكوينه وصبغته هيئة دولية . سعى كلوت بك حتى صدر أمر الوالي بإلغاء شورى الأطباء والاكتفاء بمجلس الصحة [٤] . ولم يكد كلوت بك يتخلص من شوري الأطباء ورئيسه ووكيله الألمانيين حتى سعى لتكوين مجلس جديد دعاه « المجلس الخصوصي للطب » ، ووضع له لائحة من عشرين مادة وأعضاؤه أربعة من أصدقاء كلوت بك القدماء : عضوان أوروبيان هما الدكتور القائمقام أنطوان كولتشي Colucci (كولتشي باشا بعد ذلك رئيس مجلس الصحة

---

(١) محفظة ٦ (معية تركى) رقم ٦٦٠ من محافظ مصر إلى كاتب الديوان الخديوى في ٢٩ شوال ١٢٧١ ومحفظة ٨ (معيـــة تركى) رقم ٣٣٦ من محافظ مصر إلى كاتب الديوان الخديوى في ١٣ صفر ١٢٧٢

(٢) دفـــتر ١٨٨٤ (أوامر) ص ٥١ ارادة سنية لمحافظ مصر في ١٢ جمادي الآخرة ١٢٧٢

(٣) Clot, Compte rendu de la réouverture... p. 3.

(٤) دفتر ١٨٨٤ (أوامر) أمر إلى الخزينة المصرية في ٢٥ جمادى الآخرة ١٢٧٢

بالاسكندرية) وكان إذ ذاك مفتشاً لصحة القاهرة وعضواً سابقاً بمجلس الصحة والصيدلى القائمقام اسبنازى (Espinassy) مفتش الصيدلة بالاسكندرية والناظر السابق لقلم الطب بالقاهرة .

وعضوان مصريان هما القائمقام محمد أفندى الشافعى حكيمباشى البحيرة وناظر مدرسة الطب سابقاً والقائمقام حسنين أفندى على المفتش بالضربخانة وأستاذ الكيمياء سابقاً بمدرسة الطب . [1]

ويكون (مجلس الطب الخصوصى) تابعاً لمجلس الصحة بالاسكندرية . ومن اختصاصه تعيين الأطباء وترقيتهم ونقلهم وامتحانهم والتفتيش على جميع فروع الخدامة الطبية والصحية ، وزيارة مخازن الأدوية للتحقيق من نظافتها وصيانة الأدوية والآلات بها ومن اختصاصه أيضاً امتحان « تلامذة التعليم » . ويقصد تلامذة المدرسة الطبية (المادتان ٨ و ٩) [2] .

والواقع — كما ترى — أن مجلس الطب الخصوصى قد ورث عن شورى الأطباء اختصاصاته الواسعة بل سرعان ما ورث عنه اسمه .

وفى تلك الأثناء كان كلوت بك جاداً فى القيام بعمله الرئيسى : فوضع لائحة

---

(١) دفتر ١٨٨٤ (أوامر) لائحة المجلس الخصوصى للطب فى ٢٥ شوال ١٢٧٢ — ثم حل الدكتور ابراهيم بك النبراوى الطبيب الخاص للوالى محل حسانين أفندى على واختير الدكتور كلوتشى وكيلا للمجلس (محفظة ١٥ (معية تركى) رقم ١٩٩ المرفق العربى فى ٢٢ المحرم ١٢٧٤)

(٢) دفتر ١٨٨٥ (أوامر) ص ٩ أمر إلى رئيس مجلس الصحة فى ١٢ ذى القعدة ١٢٧٢ .

لتأسيس مدرسة جديدة للطب تكون ملحقة بمستشفى قصر العيني ، ثم عرضها على مجلس الطب الخصوصي أو شورى الأطباء فنال موافقته ، وصدر بها أمر سعيد باشا إلى مجلس الصحة ومحافظة القاهرة في أغسطس ١٨٥٦ مشيراً بافتتاح المدرسة في أول العام الهجرى من سنة ١٢٧٣ (٢٠ أغسطس ١٨٥٦) . انتظمت اللائحة ٣٩ مادة وأهم موادها [١] :

(١) التلاميذ الذين يقبلون بها يجيدون القراءة والكتابة العربية ويعرفون قواعد الحساب الأصلية .

(٢) تكون سنهم نحو الخمسة عشر عاما .

(٣) يكون عدد تلاميذ المدرسة ٨٠ تلميذاً : منهم ٦ لتلقى علوم الطب والجراحة و ٢٠ لتلقى الصيدلة [٢] .

(٤) يقيم التلاميذ في المدرسة وتنفق الحكومة على مأكلهم وملبسهم ويعطى كل منهم مرتباً شهرياً [٣] .

---

(١) دفتر ١٨٨٥ (أوامر) ص ٥٨ رقم ١٧٧ أمر الى رئيس مجلس الصحة في ٢٤ ذى الحجة ١٢٧٢ ودفتر ترتيبات ووظائف ص ٤٣٢ رقم ١٥ الى محافظة مصر في ٩ صفر ١٢٧٣ . وكذلك تجد ملخصا وافيا للائحة في Merruau, L'Egypte Contemporaine p. 215 - 220.

(٢) وقد جاء في أمر للوالي بتنفيذ اللائحة أن مجلس الصحة قدر أن عدد الطلبة الصيادلة أكثر من اللازم ورأى أن نسبة الطلبة الصيادلة الى الطلبة الأطباء كنسبة ١ الى ٦.

(٣) وقد رتب لكل تلميذ في السنة كسوة من جوخ أزرق وكسوتان من البفتة وطربوش وحزام ومركوبان وثلاثة ألبسة وثلاثة طواقى ويعطى للتلميذ المبتدىء خمسة ...

(٥) ويسمح للطلبة الذين يرغبون فى دراسة الطب ويكونون زائدين عن حاجة المدرسة بأن يترددوا عليها ، ويعاملون معاملة طلبة المدرسة فى الضبط كما يعاملون مثلهم بعد انتهاء تعليمهم .

(٦) يقيد بالمدرسة تلامذة الطب القدماء وعددهم ٣٣ طالبا وكانوا قد وزعوا على فرق الجيش ، وتتكون منهم الثلاث فرق الدراسية الأولى .

(٧) ويؤخذ باقى الطلبة من تلامذة مدرسة القلعة ممن لهم استعداد ورغبة فى تعلم الطب .

(٨) مدة الدراسة بالمدرسة خمس سنوات .

(٩) إذ تعذر وجود تلامذة يعرفون الحساب يعين بالمدرسة مدرس للحساب ومبادئ الهندسة وكذلك يعين بها مدرس للغة الفرنسية وهذا إجراء وقتى حتى تخرج المدرسة (التجهيزية) بالقلعة تلاميذ يعرفون الحساب واللغة الفرنسية .

ونص فى هذا (الترتيب) على تعيين « حسابن أفندى » وهو من أعضاء مجلس الصحة أستاذاً للكيمياء والطبيعة بالمدرسة مع احتفاظه بوظيفته فى « الضربخانة » وتعيين الأطباء بورجيير Burguieres وديامنتى Diamanti ومحمد على البقلى مع ترقيتهم إلى رتبة القائمقام ومصطفى أفندى الواطى مع ترقيته إلى رتبة الصاغقول أغاسى[1] .

= وسبعون قرشا فى كل شهر تزاد عشرة قروش كلما انتقل الى فرقة أعلى من فرقته ، على أن يخصم من كل تلميذ ٥ ٪ من مرتبه تحفظ عند موظف خاص بالمدرسة ليصرف منها على ما يحتاج إليه التلاميذ من إصلاح ملابس أو شراء كتب .

(١) وفى الشهر التالى لافتتاح المدرسة أعيد اليها الدكتور بلهارز أستاذ التشريح الوصفى وكان أستاذا بها فى عهد عباس ثم نقل الى احدى فرق الجيش .

وهكذا جمع كلوت بك حوله فريقاً من أساتذة المدرسة القدامى من زملائه وتلامذته ليتكاتفوا على النهوض بها فى عهدها الجديد . وتوضع المدرسة تحت إشراف ورقابة مجلس الطب الخصوصى . ولكل من رئيس قسم الطب ورئيس قسم الصيدلة بالمدرسة الاشراف على التعليم وعلى تنفيذ اللوائح فى قسمه ، وتحت رياسته وكيل مصرى يعهد إليه بتفصيلات العمل اليومى ، ويعاون الأساتذة مساعدون .

ويؤلف مجلس للتعليم من جميع الأساتذة الوطنيين والأجانب ، ويجتمع مرة على الأقل فى كل شهر أو عدة مرات إذا لزم الأمر ليشرف على نظام المدرسة والدراسة ويدرس التحسينات الممكن إدخالها ، وتدون جميع مداولاته فى سجل خاص يكون دائماً فى متناول السلطات الادارية ومجلس الصحة .

ويعين الوالى الرؤساء والوكلاء والأساتذة وغيرهم من موظفى المدرسة بناء على اقتراح مجلس الصحة وتوزع مواد الدراسة على النحو الآتى :

قسم الطب

السنة الأولى (أى الفرقة الخامسة) : مقدمة لدراسة العلوم الطبيعية ، طبيعة ، كيمياء غير عضوية ، جيولوجيا ، معادن .

السنة الثانية (أى الفرقة الرابعة) : طبيعة ، كيمياء عضوية وغير عضوية ، نبات ، حيوان ، تشريح .

السنة الثالثة (أى الفرقة الثالثة) : تشريح ، فيزيولوجيا ، جراحة ، باتولوجيا داخلية ، باتولوجيا خارجية ، مادة طبية ، علاج (Thérapeutique) .

السنة الرابعة (أى الفرقة الثانية) : باتولوجيا داخلية ، باتولوجيا خارجية ، عيادة

داخلية ، عيادة خارجية ، تشريح باتولوجي .

السنة الخامسة (أى الفرقة الأولى النهائية) : عيادة داخلية ، عيادة خارجية ، تشريح جراحي ، طب العيون ، صحة طب .

قسم الصيدلة

السنة الأولى : مقدمة لدراسة العلوم الطبيعية ، طبيعة ، تاريخ طبيعي ، (جيولوجيا ومعادن) .

السنة الثانية : تاريخ طبيعي (نبات) طبيعة ، كيمياء أولية .

السنة الثالثة : كيمياء عامة ، كيمياء صيدلية ، تمرين فى صيدلية المستشفى .

السنة الرابعة : كيمياء تحليلية ، مادة طبية . » » » »

السنة الخامسة : » » » » حساب الصيدلة (Comptabilité pharmaceutique.)

* * *

وإلى جانب هذه المواد تدرس مواد إعدادية او مساعدة : وهى اللغة الفرنسية [1] وتدرس فى جميع سنى الدراسة والحساب ومبادىء الهندسة وتدرسان فى خلال السنتين الأوليين .

وجاء فى اللائحة أن الغرض من الدراسة تكوين أطباء عمليين وخاصة للأمراض الشائعة بمصر . ولذا أوصت اللائحة الأساتذة بأن ينسقوا جهودهم ليعطوا

---

(١) وقد اشتغل مدرسا للفرنسية بالمدرسة زمنا ما « محمد قدرى أفندى » باشا فيما بعد ووضع كتابا فى الآجرومية العربية والفرنسية .

دروسهم كل وحدة ممكنة وبأن يعرضوا دروسهم فى عبارات واضحة دقيقة تسيغها أفهام الناشئين .

وعلى الأساتذة أن يدونوا دروسهم كاملة ويترجم الأجنبي منها إلى اللغة العربية ثم ينسخها التلاميذ .

ويلحق بالمدرسة مكتبة ، ومعامل خاصة للطبيعة والكيمياء والتشريح ومجموعات خاصة بالتاريخ الطبيعي والمادة الطبية والآلات الجراحية اللازمة وحديقة نباتية . ويعهد بالمحافظة على هذه المعامل والمجموعات إلى المدرسين المساعدين .

ويكون امتحان التلاميذ فى النصف الثانى من شهر شعبان من كل عام أمام هيئة مكونة من جميع أساتذة ورؤساء المدرسة ويرأسها أحد أعضاء مجلس الصحة ، والطالب الذى تحكم اللجنة بعدم أهليته يعيد سنة بفرقته ، فإذا رسب مرة ثانية طرد من المدرسة وأدخل فى زمرة الممرضين . وبعد الامتحان النهائى يعين المتخرجون فى الخدمة المدنية أو العسكرية طبقاً لحاجة الحكومة .

وأثمرت جهود كلوت بك وفتحت المدرسة فى ١٠ سبتمبر ١٨٥٦ (المحرم ١٢٧٣) فى احتفال فخم رأسه محافظ القاهرة إذ ذاك إبراهيم أدهم باشا وحضرة كبار الموظفين والضباط والعلماء وقناصل الدول [١] . وألقى الدكتور كلوت بك خطبة بليغة أظهر فيها تأثره لإعادة افتتاح المدرسة واغتباطه إذ يرى من حوله تلامذته الأول يشتركون معه فى تنظيمها من جديد ، ثم عرج إلى الماضى : فنوه بالمدرسة الأولى التى افتتحت منذ ثلاثين عاما وقارن بين العهدين ، فالأساتذة والطلاب الآن أفضل إعدادا من زملائهم وقت

---

(١) Clot : Compte rendu de la réouverture de l'école de médécine du Caire.

تاسيس المدرسة والعادات والأخلاق فى مصر قد تغيرت وضعفت المعتقدات السابقة .

وخير دليل يسوقه كلوت بك على ذلك أنه عند افتتاح المدرسة تسابق إليها الطلاب بحماسة تدعو إلى الإعجاب لدرجة أنه بعد أن اختير أكثرهم كفاءة واستعدادا بقى أكثر من ثلثى المتقدمين ، هذا إلى أن الطلاب الذين كانوا قد فصلوا وقت أن حلت المدرسة عادوا يهتمون بقيد أسمائهم [1] .

وتستطيع المدرسة أن تفيد من ثمرة الجهود السابقة ، فثمة الآن لغة علمية وكتب مترجمة .

ودافع كلوت بك عن رأيه فى وجوب إدخال الدراسات العلمية فى مصر بواسطة لغة البلاد وعن طريق المدارس الوطنية ، هذا مع عدم إغفال تدريس اللغة الفرنسية للطلبة حتى يستطيعوا بعد إتقانها قراءة المراجع الفرنسية .

وما إن نجح كلوت بك فى وضع أساس المدرسة وافتتاحها حتى راح يلتمس السبل لتوطيد أركانها وتوسيع بنيانها والتزيد من النفوذ فى دوائر البلاط والحكومة . ففى الشهر التالى لافتتاحها وافق الوالى على اقتراح كلوت بك إلحاق ٣٤ طالباً بها علاوة على الثمانين الذين نصت عليهم اللائحة [2] . ثم قفز عدد التلاميذ إلى ١٤٨ تلميذا . حتى إذا مضى عام ونصف عام عاد كلوت بك إلى أسلوبه القديم ، أسلوب

---

(١) Clot : Compte rendu de l'examen des élèves ..p. 31.

(٢) دفتر ١٨٨٧ (أوامر) ص ٢٤ رقم ١٦ أمر إلى محافظة المحروسة فى ١٤ صفر ١٢٧٣

الامتحانات الحافلة والخطب الرنانة والموسيقى ... الخ قدعا نظار الدواوين وكبار الموظفين والعلماء والضباط إلى (امفيانر) المدرسة ليشهدوا أول امتحان يعقد لتلاميذها [1]. وقد وضعت أسئلة الامتحان في جرار وأخذ منها الطلبة (بالقرعة) وأجابوا علناً وبصوت مرتفع واستغرقت الاجابة عن كل موضوع عشرين دقيقة أو ثلاثين ، وكان يطلب منهم أحياناً أن يقرنوا إجاباتهم بالشرح وإجراء بعض العمليات .

وكانت نتائج الامتحان من السمو بحيث أنه لم ينل درجة (دون faible) سوى تلميذ واحد وحاز معظم التلامذة درجة (أعلى très-bien).

ويعلل كلوت بك هذا النجاح بالأسباب الآتية :

(١) خضوع التلاميذ للنظام الداخلي الحربي ، هذا النظام الذي يضطرهم إلى حضور الدروس بانتظام .

(٢) جمع وسائل الدراسة النظرية والعملية في مكان واحد ، فلا يضيع الطلبة وقتاً في التردد بين الدروس والتدريب العملي في المستشفيات .

(٣) قيام المعيدين بشرح دروس الأساتذة للطلاب ، وهذه ميزة لا توجد إلا في مدرسة القاهرة .

(٤) إلزام الطلاب بأن ينقلوا دروسهم كاملة في كراساتهم .

(٥) التنافس بين الطلاب في الامتحانات بدافع من حب الذات وما يصحب التفوق من مزايا مادية .

---

(١) Clot : Compte rendu de l'examen des élèves ....

(٦) إلزام الطالب الذي لم يحسن الإجابة في الامتحان بالبقاء سنة أخرى بفرقته ، فإذا تكرر رسوبه عاماً آخر فصل من المدرسة وألحق بالجيش أو أدخل في زمرة الممرضين .

(٧) وحدة العمل بحيث أن الأستاذ الموكل بتدريس نظريات العلوم يقوم أيضاً بتطبيقها في المستشفى والصيدلية والمعامل .

(٨) تكوين مجلس للأساتذة مهمته المحافظة على النظام وانتظام الدراسة ومراعاة المنهاج والتمرينات العملية .

ولكن الدسائس كانت تدور من وراء ستار بين كلوت بك ومنافسيه الألمان وزعيمهم الدكتور راير كان رئيساً لقسم الطب بالمدرسة ، ويعد تبعاً للائحة مديراً لها وكبيراً لجراحي مستشفى قصر العيني ، وأراد كلوت بك أن يسفه مدرسة الطب وخريجيها في العهد السابق ، فنال من سعيد باشا إذناً بامتحان جميع الأطباء بالقاهرة والأقاليم للوقوف على درجة معارفهم ، وأن يكون على رأس هيئة الامتحان كلوت بك نفسه وأعضاء شورى الأطباء (أو مجلس الطب الخصوصي)[1] وعقب الامتحان أعيد بعض الأطباء والصيادلة إلى المدرسة[2] .

وخطا كلوت بك خطوة أخرى ، فنال من الوالي أمراً بفصل شورى الأطباء عن مجلس الصحة وإعادة كل منهما إلى حالته الأولى ونقل الشورى إلى ديوان الداخلية

---

(١) محفظة ١٨ (معية تركي) رقم ٨٠ من كلوت بك المفتش العام للصحة ورئيس مجلس الطب الى المعية في ١١ رجب ١٢٧٤

(٢) دفتر ١٨٨٩ (أوامر) ص ٥٣ رقم ١٩ أمر الى ديوان الداخلية في ٢٨ صفر ١٢٧٤

وإسناد رياسته إلى كلوت بك[1] . وبذلك أصبح كلوت بك مستقلا فى عمله كرئيس لشورى الأطباء دون رقابة من هيئات أخرى .

ولكن تقدم كلوت بك فى السن وضعف صحته حالا دون أن يستطيع مواصلة النضال فى سبيل المحافظة على النظام الذى وضعه للمدرسة التى ارتبط تاريخها باسمه ، فاضطر أخيراً إلى اعتزال العمل آسفاً والعودة إلى وطنه فى سنة ١٨٥٨ . وقدر سعيد لكلوت بك صادق بلائه وجليل خدماته للطب والصحة فى مصر فأمر بمنحه كامل مرتبه طوال حياته [2] .

وقدر كلوت بك — وهو يرحل عن مصر — ما ستتعرض له مؤسسته من هجوم خصومه وخاصة لما يعرف من « أن الصفة البارزة فى سعيد ضعف عظيم يشوبه كثير من الطيبة ، وقد عرف الدكتور رابر كيف يستغله لمصلحته ومصلحة الأطباء من بنى جنسه » [3] .

ويلوح أن سعيد باشا حاول أن يتخلص مما يحوط المدرسة من جو لا يساعد على تقدمها ؛ فأصدر قراراً [4] بإخراج المدرسة — وحدها دون المستشفى والصيدلية والمخازن — من إدارة ديوان الداخلية وشورى الأطباء ، ووضعها مباشرة تحت إشراف

---

(١) محفظة ٢٠ (معية تركى) رقم ١٣١ من كتخدا إلى الكاتب التركى فى ٥ ذى الحجة ١٢٧٤

(٢) Documents concernant le Dr. Clot Bey. p. 19-20.

(٣) Clot, Relation des phases.... p. 19.

(٤) محفظة ٢١ (معيـــة تركى) رقم ١٧ من كتخدا إلى كاتب جناب داورى فى ١٩ المحرم ١٢٧٥

دائرته الخاصة مع بقاء قوانينها ولوائحها جارية عليها ، ومنها أن ناظر قسم الطب بالمدرسة يظل مديراً لمدرستي الطب والولادة وعليه أن يتصل بالدائرة السنية في كل ما يتعلق بهما من شئون إدارية وفنية . وقد نقل الدكتور راير الذي كان يشغل هذا المنصب إلى عضوية مجلس الصحة بالاسكندرية وحل محله رئيساً لقسم الطب — وبالتالي مديراً للمدرسة — الدكتور بورجيير Burguières أستاذ الأمراض الباطنية بالمدرسة .

ويبقى ناظر قسم الصيدلية مشرفا على تعليم الصيدلة وما يتعلق بها ، وكان يشغل هذا المنصب فيجاري بك Figari أستاذ التاريخ الطبيعي بالمدرسة منذ عهدها الأول .

وتبقى جمعية المعلمين بالمدرسة في وظائفها المنوطة بها ، ويكون رئيسها هو ناظر قسم الطب وهو يدعوها إلى الانعقاد كلما لزم الأمر أو طلبت الدائرة السنية عقدها .

ويستمر الأساتذة والمساعدون [١] قائمين بواجبات وظائفهم ، على أن يعين الطبيب القديم الدكتور محمد على البقلي أستاذاً للتشريح الجراحي والعمليات ، وكان كلوت بك قد اقترح تعيينه في لائحة المدرسة ولكن يظهر أن الدكتور راير ظل يعارض في هذا التعيين حتى خرج فعين البقلي ، ويعين الأستاذ جاستنل Gastinel أستاذاً للطبيعة والكيمياء بدلا من حسانين على أفندي الذي توفي .

---

(١) ومن المساعدين أو الخوجات الثواني الذين كانوا يعملون بالمدرسة الدكاترة : سالم سالم (للفسيولوجيا والباثولوجيا والعيادة) ومحمد بدر (للرمد) وعلى رياض (للطبيعة) ومحمد عبد السميع (للعمليات الجراحية وغيرها) وحسن عبد الرحمن (للتشريح والأمراض الباطنية) وزهران محمد (للباثولوجيا والعيادة) واحمد حمدي (للتاريخ الطبيعي) وصالح على ومحمد فوزي وبدري سالم . ومن الأساتذة الأجانب الدكتور (Bellart) وكان أستاذاً للتشريح والدكتور (Pompégnoli) وكان أستاذ الباثولوجيا الداخلية .

وعلى المستشفى أن يتدارك المدرسة جميع الوسائل العملية اللازمة للتدريس .

ولكن « راير » لم يلق السلاح : فما أن نقل إلى مجلس الصحة بالاسكندرية حتى استصدر من الوالى قراراً بالغاء شورى الأطباء وذلك بتوحيده مع مجلس الصحة فى هيئة واحدة تدعى « مجلس عموم الصحة » تكون له الادارة العليا على جميع المصالح الصحية والمستشفيات والكورنتينات ومدرسة الطب [1] . وهكذا عاد « راير » إلى الاتصال بمدرسة الطب والاشتراك فى لجان امتحان طلبتها [2] ، وعن طريق هذا الاشتراك أخذ راير يثير الصعوبات أمام خلفه « بورجيير » ويرفع الى الوالى مقترحات يوافقه عليها تارة أو يحيلها إلى مجلس عموم الصحة لدرسها أو التقرير عنها تارة أخرى [3] ولم يأل راير إلا أن تنفذ مقترحاته ، ويحتدم الجدل بين راير وبورجيير ويرفع كل منهما مذكرات بوجهة نظره [4] ، ويعمل راير بك « الأحقاد الدولية » فيترك مصر فى سنة ١٨٦٠ [5] ، ويفصل « بورجيير » بك من رياسة مدرسة الطب ويقيد بالمحافظة ، ثم يخلفه فى رياسة المدرسة فى أغسطس ١٨٦١ الدكتور عرنوس بك (Arnoux) مع احتفاظه بمنصبه فى تفتيش

---

(١) دفتر ١٨٩١ (أوامر) ص ٩٥ امر الى الداخلية فى ٢٩ ربيع الثانى ١٢٧٥

(٢) محفظة ٢٣ (معية تركى) رقم ١٠٧ من على ذى الفقار رئيس مجلس الأحكام إلى المعية فى شعبان ١٢٧٥

(٣) دفتر ١٨٩١ (أوامر) ص ١٥٧ رقم ١٠ أمر الى الجهادية فى ٢١ ذى الحجة ١٢٧٥ ودفتر ترتيبات ووظائف ص ٤٣٠ امر الى الداخلية فى ١٣ رمضان ١٢٧٥

(٤) محفظة ٢٥ (معية تركى) رقم ٢٥٢ من على ذى الفقار الى المعية فى ١٣ رمضان ١٢٧٦

(٥) Sandwith ; op. cit, p. 17.

صحة القاهرة [١] : وظل ناظراً عليها حتى تولى اسماعيل .

والحق أن المدرسة كانت فى ذلك الوقت تكاد تحتضر : إذ أخذ عدد تلامذتها يتناقص من ١٤٨ تلميذا فى سنة ١٨٥٧ إلى ١٠٠ تلميذ فى العام التالى ، حتى إذا كانت سنة ١٨٦١ — ١٨٦٢ وهى السنة التى ألغيت فيها أكثر مدارس سعيد ، امتدت يد الاقتصاد فأقصت من مدرسة الطب أكثر طلبتها حتى لم يبق بها سوى أربعة عشر طالباً موزعين على ثلاث فرق دراسية . ثم صدر أمر الوالى بزيادتهم إلى خمسة وعشرين طالبا وإنشاء فرق جديدة [٢] .

مدرســـة الولادة

أما مدرسة الولادة فقد شاركت مدرسة الطب مصيرها وقاست ما قاسته من تباين الأهواء واختلاف النزعات . لقيت معها مصيرها فألغيت فى أوائل حكم سعيد ، ثم عادت معها حين نظمها كلوت بك نظاما جديدا وألحقت بقصر العينى [٣] .

والحق أن مدرسة الولادة قد أثبتت بجدواها على النهضة الاجتماعية والصحية — أحقيتها للوجود . فقد مست الحاجة إلى خريجاتها ليعملن فى توليد النساء والكشف عن النساء المتوفيات بدلا من زوجات الحلاقين الصحيين الذين

---

(١) دفتر ١٨٩٥ (أوامر) ص ٢ رقم ١٠٧ أمر الى محافظة مصر فى ٢١ صفر ١٢٧٨

(٢) دفتر ١٨٩٩ (أوامر) ص ١٠٦ رقم ١٩١ أمر الى رئيس مجلس الصحة فى ٢٠ رمضان ١٢٧٨ ودفتر ٦ (مجلس الصحة — بدون تاريخ) رقم ١٠ من كلوت بك الى لاوتنر فى ١٠ يناير ١٨٦٣ (بالمحفوظات الأوربية بالقلعة)

(٣) وقد رفض اقتراح عرضه الدكتور راير فى سنة ١٢٧٥ يرمى الى نقل المدرســـة الى الاسكندرية لما فى وجودها بالقاهرة من مزايا عظيمة .

ارتفعت الشكوى من إهمالهن وقلة أماناتهن [١] .

وقد بذلت عناية بإجادة التعليم في هذه المدرسة وخاصة بعد أن نوه كلوت بك في تقريره عن أول امتحان لطلبة الطب والولادة بعد تنظيم المدرستين بأن إجابة التلميذات أفضل في المسائل النظرية التي لا تتطلب إلا مجهود الذاكرة . وأرجع كلوت بك هذا النقص إلى قلة عدد حالات الوضع التي تجرى في المدرسة — وهي المشكلة نفسها التي واجهتها المدرسة في عهد عباس . وقد أصدر الوالي أمراً « بأن تصير المساعدة في قبول النساء الحوامل بالمدرسة وتفرد لهن قاعة مخصوصة » [٢] .

وقد وزعت دروس المدرسة في عامها الأول على النحو الآتي : [٣] .

الفرقة الأولى : (النهائية) تشريح وفيزيولوجيا ، جراحة صغرى ، أمراض النساء ، صحة النساء والأطفال ، مادة طبية ، وبالفرقة طالبتان .

الفرقة الثانية : ولم يكن بها أحد من التلميذات

الفرقة الثالثة : المواد السابقة بشيء من التوسع . وبالفرقة خمس طالبات .

الفرقة الرابعة : تشريح وفيزيولوجيا . جراحة صغرى وبالفرقة أربع طالبات

الفرقة الخامسة : (أي السنة الأولى) تلميذات هذه الفرقة وعددهن ١٨ تلميذة لم يمتحن .

---

(١) دفتر ١٨٨٤ (أوامر) ص ١٥٣ أمر لمحافظة الاسكندرية في ١٤ شوال ١٢٧٢

(٢) دفتر ١٨٩١ (أوامر) ص ١٥٧ إلى نظارة الجهادية في ٢١ ذي الحجة ١٢٧٥

(٣) Clot : Compte rendu de l'examen... p. 28-39.

أما نظام الدراسة الذى كان متبعاً فى عهدها الأول وعنى كلوت بك باتباعه فى عهدها الثانى فيلخص فيما يلى :

(١) الاهتمام بتعليم التلميذات اللغة العربية حتى تستطيع التلميذات إتقان القراءة والكتابة .

(٢) تدريس قواعد الحساب الأربع ومبادئ الهندسة والقسموغرافيا .

(٣) فى التعليم النظرى تدرس نفس المواد التى تدرس فى مدرسة الولادة بباريس وتزيد عليها دروس فى التشريح والفيزيولوجيا والجراحة والمادة الطبية والصيدلة ودروس فى أمراض النساء والأطفال .

(٤) للدراسة العملية الخاصة ألحق بالمدرسة مستشفى للنساء ودار للتوليد ومكتب للتطعيم وفيه تجرى التلميذات بأنفسهن عملية التوليد تحت إشراف معلمة طبية وطبيب . فعليهن نفس الواجبات التى يقوم بها طلبة الطب فى قصر العينى .

والدراسة الاعدادية موكولة إلى شيخ عالم والدراسة العلمية إلى طبيب مصرى درس بفرنسا [١] ، وعهد إلى مولدة [٢] بالناحيتين النظرية والعملية من التوليد ولها مساعدة ومعيدات . ولما كان التعليم فى المدرسة يشمل الدراسة الاعدادية والدراسة الخاصة فى نفس الوقت فإنه لم يمكن تحديد مدة الدراسة بأقل من ست سنوات .

وكثير من تلميذات هذه المدرسة كن يمارسن عملهن بنجاح ، وقد ألحق بعضهن

---

(١) هو الدكتور مصطفى السبكى — دفتر ١٨٩١ (اوامر) ص ١٥٩ امر لنظارة الداخلية فى ٢٦ ذى الحجة ١٢٧٥

(٢) هى السيدة جليلة تمرهان من تلميذات المدرسة فى عهدها الأول .

بالخدمات الصحية بالقاهرة والاسكندرية والمدن الهامة . وقد قام بعملية التطعيم ضد الجدرى فى القاهرة نساء مسلمات — من خريجات مدرسة الولادة — فزال الاعتقاد السابق الذى كان مستولياً على أوهام العامة بشأن التحوط من هذا المرض . ويبلغ عدد الأفراد الذين كانوا يلقحون سنويا فى القاهرة فى المتوسط من ٦ إلى ٧ آلاف نسمة .

وقد ترجمت رسائل فى فن التوليد وأمراض النساء وبعض الكتب الخاصة وطبعت ووزعت على التلميذات والطبيبات .

الفصل الثالث

البعوث العلميـــــة

لما تولى سعيد باشا الحكم فى مصر فى شوال ١٢٧٠ (يولية ١٨٥٤) كان يدرس بأوروبا على نفقة الحكومة المصرية ٧٢ طالبا نثبت بيانهم فيما يلى :

مكان الدراسة		اسم العضو	تاريخ سفره	مادة تخصصه	ملاحظات
باريس	١	عبدالعزيز الهراوى	١٨٤٥	صباغة وطبع الأقمشة وتبييضها	درس بمدرسة الصيدلية وامتدح تقرير إدارة البعثة فى سنة ١٨٦١ كفايته وذكر أنه لم يبق أمامه سوى إتمام رسالته وقد عاد بعد ذلك توا .
«	٢	بترو أفندى	١٨٤٥	طب	عاد سنة ١٨٦٠ .
«	٣	أوهان اسطفان	١٨٤٤	لغات	درس بباريس ثم انتقل الى لندن .
«	٤	يوسف اسطفان	١٨٤٤	هندسة	عاد قبل سنة ١٨٥٨
«	٥	سعيد نصر	١٨٤٧	الفنون العسكرية	تخرج فى مدرسة سان سير وعاد إلى مصر فى سنة ١٨٦١ .

مكان الدراسة	اسم العضو	تاريخ سفره	مادة تخصصه	ملاحظات
باريس	٦ محمد شوقى	١٨٤٤	هندسة	عاد قبل سنة ١٨٥٨
»	٧ صادق سليم	١٨٤٥	»	» » » »
»	٨ محمد عارف	١٨٤٥	»	عادسنة١٨٥٥ - ١٨٥٦
»	٩ خورشيد برتو	١٨٤٥	البحرية	— — —
»	١٠ عبد الرحمن الهراوى	١٨٤٧	طب	عاد سنة ١٨٥٥-١٨٥٦
»	١١ محمود يونس	١٨٤٧	»	» » » »
»	١٢ حسن هاشم	١٨٤٧	»	كانت التقارير عنه مرضية دائما وجاء عنه فى تقرير سنة ١٨٦٥ إنه لم يبق عليه سوى مناقشة رسالته وقد عاد بعد ذلك توا .
»	١٣ محمد الشرقاوى	١٨٤٧	»	— — —
»	١٤ شحاته عيسى	١٨٤٤	هندسة	عادسنة١٨٥٥ - ١٨٥٦
»	١٥ حسن نور الدين	١٨٤٤	»	» » » »
»	١٦ محمود أحمد (الفلكى)	١٨٥٠	الفلك	عاد سنة ١٨٥٩
»	١٧ اسماعيل مصطفى (الفلكى)	١٨٥٠	»	عاد سنة ١٨٦٤
»	١٨ حسين ابراهيم	١٨٥٠	»	اشتغل بدراسة العلوم الرياضية وعادسنة١٨٥٦

مكان الدراسة	اسم العضو	تاريخ سفره	مادة تخصصه	ملاحظات
باريس	١٩ بول جور جيانى	—	—	— — — —
«	٢٠ يوسف النبراوى	١٨٥٠	فنون عسكرية	عاد سنة ١٨٦١
«	٢١ مصطفى افندى	—	—	أرسلوا من الآستانة
«	٢٢ محمد سالم	—	—	إلى باريس والحقوا
«	٢٣ توفيق أفندى	—	—	بالمدرسة المصرية بباريس
«	٢٤ مختار افندى	—	—	
«				وهما من مدرسة العمليات
«	٢٥ على البيوى	١٨٥٣	الحدادة	وقد صدر أمر سعيد
	٢٦ يوسف نصار	١٨٥٢	«	باشا فى أول حكمه
				باعادتهما إلى مصر .
منشستر	١ عباس عبد العزيز	١٨٤٧	الميكانيكا	من خريجى مدرسة
«	٢ على الفداوى	«	«	العمليات وعادوا فى
«	٣ عيسى چاهين	«	«	سنة ١٨٥٦ واشتغل
«	٤ جوده عوض	«	«	بعضهم بمصلحة السكة
«	٥ عثمان القاضى	«	«	الحديدية والبعض الآخر
«	٦ سليمان موسى	«	«	فى التلغرافات .
«	٧ سلامة الباز	«	«	
أدنبرة	١ محمد بدر	١٨٥٠	طب	عادوا فى سنين متفرقة من عصر سعيد

مكان الدراسة	اسم العضو	تاريخ سفره	مادة تخصصه	ملاحظات
أدنبرة	٢ مصطفى مصطفى	١٨٥٠	طب	عادوا فى سنين متفرقة من عصر سعيد
»	٣ محمد على الكاتب (أو الخطيب)	»	»	
»	٤ محمد على السبكى	»	»	
»	٥ عبدالرازق درويش	»	كيمياء	بعد عودته إلى مصر ترك مادة تخصصه واشتغل بتعليم اللغة الانجليزية .
بيزة	١ محمد ريان	»	طب	عادوا فى سنة ١٨٥٧ وقد ثارت ضجة حول كفاءتهم العلمية .
»	٢ إبراهيم چاهين	»	»	
»	٣ محمد حميد	»	»	
»	٤ جورجى ديمترى	»	صيدلة	
»	٥ على شوشه	»	»	
مونخ	١ مصطفى النجدى	١٨٤٩	طب	عادوا فى سنوات متفرقة من عصر سعيد .
»	٢ مراد يوسف	»	»	
»	٣ سالم سالم	»	»	
»	٤ حسن الألفى	»	»	
»	٥ إبراهيم مصطفى بوشناق	»	»	

مكان الدراسة	اسم العضو	تاريخ سفره	مادة تخصصه	ملاحظات
موبخ	٦ محمد على رضا	١٨٤٩	طب	عاد فى عصر سعيد
فينا	١ موسى محمد	١٨٥٠	«	
«	٢ محمد حلمى	«	«	
«	٣ محمد سامى	«	«	عادوا فى سنة ١٨٥٥
«	٤ محمود نافع	«	«	
«	٥ حسن عامر	«	«	
«	٦ خليل النبراوى	«	«	ثم انتقل إلى تريستة ليدرس التجارة
«	١ محمد عزمى	١٨٥٢	طب	كانوا من طلبة المفروزة بمصر
«	٢ حسن عارف	«	«	
«	٣ محمد وفائى	«	«	
«	٤ عبد الرحمن شكيب	«	طب	وقد صدر أمر سعيد فى أول ولايته بإعادتهم إلى مصر — ذكرنا هنا اسماعيل كامل وعثمان غالب نقلا عن الأمير عمر طوسون ولكن الوثائق تشير إلى أن سفرهما إلى أوربا كان بأمر من سعيد باشا فى أوائل حكمه .
«	٥ محمد راشد	«	«	
«	٦ اسماعيل كامل	«	فنون عسكرية	
		«		
«	٧ عبد القادر حلمى	«	«	
«	٨ عثمان غالب	«	«	

مكان الدراسة	اسم العضو	تاريخ سفره	مادة تخصصه	ملاحظات
برلين	١ حافظ عفت	١٢٦٨	طب	
»	٢ محمد راسخ	»	فنون عسكرية	
»	٣ محمد نصحي	»	» »	كانوا من طلبة المفروزة بمصر . وقد صدر أمر سعيد في أول ولايته بإعادتهم إلى مصر .
»	٤ خورشيد نصحي	»	» »	
»	٥ مصطفى نائل	»	» »	
»	٦ حامد أمين	»	صيدلة	
»	٧ محمد عاطف	»	»	
»	٨ عبد الله شكري	»	طب	
»	٩ يوسف شهدي	»	»	

وعلى أثر تولي سعيد باشا أمر بإعادة السبعة عشر طالبا من طلبة المفروزة الذين كانوا يدرسون بفينا وبرلين فنونا مختلفة ، والطالبين اللذين كانا يدرسان (الحدادة) بفرنسا وكانا من مدرسة العمليات بالقاهرة . أما الباقون — وعددهم ٥٣ طالبا — فقد أذن لهم سعيد بالإقامة في أوربا حتى أتموا دراساتهم وعادوا في سنوات متفرقة من حكمه ، بل تابع فريق منهم دراسته حتى أتمها وعاد إلى مصر في عهد إسماعيل .

على أن سعيدا لم يهمل الأخذ بنظام البعوث العلمية ، فوالى إرسال الطلاب من مصر — ولا نستطيع أن نقول الطلاب المصريين فكثير منهم من الأجانب — إلى أوربا ، وخاصة إلى فرنسا . فعل هذا منذ تولى الحكم في مصر واستمر على هذه الخطة

حتى انتهى حكمه . على أن سعيدا لم ينظر إلى نظام البعوث العلمية إلى أوربا — كما نظر إليه محمد على وعباس — على أنه يرمى إلى تحقيق أغراض معينة أخصها تكوين نفر من شباب البلاد تكوينا علميا منظما بالاتصال بالغرب فى علومه ومجتمعاته ، إنما نظر إليه على أنه وسيلة يكافىء بها المقربين إليه وذوى الحظوة عنده ومنهم كثير من الأجانب ، يقوم عنهم بتنشئة أبنائهم فى المدارس والجامعات الأوروبية ، فتتكلف الحكومة المصرية فى هذا السبيل نفقات تعليمهم من غير أن تكون ثمة خطة موضوعة ومنهاج محدود وأغراض معينة ترمى إليها . لهذا لم يكن للحكومة فى كثير من الأحيان دخل فى تعيين المواد التى يدرسها الطلبة المبعوثون بل تركت لرغبتهم هم أنفسهم وآبائهم . وقد سافر كثير منهم وكانوا صغار السن فقضوا مدة طويلة بالمدارس التجهيزية فى أوربا ، وقد خدم نفر منهم مصر بعد عودته ، ولكن كثيرين — وخاصة الأجانب — آثروا لأنفسهم الحياة التى تؤهلهم لها ظروفهم الخاصة . ولهذا اختفت أسماؤهم من سجل الحياة القومية المصرية .

وهاك بيانا بالبعوث التى أرسلها سعيد باشا إلى أوربا :

بعثة المدارس الحربية

مما يدل على أن سعيدا لم يكن ينظر إلى نظام البعوث العلمية نظرة جدية أنه فى الوقت الذى أمر فيه باستدعاء أعضاء بعثة المفروزة الذين كان عباس الأول أرسلهم فى سنة ١٢٦٨ إلى فينا وبرلين لدراسة فنون متنوعة (١) أمر بأن يختار من قسم المشاة بالمدارس الحربية

(١) محفظة ٤ (مدارس) رقم ١٦٩ من سعيد إلى ناظر المدارس فى ١٨ المحرم ١٢٧١ .

(المفروزة) اثنا عشر طالبا ليرسلوا إلى أوربا لدراسة تعليمات (الجرخجية) فاختارت المدرسة الطلبة الآتية أسماؤهم [١] :

الاسم	الرتبة	البلد	ملاحظات
١ رشيد كمال أفندى	ملازم أول	چركسى	رغب فى السفر إلى أوربا فانتخب .
٢ محمد لامع	باشجاويش	»	مملوك
٣ اسماعيل كامل	جاويش	»	»
٤ أحمد نيازى	»	»	حر
٥ سليم حلمى	»	»	»
٦ محمد فهيم (ضعيف)	»	»	انتخب برغبته
٧ خورشيد رفيق	نفر	»	مملوك
٨ عثمان غالب (ضعيف)	»	»	وكان الطبيب يرى أنه لا يصلح
٩ محمد صادق	»	»	مملوك
١٠ راشد حسنى	»	»	»
١١ حسن ماهر	»	»	حر
١٢ خورشيد عزمى	»	»	مملوك الذات الخديوية وقد صدر أمرها باندماجه فى طلبة البعثة

(١) محفظة ٤ (معية تركى) رقم ٢٤ من ناظر المدارس الحربية إلى المعية فى ٦ المحرم ١٢٧١ ، لم يذكر سمو الأمير عمر طوسون شيئاً عن بعثة المفروزة هذه سوى =

والحق أننا لا نستطيع أن نقطع بسفر هؤلاء الطلاب إلى أوربا : فالوثيقة التى نقلنا عنها أمر اختيارهم للبعثة لا تنص على اسم البلد الذى سيرحلون إليه ، هذا إلى أنه لم يرد لهم ذكر ما فى الوثائق التالية ، وسمو المغفور له الأمير عمر طوسون لا يذكر شيئاً عن هذه البعثة وأعضائها ، عدا أنه ذكر : اسماعيل كامل (باشا) ، عثمان غالب (باشا) على أنهما من مبعوثى عباس الأول إلى أوربا ، وقد رجحنا أنهما سافرا فى عهد عباس ثم استدعيا إلى مصر مع من استدعى من أعضاء بعثة (المفروزة) ثم عاد سعيد فأرسلهما ثانية لإكمال دراستهما .

وذكر سمو الأمير طوسون (أحمد) راشد حسنى (باشا) على أنه تخرج فى مدرسة المفروزة فى سنة ١٨٥٣ واختير للسفر إلى فرنسا فى سنة ١٨٥٦ والتحق بالجيش وترقى به . واشترك فى حروب كريد والروسيا ، وكان العرابيون يثقون به رغم أنه جركسى [١] .

وانتهى سمو الأمير من بحوثه إلى أن سعيد باشا أرسل فى عهده ٤٨ طالبا للدراسة فى أوربا : ٢٢ إلى فرنسا من أواخر سنة ١٨٥٤ إلى سنة ١٨٦٠ و ١٢ طالبا إلى النمسا فى ابريل سنة ١٨٦٢ و ١٤ طالبا إلى فرنسا فى أكتوبر ١٨٦٢ ، وذكر أسماء هؤلاء الطلاب وترجم لأكثرهم .

= ما ذكره (البعثات ص ٤٦٧ — ٤٧٤) من أن « اسماعيل كامل » و « عثمان غالب » كانا عضوين ببعثة المفروزة التى أرسلها عباس باشا إلى فينا والصواب كما ترى من هذا البيان أنهما أرسلا بأمر من سعيد باشا ، كما أن سموه ذكر (ص ٥٠٤) أن (أحمد) راشد حسنى (باشا) اختير من المفروزة للسفر إلى فرنسا فى أواخر سنة ١٨٥٤ .

(١) الأمير عمر طوسون : البعثات العلمية ... ٥٠٤ — ٥٠٧

وقد أتيح لنا الاطلاع فى محفوظات عابدين والقلعة على عدة وثائق تثبت صحة الأرقام والأسماء التى ذكرها سمو الأمير وتزيد عليها تحقيقات أخرى ، كما أنها تزيد عليها عدة أسماء لأعضاء بعثات أخرى إلى فرنسا أغفلها بحث سموه . وأهم هذه الوثائق هى التقارير التى وضعها (مجلس تعليم) البعثة المصرية بباريس عن طلبة البعثة : سلوكهم وأخلاقهم ، ودرجة ذكائهم وتحصيلهم ونتائج امتحاناتهم . وقد عثرنا فى محفوظات عابدين على أصول بعض هذه التقارير وترجمة عربية لبعضها الآخر فى سنة ١٨٥٨[1] وسنة ١٨٦١[2] وسنة ١٨٦٣ — ١٨٦٤[3] وسنة ١٨٦٦ — ١٨٦٧[4] . ويلاحظ أن بعض الطلبة الذين أرسلوا فى عصر سعيد — بل وفى عصر عباس — كانوا لا يزالون يتلقون العلم بفرنسا حتى ذلك الوقت .

وفى ضوء هذه الوثائق نتقدم لجلاء هذه الناحية : ناحية البعثات العلمية إلى فرنسا — أولا — فى عهد سعيد ونقسمها قسمين :

---

(١) محفظة ٢١ (معية تركى) رقم ٢٧٤ من كنيك الى كاتب الجناب الخديوى فى ٢٥ صفر ٢٧٥

(٢) Rapport sur les élèves de la mission Egyptienne, sur leur Conduite et sur leurs travaux . 1861 .

(٣) Rapport du Conseil d' études à S . E . Chérif pacha Ministre de l' Instruction publique de S . A . le Vice - Roi d' Egypte sur les travaux des élèves de la Mission Egyptienne pendant l' année scolaire 1863 - 4 . Paris 27 Aout 1864 .

(٤) محفظة ٤٣ (معية تركى) رقم ١٢٦ من على مبارك وكيل ديوان المدارس الى مهردار الخديوى فى ٢٢ ذى القعدة ١٢٨٤

القسم الأول : بعثات مختلفة أرسلها سعيد باشا إلى فرنسا من ١٨٥٤ إلى ١٨٦١
القسم الثانى : بعثة طلبة الطب إلى فرنسا فى أكتوبر ١٨٦٢ .

القسم الأول

١ — سوتيريوس ياكيس «Sotirios Yuzis» : أرسل إلى مونيخ فى عهد عباس الأول ، وكان ضعيف الذاكرة فضاق به البارون دوبريل الذى كان يشرف على البعثة المصرية وسعى حتى أعاده إلى مصر ، ثم استطاع ياكيس أن ينال من سعيد باشا أمرا بإعادته لدراسة الطب فى باريس فى يولية ١٨٥٥ . وذكر سمو الأمير عمر طوسون إنه ظل ينفق عليه حتى آخر يولية ١٨٦١ ، على أننا لم نعثر عليه فى تقريرى مجلس تعليم البعثة عن سنتى ١٨٥٨ ، ١٨٦١ مما يجعلنا نرجح أنه عاد إلى مصر قبل سنة ١٨٥٨ .

٢ — يوجين مورى (بك) «Eugene Mori» : أرسل لتلقى العلوم العسكرية بفرنسا فى سنة ١٨٥٥ ، وقد تعلم أولا بإحدى المدارس التجهيزية بباريس ثم التحق بمدرسة سان سير الحربية ولما تخرج فيها ألحق بمعية أحد (الجنرالات) بالجيش الفرنسى ، ثم عاد إلى مصر فى أكتوبر ١٨٦١ وعين برياسة أركان حرب الجيش وترقى به واشترك فى حرب الروسيا ، وكانت له مباحث فى جريدة أركان الحرب التى كانت تصدرها حكومة اسماعيل ، كما أنه عمل — وقتا ما — مدرسا ووكيلا لمدرسة المهندسخانة .

٣ ، ٤ — مرجوزوف الكبير ومرجوزوف الصغير «Margozoff» : ابنا أخت نوبار باشا . سافرا إلى فرنسا فى سنة ١٨٥٥ الأول ليتعلم الطب والثانى لتعلم الهندسة بمدرسة (السنترال) . وقد عادا فى سنة ١٨٦١ وعين الثانى بالأشغال العمومية [1] .

(١) ويظهر أنه كان لهما أخ أصغر أرسله الخديو اسماعيل إلى باريس : ففى تقرير مجلس تعليم البعثة فى سنة ١٨٦٧ ورد ذكر « جان مرجوزوف » وكان وقتئذ يتعلم بأحد مكاتب باريس .

٥ — تيتو فيجارى «Tito Figari» : هكذا ذكره الأمير عمر طوسون وقال عنه إنه نجل الدكتور أنطوان بك فيجارى أستاذ التاريخ الطبيعى بمدرسة الطب منذ إنشائها فى عهد محمد على وإن سعيد باشا أرسله إلى فرنسا ليتعلم الإدارة الملكية ، وبعد عودته اشتغل محاميا بالمحاكم المختلطة . أما تقرير مجلس البعثة فى سنة ١٨٦١ — وهو الوثيقة الوحيدة التى تضمنت اسم « فيجارى » — فتذكر « هنرى فيجارى » وتصفه بأنه غلام على شىء من الذكاء ولكنه لا يرضخ لنظام .

٦ — سوماريبا «Sumarippa» : ذكر سمو الأمير عمر طوسون أنه أرسل إلى فرنسا فى سنة ١٨٥٥ لدراسة الطب ، وعاد إلى مصر فى نوفمبر ١٨٦١ ، وقد زاول مهنته فى مصر زمنا ، ثم كان وكيلا لدائرة حرم سعيد باشا . ولكن الواقع أن أمر سعيد باشا صدر إلى ديوان المالية بإرسال سوماريبا مع نجل فيجارى بك وأمين افندى نجل مظهر بك إلى أوربا [1] للتحصيل على نفقة الحكومة فى شهر ذى الحجة ١٢٧٥ (يوليه ١٨٥٩) أى بعد التاريخ الذى ذكره سمو الأمير بأربع سنوات . ويؤكد هذا أن تقرير مجلس البعثة فى سنة ١٨٥٨ لا يذكره . وفى سنة ١٨٦١ كان سوماريبا لا يزال تقدمه بطيئاً فرأى المجلس أنه يحسن العدول به عن إعداده لمدرسة السنترال والاكتفاء له بإحدى المدارس الصناعية ، فهو إذن لم يعد إلى مصر فى سنة ١٨٦١ طبيبا يزاول فيها مهنته .

٧ — أندريه ديسبان «André Dispand» : ذكر الأمير طوسون أنه سافر إلى فرنسا فى سنة ١٨٥٥ وعاد منها فى سنة ١٨٦١ . ولكن إحدى الوثائق تذكر أنه سافر

---

(١) دفتر ١٨٩١ (أوامر) ص ١٦٥ رقم ٧٥ أمر الى المالية فى ١٦ ذى الحجة ١٢٧٥ .

فى سنة ١٨٦٠[1] ، ويؤكد هذا ماجاء عنه فى تقرير مجلس البعثة فى سنة ١٨٦١ ، ولم يكن هذا الطالب — من حيث سلوكه أو عمله — مرضيا عنه ، وكان يعد للالتحاق بإحدى المدارس الصناعية .

٨ — بطرس هرمانوڤتش «Pierre Hermanovich» : أرسل إلى فرنسا فى سنة ١٨٦١ وكان له من العمر وقتئذ خمسة عشر عاما ، وكان ذكيا يميل إلى الرياضيات والتحق بمدرسة الطب فى سنة ١٨٦٦ ، ولم يعرف تاريخ عودته إلى مصر .

٩ — شارل كني «Charles Cuny» : وقد ذكر فى بعض الأوراق باسم « شارل أوفى » أو « ولد الطبيب شيفى » . كان أبوه — على ما يذكر الأمير طوسون — رئيسا لمصلحة الصحة بالاسكندرية ، وقد أحسن سعيد باشا بمبلغ من المال للانفاق على تعليمه فى أوربا مدة ثلاث سنوات[2] . سافر إلى باريس فى سنة ١٨٦١ وكان وقتئذ فى الثالثة عشرة من عمره ، ثم التحق بمدرسة (السنترال) ليدرس الهندسة المدنية ، وعاد إلى مصر فى سنة ١٨٦٦ متمما دروسه .

١٠ ، ١١ ، ١٢ — إخوان يوبا : رجح سمو الأمير عمر أنهم ثلاثة إخوة أرسلوا إلى فرنسا لتعلم الهندسة الميكانيكية ، ولم نعثر لهم على ذكر فى أية وثيقة ، عدا ما جاء فى بعض وثائق عصر اسماعيل من إرسال الأخوين يوسف وسلفاتور جوبا «Joppa» إلى بعض

---

(١) دفتر ١٨٩٤ (أوامر) ص ٩٥ رقم ٣٩ أمر الى قلم ششبارسات فى ٤ رمضان ١٢٧٧

(٢) دفتر ١٨٩٩ (أوامر) ج ٢ ص ٧٨ رقم ٢٥٩ أمر الى المالية فى ٢٦ شعبان ١٢٧٨

مصانع السكر فى فرنسا فى يولية ١٨٧٠ [١] .

١٣ — يوسف مانوغ : كان من الطلبة الممتازين جدا ، وقد تخرج مهندسا مدنيا فى مدرسة (السنترال) وزار مصانع كثيرة ، ثم سافر إلى انجلترا لزيارة مصانعها وللتمكن من اللغة الإنجليزية ، وقيل عنه فى تقرير مجلس البعثة فى سنة ١٨٥٨ إنه سيعود إلى مصر قبل خريف ذلك العام [٢] .

١٤ — تيوبالد : لم يرد عنه فى الوثائق سوى أمر من سعيد باشا بإرساله إلى باريس « ضمن البعثة » [٣] ، ولعله يقصد البعثة المسافرة فى باريس فى أكتوبر ١٨٦٢ .

١٥ ، ١٦ — سليم جبور وأخوه نجيب : ولدا أخت حنا افندى المباردى (؟) صدر أمر سعيد باشا فى سنة ١٨٦٢ بالحاقهما « ضمن التلامذة المتوجهين إلى باريس

---

(١) وكان المرجو أن يسافرا بعد ذلك الى أمريكا : دفتر ١ (معية) ص ٦٧ رقم ٢٠ الى الدائرة السنية فى ٧ صفر ١٢٩٢ ، Coil au Khédive, 26 Aout 1870 (Abdine)

(٢) ترجح أن « يوسف مانوغ » هذا هو « يوسف لطيف » ابن أخ أو ابن أخت أسطفان بك ، وقد عين بعد عودته من أوربا مهندسا بمعيـة مسيو موجل وكان وقتئذ مهندسا لسكة حديد السويس . وقد شكا « يوسف » من أنه منذ عودته لا يمارس من الاعمال سوى رسم المحطات والأبنية ، مع أنه حائز لدبلوم مهندس ميكانيكى ، والتمس استخدامه فى مصانع الحكومة وتكليفه بأن يضع كتبا فى فنه أو يعلم تلاميذ ليخرج منهم الوقادين والسائقين الخ — محفظة ٢٤ (معية تركى) رقم ١٢٢ من كتبك مأمور التحريرات الافرنكية الخديوية الى كاتب الجناب الخديوى فى ٨ صفر ١٢٧٦

(٣) دفتر ١٩٠١ (أوامر) ص ٦٦ رقم ٢٦ أمر الى قلم شبارسات فى ١١ جمادى الآخرة ١٢٧٩

لاكتسابهم العلوم »[1]. وكان سليم وقتئذ — كما جاء فى تقارير مجلس البعثة — فى الخامسة عشرة من عمره، وكان لا يعرف الفرنسية. وقد أظهر إقبالا على الدرس ثم تخصص فى دراسة العلوم الإدارية وألحق بقلم الحسابات بوزارة المالية الفرنسية وشهد له رؤساؤه شهادة حسنة، ثم عاد إلى مصر فى أواخر سنة ١٨٦٩. ولم يقبله ديوان المدارس لأنه « ليس له لزوم به »، فأرسل إلى ديوان المالية حيث يستطيع أن يبرز كفايته[2].

أما نجيب فكان يصغر أخاه بنحو عامين، فألحق أولا بإحدى المدارس الابتدائية وفى سنة ١٨٦٧ كان لا يزال يتلقى التعليم التجهيزى. ولسنا نعلم مصيره.

ثورون « Thoron » : أرسل سعيد باشا أربعة من أسرة ثورون(؟) ليتعلموا على نفقته فى باريس : أمر أولا بإرسال اثنين منهما (جول وبول) فى يولية ١٨٥٩[3] ثم لحقهما الأخوان أرنست وهنرى. وتظهر أسماء الإخوة الأربعة لأول مرة فى تقرير مجلس البعثة فى سنة ١٨٦١ :

١٧ — جول ثورون « Jules Thoron » : التحق بمدرسة التجارة بباريس وكان نشطا حسن الخلق، وقد انفصل عن البعثة فى أواخر حكم سعيد أو أوائل حكم اسماعيل،

---

(١) دفتر ١٩٠١ (أوامر) ص ١٠ رقم ٣ أمر الى مأمور تحريرات الفرنكية فى ١٦ ربيع الثانى ١٢٧٩

(٢) دفتر ٤٣٦ (مدارس عربى) ص ١١٥ رقم ١١٠ الى المالية فى ٢٣ شوال ١٢٨٦

(٣) دفتر ١٨٩١ (أوامر) ص ١٧٢ رقم ١٩ امر الى مأمور التحريرات الافرنكية فى ٢٦ ذى الحجة ١٢٧٥

لأن اسمه لا يظهر فى تقرير مجلس البعثة لسنة ١٨٦٤ .

١٨ — پول ثورون : سافر إلى باريس فى الثالثة عشرة من عمره ، أظهر ميلا للحساب والرسم . ولكنه لم يستطع تحقيق رغبته فى دخول مدرسة (السنترال) ، وفى نوفمبر ١٨٦٥ عاد به أبوه إلى مصر [١] .

١٩ — إرنست ثورون : كان طفلا حينما سافر إلى فرنسا ، وقد لاحظ مجلس البعثة (فى سنة ١٨٦١) أنه قليل الحظ من الذكاء ، وقد التحق بعد ذلك بمدرسة التجارة بباريس .

٢٠ — هنرى ثورون : وكان — على طفولته — يفوق أخاه إرنست ذكاء وإقبالا على الدرس ، ولكن همته ما لبثت أن فترت . وقد أتم دراسة التجارة ، وانفصل مع أخيه إرنست عن البعثة فى سنة ١٨٦٦ .

٢١ — پاولو كلوتشى : « Colucci » وهو ابن أخ الدكتور كلوتشى (بك ثم باشا) وكان أبوه يعمل أيضاً فى الإدارة الصحية بالاسكندرية . وقد أجاب سعيد باشا التماس أبيه إلحاقه بالبعثة فى سنة ١٨٦١ [٢] . وقد التحق بإحدى كليات (مدارس تجهيزية) باريس ونال منها عدة جوائز ، وأتم دراسته بها فى أبريل ١٨٦٧ ، ثم اجتاز امتحاناً فى السربون للتحضير لدرجة (Bachelier ès - Lettres) والتحق بكلية الحقوق [٣] .

---

(١) Lemercier à Cherif Pacha, 8 Nov. 1865 (Abdine) .

(٢) دفتر ١٨٩٤ (أوامر) ص ٩٥ رقم ٣٨ أمر إلى قلم شبارسات فى ٤ رمضان ١٢٧٧

(٣) ولپاولو كلوتشى هذا أخوان : ماريوس وجوستاف ألحقهما الخديو اسماعيل بالبعثة المصرية بباريس ثم أوفدهما فى بعثة الحقوق والادارة بتورينو فى سنة ١٨٧٠ .

٢٢ — بوغوص نوباريان : ولد نوبار (بك) . وافق سعيد على سفره مع كلوتشي في سنة ١٨٦١ ، وكان لايزال طفلا فألحق بإحدى المدارس الأولية بباريس ، ثم مرض فوضع في مصح ، وأخيراً فصل من البعثة في تاريخ سابق لسنة ١٨٦٦ .

٢٣ — جوزيف روسي « Joseph Rossi » : سافر إلى باريس في سنة ١٨٦١ وكان له من العمر وقتئذ عشر سنوات ، وكان يراد إعداده لدراسة الطب . وقد أجاد اللغة الانجليزية وكان يتكلم الألمانية والايطالية . ويظهر أنه لم يتم دراسته بالبعثة لأن اسمه لا يظهر في تقرير مجلس البعثة في سنة ١٨٦٧ . ولا يعلم مصيره .

٢٤ — لانجلوا : نجل مسيو لانجلوا المدرس بمدرسة المهندسخانة منذ سنة ١٨٤٨ . التحق بالبعثة في سنة ١٨٦١ وكان لايزال طفلا ويراد إعداده لمدرسة صناعية ، وحتى سنة ١٨٦٧ كان لايزال يتلقى التعليم الثانوي ولايعلم مصيره .

٢٥ — جول بوتي « Jules Bouteille » : يظهر أنه أرسل إلى باريس في سنة ١٨٦١ وكان يراد إعداده لدراسة الطب ولا يعلم مصيره .

٢٦ — ماروكي « Maruchi » : وكان حين سفره إلى باريس في ١٨٦١ لا يكاد يبلغ الحادية عشرة فألحق بإحدى المدارس الابتدائية . وإلى سنة ١٨٦٧ كان لا يزال في مرحلة التعليم الثانوي . ولا يعلم مصيره .

٢٧ — لويس جابت « Louis Gabet » : لا يعلم تاريخ التحاقه بالبعثة . وكل ما عرف عنه أنه كان في سنة ١٨٦٣ تلميذا مجداً بإحدى كليات (مدارس ثانوية) فرنسا ، وفي سنة ١٨٦٧ كان لايزال في مرحلة التعليم الثانوي .

٢٨ — أحمد شكرى (باشا) [١] : تعلم فى مدرسة القلعة ، ثم سافر إلى فرنسا فى عهد سعيد باشا . وقد التحق أولا بمدرسة تجهيزية باريس وقيل عنه فى تقرير مجلس البعثة فى سنة ١٨٥٨ « إنه حائز لمحبة جميع الناس ومودتهم » . وفى العام التالى ألحق بوزارة المالية الفرنسية حيث أظهر خلقاً طيباً وإقبالا على العمل . ويذكر سمو الأمير عمر طوسون أن (أحمد شكرى) عاد إلى مصر فى نوفمبر ١٨٦١ ، ومن الوظائف التى تقلدها مدير إدارة السودان وملحقاته أيام الثورة المهدية ، وقد تنقل فى عدة وظائف إدارية عالية .

٢٩ — إبراهيم توفيق (باشا) الشهير بالترجمان لأن والده محمد بك كان ترجمانا لسعيد باشا : ألحق أولا بمدرسة تجهيزية بباريس وقيل عنه فى سنة ١٨٥٨ « إنه تلميذ طيب تظهر عليه مخايل الذكاء إلا أنه كسول فى بعض الأوقات » ثم ألحق بوزارة المالية الفرنسية . ولم يكن عمله وسلوكه محل رضاء من مجلس البعثة فى سنة ١٨٦١ . ويذكر سمو الأمير عمر طوسون إن إبراهيم توفيق عاد إلى مصر فى أول نوفمبر ١٨٦١ والتحق بالجيش ، وقد ناوأ العرابيين ثم خاصم الانجليز فأحيل إلى المعاش [٢] .

٣٠ — إبراهيم رأفت (بك) : نجل إبراهيم بك رأفت وكيل ديوان المدارس . ذكر سمو الأمير عمر طوسون أن أباه مات فى حادثة غرق الأمير أحمد باشا فى النيل

---

(١) وهو نجل محمد سعيد أحمد بك ووالد دولة اسماعيل صدقى باشا .

(٢) وفى إحدى الوثائق أنه لما عاد إلى مصر فى سنة ١٨٦٢ بعد أن أتم تحصيل فن الحسابات بأوربا ألحق بالدائرة السنية ومنح رتبة اليوز باشى : أمين سامى باشا : تقويم النيل وعصر عباس وسعيد م ١ ج ٣ ص ٣٩٥ أمر إلى عرفان بك ناظر الدائرة السنية فى ٢٣ شعبان ١٢٧٨

عند كفر الزيات فى ١٤ مايو ١٨٥٨ ، فعطف سعيد باشا على أسرته وأرسل ولديه إبراهيم وعثمان إلى فرنسا لدراسة الفنون العسكرية ، وكان إبراهيم يتعلم بفرنسا على نفقة والده قبــل حادثة الغرق بسنتين ، فاستدعاه سعيد ثم أعاده مع أخيه لإكمال الدراسة على نفقته . وقد ألحق إبراهيم أولا بمدرسة ثانوية حيث أظهر استعداداً للعلوم الرياضية ثم التحق بمدرسة سان سير العسكرية وتخرج ضابطا لأركان الحرب . وقد امتدح تقرير مجلس البعثة فى سنة ١٨٦١ نشاطه وجده وحسن سلوكه . وقد عاد إلى مصر فى آخر ديسمبر سنة ١٨٦١ فالتحق بالجيش وترقى به .

٣١ — عثمان رأفت (باشا) : يذكر سمو الأمير عمر طوسون أنه لم يعثر على اسمه فى الوثائق التى اطلع عليها ، ولكنه يميل إلى تصديق أهله فى أنه سافر — مع أخيه إبراهيم رأفت — وكان فى الثالثة عشرة من عمره ، فتعلم إلى أن تأهل للدخول فى مدرسة سان سير العسكرية وتعلم فيها كأخيه هندسة أركان الحرب ، وأقام بفرنسا سبع سنوات ، وقد عمل فى مصر فى ياوران الخديو . ولكنا عثرنا على اسمه لأول مرة فى تقرير مجلس البعثة فى سنة ١٨٦١ ، مما يجعلنا نرجح أنه سافر إلى فرنسا فيما بين سنتى ١٨٥٨ و ١٨٦١ . وقد جاء عنه فى هذا التقرير أنه معتل الصحة ضعيف التحصيل . وعدم ذكر اسمه فى التقارير التالية يدل على أنه انفصل عن البعثة بعد سنة ١٨٦١ بقليل ، وفى سنة ١٨٦٣ عين (رئيس فرقة) بمدرسة المبتديان بالقاهرة أول افتتاحها فى حكم اسماعيل .

٣٢ — محمد راتب (باشا) : ذكر سمو الأمير عمر طوسون أن أصله من مماليك سعيد باشا . تعلم فى المدرسة الحربية المفروزة ثم سافر إلى فرنسا لاتقان العلوم العسكرية . ويرجح سمو الأمير أنه سافر فى أواخر سنة ١٨٥٤ مع زميله راشد حسنى ، ولكنا لا نجد اسمه فى قائمة بعثة المفروزة التى أرسلها سعيد باشا وأثبتناها قبلا ، إلا

أن بعض الوثائق تشير إلى اسمه فى أواخر سنة ١٨٥٥ [١] . ونرجح أنه لم يمكث مدة طويلة بفرنسا ، بل عاد قبل سنة ١٨٥٨ لأن تقرير مجلس البعثة فى تلك السنة لا يذكر شيئاً عنه . وذكر سمو الأمير أن محمد راتب هرب مرة إلى الآستانة وانخرط فى سلك الجيش العثمانى ، وبعد وفاة سعيد باشا عاد إلى مصر وخدم فى الحكومة المصرية وترقى بسرعة حتى أصبح سردارا للجيش المصرى فى سنة ١٨٦٧ ، وكان قائدا عاما للجيش فى حرب الحبشة ثم وزيرا للحربية فى أول وزارة لنوبار باشا فى سنة ١٨٧٨ .

٣٣ — واصف عزمى (باشا) : ذكر سمو الأمير عمر طوسون أنه سافر إلى فرنسا فى سنة ١٨٦٠ ورجح أنه درس الإدارة الملكية (الحقوق) ، ولكن ذكر اسمه فى تقرير مجلس البعثة فى سنة ١٨٥٨ يدحض ما ذهب إليه الأمير . وكان وقتئذ يتلقى العلم بإحدى المدارس الثانوية بباريس وقيل عنه « إنه طيب نوعا إلا أنه كسول فى بعض الأوقات » ثم أذن له فى سنة ١٨٦١ بالالتحاق بوزارة المالية الفرنسية للمران على العمل . وقد عين واصف عزمى باشا رئيس شرف للمحاكم المختلطة بالقاهرة فى سنة ١٨٨٣ وتوفى فى سنة ١٨٩٨ بالاسكندرية .

٣٤ — أحمد حمدى (بك) : هو النجل الثانى للدكتور محمد على البقلى باشا . رحل حمدى إلى باريس فى ١٥ يونية ١٨٦١ وهو حديث السن فألحق بمدرسة أولية « Institution Dupuy » حيث أظهر ذكاء وسلوكا طيبا ، ثم التحق بمدرسة الطب . وفى سنة ١٨٦٧ كان أحمد حمدى يعمل لنيل درجة الدكتوراه . ويلوح أن بعثته

---

(١) دفتر ١٨٨٤ (أوامر) ص ٥٥ رقم ١٩٥ أمر كريم إلى الخزينة فى ٢٢ جمادى الآخرة ١٢٧٢

قطعت فى تلك السنة فرجع إلى مصر ثم عاد ثانية إلى فرنسا مع أخيه حامد . وبعد عودته إلى مصر فى سنة ١٨٦٩ عين مساعدا بقسم الجراحة بمستشفى قصر العينى ثم أصبح أستاذ الجراحة وكبيرا لأطبائها بالمستشفى .

٣٥ — حافظ حسانين : نجل حسانين بك على ناظر دارسك النقود (الضربخانة) وأستاذ الكيمياء بمدرسة الطب وشقيق الدكتور محمد على البقلى . ذكر سمو الأمير عمر طوسون أنه تعلم فى مصر بمدرسة الفرير وسافر إلى فرنسا وله من العمر ثلاث عشرة سنة . ونضيف إلى ذلك أنه لما توفى والده عطف عليه سعيد باشا وأمر بإرساله إلى باريس فى يونية ١٨٦١ ليتعلم العلوم التى كان والده مختصاً فيها ، ولما كان حديث السن فقد بدأ يتلقى الدراسة الأولية بباريس ، ولكنه لم يلبث أن أعيد إلى مصر فى سنة ١٨٦٤ ، لأنه كان دائما يضع يده فى جيبه حياء لفقد بعض أصابعه ، كما قال عمه (الدكتور محمد على البقلى)[1] أو (لقبح سلوكه وعناده وعدم تعلمه أى علم) كما قال مجلس البعثة فى سنة ١٨٦٧ . وألحق حافظ بمدرسة الطب بالقاهرة وبقى بها ثلاث سنوات ، ثم عاد إلى باريس فى بعثة لدراسة التاريخ الطبيعى فى مارس ١٨٦٧ ثم عاد إلى مصر مع من عاد إليها من الطلبة المصريين بباريس على أثر حوادث سنة ١٨٧٠ فى فرنسا ، ثم رجع إلى فرنسا وبقى بها حتى أكمل دراسته فى سنة ١٨٧٦ بكلية العلوم بباريس . وعين بعد عودته إلى مصر مدرساً للتاريخ الطبيعى بمدرسة الطب ، ثم ببعض المدارس التجهيزية بالقاهرة .

---

(١) دفتر ٤٥٧ (مدارس عربى) ص ٩٩ رقم ٢٢ إلى المجلس الخصوصى فى ٢٢ ذى القعدة ١٢٨٩

٣٦ — على محمد البقلى : نجل الدكتور محمد على البقلى باشا الجراح الشهير ، كان يعمل فى دار سك النقود بالقاهرة ، وقد رشحه رئيس مجلس الصحة للسفر إلى مونيخ مع البعثة التى سافرت إليها فى مارس ١٨٦٠٢ ، فأمر سعيد باشا بإرساله إلى باريس للتخصص فى الكيمياء والصيدلة ، فتأخر حتى سافر إليها مع بعثة الطب فى اكتوبر ١٨٦٢ . وقد امتدح مجلس البعثة حسن سلوكه وجده وذكاءه ، وقد تردد على دار سك النقود فى باريس ، ثم عاد إلى مصر مع الطلبة المصريين على أثر حوادث سنة ١٨٧٠ فى فرنسا .

ولما صدر الأمر بإعادة بعض هؤلاء الطلبة لإكمال دراستهم فى مونبليه كان منهم الطالب على محمد البقلى ، وأتم بها دراسة الكيمياء والصيدلية ونال شهادتها . ثم عاد ديوان المدارس فى أواخر سنة ١٨٧٢ يطلب الاذن له بالسفر إلى باريس لإتمام فن « الجاشنى » أى الصيدلة [١] فوافق الخديو اسماعيل [٢] . وقضى على محمد فى هذه البعثة الأخيرة نحو عام ونصف عام ، وعاد « حافظ العلوم الكيماوية والطبية المتعلقة بفن الأجزجية » . [٣]

---

(١) دفتر ٤٥٧ (مدارس عربى) ص ١٩ رقم ١١ إلى المعية السنية فى ١٣ شوال ١٢٨٩

(٢) محفظة ٤ (مدارس) رقم ٢٠٨ ، دفتر ١٩٤٣ (أوامر) ص ٣١ رقم ٤ ، دفتر سنة ١٥٨٩ (إرادات للمدارس) ص ٤ رقم ٤ أمر الى ديوان المدارس فى ١٨ شوال ١٢٨٩

(٣) دفتر ٤٧٦ (مدارس عربى) ص ١٦٩ رقم ٤٢ من محافظة مصر فى ١٦ جمادى الأولى ١٢٩١

وعين مدرسا لمادة التحليل الكيماوى بمدرسة الطب[١] .

٣٢ — حامد محمد على البقلى : نجل آخر للدكتور محمد على البقلى باشا . أرسل إلى باريس لدراسة القانون فى أواخر سنة ١٨٦٢[٢] أى فى عهد سعيد لا فى عهد اسماعيل كما ذكر الأمير عمر طوسون . بل إن اسماعيل عقب توليه أصدر أمراً بشطب اسم حامد من سجلات البعثة المصرية على أن يكون تعليمه ومقامه فى باريس على نفقة أبيه ابتداء من شهر يولية ١٨٦٣[٣] ، وهذا هو السبب فى اختفاء اسم (حامد محمد على البقلى) من تقارير مجلس البعثة بين سنتى ١٨٦٣ و ١٨٦٧ . ثم أدرج مرة ثانية بالبعثة ، على أن تخصم نفقاته من مرتب أبيه بالقاهرة[٤]. وظل الدكتور البقلى ينفق على ابنه حامد حتى أتم هذا دراسته فى سنة ١٨٧٤ وقدم رسالة فى علم الحقوق والإدارة ومرن على العمل بمحاكم باريس[٥] ، ثم عين بعد عودته إلى مصر وكيلا للنائب العمومى بالمحاكم المختلطة[٦].

---

(١) دفتر ٤٧١ (مدارس عربى) ص ٣٥ رقم ٧٨ إلى اسبتاليات مصر فى ٨ جمادى الثانية ١٢٩١

(٢) دفتر ١٩٠١ (أوامر) ص ١٠ رقم ١ الى مأمور تحريرات أفرنكية فى ٩ ربيع الثانى ١٢٧٩

(٣) دفتر ٥٢١ (معية تركى) ج ٢ ص ٣٦ رقم ١٤٨ الى رشيد باشا ناظر المالية فى ١٤ المحرم ١٢٥٠

(٤) دفتر ٤٤٧ (مدارس عربى) ص ١٢٣ رقم ٥ إلى قلم شبارسات المالية فى ٢١ رمضان ١٢٨٨

(٥) دفتر ٤٧٦ (مدارس عربى) ص ١٠٩ رقم ٩٧ من المدرسة الطبية فى ١٩ ربيع الثانى ١٢٩١

(٦) دفتر ٤٨٠ (مدارس عربى) ص ٣٨ رقم ١٠٢ إلى كتاب الحسابات فى ٢١ ذى القعدة ١٢٩١

ويبدو أن الاضطراب الذى نلحظه فى بعثات الإخوة أحمد وعلى وحامد كان صدى لاضطراب الحياة الوظيفية لأبيهم الدكتور محمد على البقلى (باشا) .

٣٨ — محمود شاكر : نجل محمد شيمى بك وكيل « المرورية » : صدر الأمر من سعيد باشا بسفره مع حامد البقلى فى سنة ١٨٦٢، وكان وقتئذ طفلا فى السابعة من عمره فوضع فى إحدى المدارس الأولية وبدأ يتعلم الفرنسية ، وقيل عنه إنه ذكى وهادئ وفى سنة ١٨٦٧ كان لا يزال يتلقى العلوم الابتدائية . ولا يعلم مصيره .

٣٩ — إبراهيم فخرى بك : نجل محمود باشا (؟) سافر إلى باريس — مع الطالبين الآتيين — فى يولية ١٨٥٦ [1] وألحق بمدرسة تجهيزية ، وذكر لأول مرة فى تقرير مجلس البعثة فى سنة ١٨٥٨ وقيل عنه وقتئذ « إنه ضعيف جدا فى تحصيله ... لأن طبعه فى الأصل مضاد لكل تعليم وتربية » . ونرجح أنه لم يمكث طويلا بالبعثة لأننا لا نجد اسمه فى التقارير التالية لمجلس البعثة .

٤٠ — إسماعيل بك : نجل أدهم باشا . كان يتعلم بمدرسة تجهيزية فى باريس وذكر لأول مرة فى تقرير مجلس البعثة فى سنة ١٨٥٨ وقيل فيه « إنه ذو أفكار صحيحة وذهن حاد ويتحدث اللغة الفرنسية بكل سهولة » ، ثم التحق بمدرسة سان سير العسكرية حيث أدى امتحاناته الأولى بنجاح ، واشترك فى المناورات العسكرية الفرنسية فى سنة ١٨٦٤ وذكر تقرير مجلس البعثة فى تلك السنة أنه سيتم دراسته فى أواخر هذه السنة فى مدرسة أركان الحرب .

---

(١) دفتر ١٨٨٥ (أوامر) ص ٦٣ رقم ٢٦٧ أمر الى ناظر قلم شيارسات فى ٢٤ ذى الحجة ١٢٧٢

٤١ — جلال بك : كان يتعلم فى إحدى المدارس التجهيزية بباريس ، وفى تقرير البعثة لسنة ١٨٥٨ — الذى ذكر فيه اسمه لأول مرة — جاء عنه أنه « يظهر عليه الذكاء إلا أنه مهمل » ، ونرجح أنه لم يمكث طويلا بالبعثة لأننا لا نجد اسمه فى التقارير التالية لمجلس البعثة .

٤٢ — حسن رضا : لايعلم تاريخ سفره ، وكل ما عرف عنه أنه كان فى سنة ١٨٥٨ — كما جاء فى تقرير البعثة وقتئذ — فى إحدى المدارس الثانوية بباريس ، وقيل عنه « إنه يفكر ببطء ولكنه متين جدا » ثم التحق بمدرسة (السنترال) وأدى امتحاناتها بنجاح .

٤٣ — أمين أفندى : نجل مظهر (بك) المهندس الكبير . صدر أمر سعيد باشا بسفره إلى باريس فى يولية ١٨٥٨ [١] وكان فى سنة ١٨٦١ يستعد لدخول مدرسة (السنترال) ولكنه لم يستطع لضعف تحصيله ، وفى سنة ١٨٦٧ أرسل إلى انجلترا ليتعلم اللغة الانجليزية .

هذه أسماء ٤٣ طالبا [٢] (عدا الاثنى عشر طالبا من بعثة المفروزة التى أمر سعيد باشا

---

(١) دفــتر ١٨٩١ (أوامر) ص ١٦٥ رقم ٧٥ أمر الى المالية فى ١٦ ذى الحجة ١٢٧٥

(٢) وعندنا أسماء طلبة آخرين ولكننا لانستطيع الجزم بأنهم كانوا من مبعوثى سعيد باشا الى فرنسا : فنهم « مصطفى زهدى أفندى » (دفتر ١٨٨٧ — أوامر — رقم ٣ أمر الى الخزينة المصرية فى ٧ صفر ١٢٧٣ بشأن ســداد دين مستحق عليه مدة اقامته فى باريس) . و « روبير » (دفتر ١٨٨٩ — أوامر — ص ٧٩ رقم ٣١ أمر الى ديوان المالية فى ١٩ ربيع الثانى ١٢٧٤ بشأن تسليمه لوالده بالإسكندرية لخروجه عن طاعته) و « اسماعيل جودت أفندى » (دفتر ٥٣٣ — معية تركى — ص ٣٢٠ رقم ٧٢ الى مأمور =

بسفرها إلى أوربا ولم تجزم بسفرها) أرسلهم سعيد باشا فى بعثات مختلفة وفى تواريخ مختلفة من حكمه للدراسة فى فرنسا لم يذكر منهم سمو الأمير عمر طوسون سوى ٢٢ طالبا ، وقد عثرنا على أسماء الطلبة الباقين فى وثائق متفرقة وفى تقارير (مجلس تعليم) البعثة المصرية بباريس من سنة ١٨٥٨ .

القسم الثانى : بعثة الطب الى فرنسا

وفى اكتوبر سنة ١٨٦٢ أرسل سعيد باشا بعثة مؤلفة من أربعة عشر طالبا من طلاب الطب لإكمال دراستهم بباريس وقد ذكرهم سمـــو الأمير عمر طوسون وترجم لهم .

وقيل — فى الدافع إلى إرسال هذه البعثة — إن سعيد باشا لما كان يزور أوربا فى سنة ١٨٦١ وبصحبته الدكتور محمد على البقلى باشا شاهد تقدم فن الجراحة فى باريس ، فعزم على أن يبعث إلى باريس بفريق من نابغى طلبة مدرسة الطب المصرية ليتقنوا هـذا الفن ويعودوا إلى مصر فى وقت وجيز « التماسا لقلة النفقات ولإمكان الانتفاع بهم قريبا فى جهة أخرى »[1] . وكان غرض حكومة سعيد « أن تكون رجالا أكفاء للسير بالبلاد فى طريق التقدم والاستغناء عن استدعاء الأطباء الأجانب ، وأخيرا لتقدم

= ضبطية مصر فى ٢١ شعبان ١٢٨٠ بشأن استخدامه بعد عودته من أوربا فى الضبطية) ، وقد ذكر لنا نجله الأستاذ صالح بك جودت أن سعيد باشا أرسل أباه إلى باريس ليتعلم الحقوق على نفقة سموه الخاصة .

(١) جورجى زيدان : مشاهير الشرق ج ٢ ص ٢١٨

للحكومات الأوروبية ضمانات جدية لسير الحالة الصحية فى البلاد »[1].

وحرصا على أن يتم طلبة البعثة دراستهم فى وقت وجيز اختيروا من خريجى مدرسة الطب، وكان فريق منهم يعمل طبيبا فى خدمة الحكومة، وكان الأمل أن ينالوا درجة الدكتوراه من باريس بعد عامين. ولكن ما لبث أن عاد إلى مصر منهم تسعة طلاب بصحبة مسيو « ماتيه » ملاحظ البعثة المصرية بفرنسا قبل أن يتموا سنة بباريس، وقيل أن عودتهم كانت بأمر من الخديو اسماعيل بناء على اقتراح شافعى بك ناظر مدرسة الطب فى ذلك الوقت لحاجة البلاد إلى أطباء[2].

وقد نقل سمو الأمير عمر طوسون [3] أسماء أعضاء هذه البعثة عن دفاتر دار المحفوظات العمومية الخاصة بمرتبات أعضاء البعثات المختلفة.

وهاك أسماءهم جميعا نقلا عن سمو الأمير، مضيفين إليها تحقيقات من الوثائق التى أتيح لنا الاطلاع عليها:

١ — محمد بهجت أو محمد عوف باشا: نجل الدكتور حسين عوف أستاذ الرمد الشهير، ومن مبعوثى محمد على الى فرنسا، وقد أشارت تقارير امتحان مدرسة الطب غير مرة إلى كفاية الطالب محمد بهجت [4].

---

(١) — Colucci : Compte rendu des travaux pendant les années 1860 — 1875, P. 30-31.

(٢) جورجى زيدان: مشاهير الشرق ج ٢ ص ٢١٨

(٣) البعثات العلمية .. ص ٥٤٥ — ٥٧٢ .

(٤) محفظة ٢٥ (معية تركى) رقم ٢٥٢ من على ذى الفقار باشا إلى المعية فى ١٣ رمضان ١٢٧٦

وقد تخرج فى مدرسة الطب فى سنة ١٨٥٥ واختاره مجلس الصحة لبعثة الطب المسافرة إلى مونيخ فى مارس سنة ١٨٦٢ ، ولكن سعيد باشا فضل أن يرسله إلى باريس للتخصص فى أمراض العيون .

ونال بهجت دكتوراه الطب فى يولية ١٨٧٠ . وبعد عودته إلى مصر عين مساعداً لوالده بمدرسة الطب ثم خلفه أستاذاً لطب العيون وحاز فى فنه شهرة عظيمة .

٢ — محمد أمين (بك) وكان كذلك يدرس طب العيون وقد أتم مع زميله بهجت دراسته فى أربع سنوات ، فلما عزم مجلس تعليم البعثة على إعادتهما إلى مصر فى ديسمبر ١٨٦٦ عرضا على المجلس رغبتهما فى البقاء لإكمال الدراسة لدرجة الدكتوراه ، ولكن المجلس رفض طلبهما لسبب تقدمهما فى السن وطول المدة الباقية لدرجة الدكتوراه (أربع سنوات أخرى) والرغبة فى أن تفيد البلاد من خدماتهما عاجلا ، ولكن الطالبين التجآ إلى نوبار باشا فأجيب ملتمسهما ، وقد عاد الى مصر فى سنة ١٨٧٠ وعينا مدرسين بمدرسة الطب .

٣ — محمد عبد السميع (بك) : وكان معيداً بمدرسة الطب ولم يمكث بباريس إلا نحو عام ، وبعد عودته اشتغل بالتدريس فى مدرسة الطب .

٤ — محمد عامر (بك) : لم يمكث بباريس إلا نحو عام ، وبعد عودته إلى مصر اشتغل طبيبا بالجيش .

٥ — حسن منظر أفندى : وكان من الذين عادوا بأمر اسماعيل باشا فى يولية ٨٦٣ .

٦ — محمد فوزى (بك) : وكان أيضا من الذين عادوا بأمر اسماعيل باشا فى أوائل حكمه ، وعين بمدرسة الطب مدرساً للعمليات الجراحية الولادية ، ثم كان من أطباء

الحملة المصرية فى حرب الروسيا فى سنة ١٨٧٧ .

٧ — زهران محمد (بك) : وكان أيضاً من الذين عادوا إلى مصر بأمر اسماعيل فى أوائل حكمه ، ومن الوظائف التى تقلدها أنه كان طبيبا بمستشفى المدارس بالعباسية فى أوائل حكم اسماعيل .

٨ — على رياض (بك) : عاد فى سنة ١٨٦٧ بعد أن أتم دروسه بتفوق فى علوم الصيدلة والطبيعة والكيمياء وقد تقلد وظائف كثيرة ، وكان مدرساً للأقرباذين والكيمياء بمدرسة الطب .

٩ — صالح على (بك) : عاد بعد عام من سفره الى مصر فعين صيدليا بالمستشفى ثم مدرسا للطبيعة والكيمياء بمدرسة الطب .

١٠ — محمد القطاوى (بك) : عاد بعد عام إلى مصر وقد عين مدرساً للباتولوجيا بمدرسة الطب وتولى نظارة المدرسة مدة قليلة فى سنة ١٨٨٣ .

١١ — محمد درى (باشا) : كان من نوابغ خريجى مدرسة الطب واشتغل معيداً بها حتى سافر فى بعثة سنة ١٨٦٢ إلى باريس ، وظل بها حتى عاد إلى مصر حائزاً للدكتوراه (قسم الجراحة) فى سنة ١٨٧٠ . وكان مجلس تعليم البعثة يشيد بجده وذكائه ونشاطه ويعلق عليه آمالا كبيرة فى خدمة بلاده وقد حقق الدكتور درى رجاء المجلس فيه . وعين مدرساً بمدرسة الطب ووصل بها إلى وظيفة أستاذ قسم الجراحة ، وله مؤلفات كثيرة وقد أنشأ مطبعة خاصة .

١٢ — محمود إبراهيم (بك) : كان معيدا بمدرسة الطب ولم يمكث بباريس سوى عام واحد ، وبعد عودته تقلد وظائف كثيرة ومنها أنه كان طبيبا بمستشفى المدارس

بدرب الجماميز فى عهد اسماعيل .

١٣ — قاسم فتحي : عرف بالبعثة باسم (قاسم فتح الباب) ولم يمكث طويلا بباريس وقد اشتغل بعد عودته طبيبا فى الجيش وترقى به .

١٤ — عقباوى جاد الكريم : لم يمكث بباريس سوى عام واحد وتقلد فى مصر وظائف كثيرة فكان طبيبا فى الجيش وبمصلحة السكة الحديدية وصحة الأقاليم .

وبإضافة أعضاء هذه البعثة الطبية إلى أعضاء البعثات الأخرى المتفرقة يتضح لنا أن عدد الطلاب الذين بعث بهم سعيد للدراسة فى فرنسا كان ٥٧ طالبا أوردنا أسماءهم جميعاً [١] . وهكذا عادت البعثة المصرية بباريس إلى الازدهار على يدى سعيد . وكان يشرف على طلبة البعثة فى الناحية الإدارية — أو المالية — « سليم أفندى » بعد نقل أستفان بك إلى مصر [٢] .

وقد ظل سليم (بك) فى هذا المنصب حتى سبتمبر ١٨٦٢ فخلفه فرنسى يدعى مسيو « تيير [٣] » . وكان يعاونه مسيو « لومرسيه » الذى عمل فى إدارة البعثة المصرية بباريس منذ حكم محمد على ، فكان أولا كاتب حساباتها ثم وكيلا للرسالة المصرية

---

(١) عدا ١٢ طالبا من المدرسة المفروزة أمر سعيد بسفرهم الى أوربا عقب توليته ، وقد ذكرنا اننا لانستطيع الجزم بشأنهم ، وعدا ثلاثة طلاب آخرين سبق ذكرهم ولا نستطيع الجزم أيضا بشأنهم .

(٢) وقد أقام سليم بك مدة طويلة بفرنسا ولهذا كان يعرف باسم سليم بك الفرنساوى وكان الى جانب قيامه بهذا المنصب يشرف على مشتريات الحكومة المصرية من فرنسا .

(٣) أمين باشا سامى : تقويم النيل وعصر عباس وسعيد م ١ ج ٣ ص ٤٢٤ ارادة لناظر المالية فى غاية ربيع الأول ١٢٧٩

فناظراً لها ، وقد زيد مرتبه مرات ، مكافأة له على استقامته وحسن سلوكه المشهود طول مدة خدمته »[١] . وكان يعاونه « مسيو ماتنيه » كملاحظ شئون الرسالة المصرية ثم خلف مسيو لومرسيه في إدارة البعثة .

هذا من الناحية الإدارية ، أما الاشراف الفني فكان موكولا إلى « مجلس تعليم البعثة المصرية » ويتكون من العالم الفرنسي جومار بك (Jomard) رئيساً وتدعوه الأوراق العربية « مأمور الرسالة المصرية » ، وقد ظل مشرفا على شئون الطلاب المصريين في فرنسا من عهد محمد على[٢] حتى وفاته في سنة ١٨٦٢[٣] ومن العالم الفرنسي بارتلمي سانت هيلير (Barthélmy St. Hilaire.) نائباً للرئيس والفلكي إيفون فلارسو (Yvon Villarceau) وباربه (Barbet) الذي كان من موظفي المدرسة الحربية المصرية سابقاً ولومرسيه مدير إدارة البعثة بباريس أعضاء[٤] .

وصادف جومار في بعض الأحيان شيئاً من عدم الطاعة من جانب الطلبة المصريين وقلة امتثالهم للقوانين واللوائح ، فوضع لائحة ، لتكون دستوراً للعمل

---

(١) المصدر السابق ص ٣٨٣ إرادة لناظر المالية في ٢٥ صفر ١٢٧٨ (أمر بزيادة مرتبه الى ١٥ ألف فرنك في السنة)

(٢) انظر كتابنا : تاريخ التعليم في عصر محمد على ص ٤٣٥

(٣) Guémard : Les Réformes en Egypte p. 306.

(٤) Dor Bey : L'Instruction Publique en Egypte, p. 259-260 & Sachot : Rapport. . . . p. 27 & Guémard, op. cit., p.302-303 .

يذكر Sachot بدل أسم Barbet اسم Cubart ولكن المراجع الأخرى تتفق على ذكر Barbet و Yvon Villarceau كان من جماعة الى (Saint-Simoniens) الذين وفدوا على مصر في حكم محمد على وألقى دروسا في الفلك (Guémard, op. cit. p. 292.)

فى شأن التلاميذ المذكورين منعاً لوقوع مثل هذه الحالات بعد ذلك نهائياً وتسهيلا لقضاء مهمته وتنفيذ كلمته »[1] وأرسل اللائحة إلى « كونيج بك » Koenig « مأمور التحريرات الأفرنكية » ليرفعها إلى الوالى ، فنالت موافقته .

جاء فى صدر اللائحة[2] « أن تلامذة الرسالة موضوعون تحت إدارة ونظارة مجلس عام معين من طرف دولتلو نخامتلو والى مصر . . . والمجلس المذكور قائم مقام سعادة الخديو الموكل والمنفذ من طرفه الأشرف فى خصوص المواد التى بدائرة تصرفه فيلزم أن التلامذة المذكورة يمتثلون إلى قرار المجلس المذكور ويطيعونها . . . » .

وعلى التلامذة أن يطيعوا نظار المدارس التى ألحقوا بها ويراعوا ما فرض على زملائهم الفرنسيين بها من قواعد وأوقات . وهم ممنوعون منعاً باتاً من المبيت خارج الحجرات المخصصة لهم فى مدارسهم أو الخروج منها فى غير أيام الآحاد والعطلات المقررة ومن إدخال مواد أو مشروبات أو مأكولات أو أسلحة فى المدرسة .

ويعطى لكل تلميذ فى يوم الخميس من كل أسبوع عشرة فرنكات ، يخصم منها فرنكان ليجتمع له منها مبلغ من المال يأخذ منه فى العطلة السنوية ، وتوقع على المذنبين من الطلاب العقوبات الآتية :

---

(١) محفظة ١٦ (معية تركى) رقم ٩٧ من كونيك بك إلى المعية فى ٢٣ ربيع الأول ١٢٧٤ (نوفمبر سنة ١٨٥٧)

(٢) دفتر ترتيبات ووظائف ص ٤٣٦ : ترتيب نامة فرنساوى فى حق تلاميذ الرسالة المصرية بفرنسا وصادر عليه أمر عالى بالاجرى رقم ١٦ ربيع الثانى سنة ١٢٧٤ رقم ٣١ لجناب جومار بك مأمور الرسالة المصرية تركى العبارة . وقد نشرنا اللائحة كاملة فى ملحق (٢) بالجزء الثالث من هذا الكتاب .

١ — الحرمان من الخروج يوم الأحد .

٢ — الحرمان من بعض أو كل المرتب الأسبوعى .

٣ — الحرمان من الخروج من المدرسة .

٤ — الحبس الضيق .

٥ — الطرد إلى مصر .

والمواد الأخرى خاصة بما يلبسه الطلبة فى الصيف والشتاء والأشياء التى تصرف لهم . . . الخ

بعثة الطب إلى مونيخ

فى ٢١ مارس ١٨٦٢ (٢٠ رمضان ١٢٧٨) أصدر سعيد باشا أمراً إلى رئيس مجلس الصحة — وهو إذ ذاك الدكتور كاوتشى بك (باشا فيما بعد) — بالموافقة على إرسال بعثة من اثنى عشر طالبا لتلقى العلوم الطبية فى جامعة مونيخ واختيار الدكتور لاوتنر بك رئيساً لهذه البعثة [1] .

واختار أساتذة مدرسة الطب الطلبة الآتية أسماؤهم من بين طلبة المدرسة « ذوى السلوك الحسن والميل الملحوظ إلى دراسة العلوم الطبية والجمع بين الكفاية والذكاء »[2] وهم : مصطفى فايد ، إبراهيم صبرى ، أحمد نديم ، حسن محمود ، لطيف أغيا ، محمود رشدى البقلى ، على فهمى ، إبراهيم حسن ، محمد سالم ، محمد بهجت ، على محمد البقلى .

ولما عرضت أسماؤهم على سعيد باشا أمر بسفر الطالبين الأخيرين إلى فرنسا

---

(١) دفتر ١٨٩٩ ج ٢ (أوامر) ص ١٠٣ رقم ١٨٩ أمر الى رئيس مجلس الصحة فى ٣٠ رمضان ١٢٧٨

(٢) فى دار المحفوظات العمومية بالقلعة (القسم الافرنجى) دفتران : الأول يحتوى على المكاتبات الصادرة من مجلس الصحة الى البعثة والثانى المكاتبات الواردة اليه من البعثة وكلها باللغة الفرنسية ، وسنشير الى الدفتر الأول (برقم ١) مجلس الصحة — بعثة مونيخ والى الدفتر الثانى برقم ٢ (بعثة مونيخ — مجلس الصحة) — دفتر ١ (مجلس الصحة — بعثة مونيخ) رقم ٢٥٠ من كاوتشى بك الى ذى الفقار باشا ناظر الخارجية بالاسكندرية فى ٢٦ مارس ١٢٦٢

وبأن يستبدل بهما الطالبان : محمد السيد ومحمد حافظ .

وعرض الأمر على مجلس الصحة للنظر فى الشئون الإدارية والمالية والعلمية وكافة شئون البعثة . وقيل إن الغرض الذى كان يرمى إليه سعيد باشا من إرسال هذه البعثة هو تحرير مصر من التجائها باستمرار إلى الاعتماد على الأطباء الأجانب وإعطاء ضمانات للدول الأوروبية عن الحالة الصحية فى مصر طبقا لرغبة المؤتمر الصحى الدولى الذى عقد أخيراً فى باريس ، وتكوين أطباء من أهل البلاد ينهضون بمهنة الطب ويعاونون على تقدم العلوم والسير بمصر إلى مصاف الدول الغربية [1] .

أما عن اختيار مونيخ لطلبة البعثة الطبية — فى الوقت الذى شرعت فيه حكومة سعيد تنتخب أعضاء بعثة طبية أخرى إلى باريس — فقد قيل إن من أسبابه الرغبة فى الاقتصاد ، ولكن هذه الرغبة لم تتحقق : فان مجلس الصحة كان يشكو من أن تلامذة مونيخ على الرغم من قلة مرتباتهم يكلفون الحكومة أكثر مما يكلفها تلامذة باريس ، وكان المجلس باستمرار يدعو ناظر بعثة مونيخ إلى الاقتصاد [2] .

وتبع ناظر البعثة مباشرة مجلس عموم الصحة بالاسكندرية « Conseil de l' Intendance Générale Sanitaire d' Alexandrie »

فعليه أن يرسل لهذا المجلس حسابات البعثة وتقارير شهرية عن حالة كل تلميذ الدراسية وسلوكه ، وعن طريق مجلس الصحة يتسلم ناظر البعثة الأموال والتعليمات

---

(٢) المصدر السابق .

(١) دفتر ١ (مجلس الصحة — بعثة مونيخ) رقم ١٠ من كلوتبك الى لاوتنر فى ١٠ يناير ١٨٦٣

اللازمة ، وكذلك لمجلس الصحة السلطة التامة فى كل ما يتعلق بالدراسة وسلوك التلاميذ [١] .

وعهد إلى لاوتنر بك — علاوة على واجبات منصبه كناظر للبعثة — أن يتصل بمدير جامعة مونيخ ليضع بالاتفاق معه برنامجا دراسيا لمدرسة الطب بقصر العينى ، بحيث أن التلاميذ الذين يدرسون بالمدرسة طبقا لهذا البرنامج يستطيعون بدون تكرار للدروس أن يتابعوا دراستهم بالجامعة التى اشتركت فى وضع برنامج دراستهم ، وبذلك يمكن أن تعد مدرسة الطب بالقاهرة فى الأوساط العلمية بأوروبا كمدرسة تجهيزية للطب ، فيسمح لخريجيها بالالتحاق بكليات الطب فى أوربا [٢] .

وكتب مجلس الصحة بهذا كله إلى الدكتور لاوتنر بك [٣] .

وقد عرفنا لاوتنر بك « Lautner » [٤] من كبار الأطباء الألمان الذين أتوا إلى مصر فى حكم عباس ، وقد شغل وظائف عدة : فكان أستاذاً بمدرسة الطب فناظراً لها ووكيلا لشورى الأطباء وطبيباً خاصاً للوالى . وكان — فى أواخر حكم عباس — قد سافر مع الأمير إلهامى باشا إلى أوربا ولم يكن قد عاد إلى مصر حين تولى

---

(١) دفتر ١ (مجلس الصحة — بعثة مونيخ) رقم ٢٥١ من كلوتشى إلى ذى الفقار باشا فى ٢٦ مارس ١٨٦٢

(٢) المصدر السابق .

(٣) المصدر السابق رقم ٢٨٠ إلى الدكتور لاوتنر بك ناظر البعثة الطبية المصرية فى مونيخ (باسكندرية) فى ٨ ابريل ١٨٦٢

(٤) انظر فيما سبق ص٧٧، ٢٢٤ — ويكتب الأستاذ دن (ص٣٢٤ ، ص٣٥٢) اسمه هكذا Lawantier وواضح أنه تحريف لاسمه الحقيق .

سعيد باشا [1] . فسرعان ما أصدر الوالى أمراً إلى ديوان المدارس فى سبتمبر ١٨٥٤ بفصله من وظيفته [2] . ولكنه ما لبث أن أعاده إلى خدمة الحكومة المصرية ، ويبدو أن ذلك بسعى زميله الطبيب الألمانى رابر الذى ظل يعمل بمصر فى عهد سعيد . ثم عاد سعيد باشا فأصدر ... فجأة — أمراً باحالة الدكتور لاوتنر بك إلى التقاعد مع منحه ربع مرتبه (فى أغسطس ١٨٦١) . ولكن قنصل دولته تدخل لدى سعيد باشا ، فاستقر الرأى على إعادته لخدمة الحكومة المصرية ، وعين رئيساً لبعثة طلبة الطب المسافرين إلى مونيخ [3] .

وعلى الرغم من أن الدكتور كلوتشى بك رئيس مجلس الصحة فى عهد سعيد يصف لاوتنر بأنه « طبيب ممتاز وإدارى قدير ... وفى تعيينه ضمان مؤكد لنجاح البعثة ... » على الرغم من هذا فقد انتهت إدارته للبعثة إلى الفشل التام بل إلى ما هو أشد من الفشل .

ولم تكن هذه أول بعثة مصرية لدراسة الطب فى مونيخ : فقد أنفذ عباس فى أول حكمه تسعة من طلاب الطب والألسن والمكتب العالى إلى جامعة مونيخ لدراسة

---

(١) محفظة ٥ (معية تركى) رقم ٢٨١ من مدير المدارس الى كاتب الديوان الخديوى فى المحرم ١٢٧١

(٢) دفتر ٣٢٨ (مدارس عربى) ص ٣ رقم ٧ من شورى الأطباء فى ٢٦ المحرم ١٢٧١

(٣) محفظة ٢٨ (معية تركى) رقم ٥٨١ من محمد شريف ناظر الخارجية إلى المعية فى غاية ذى القعدة ١٢٧٨

الطب أيضاً . وقد رأيت ما كان من النزاع بين الطلبة وناظرهم البارون « دوبريل » ، هذا النزاع الذى أدى إلى إعادة عضو من البعثة إلى مصر ثم تلاه عضوان وقعت عليهما الحكومة المصرية عقوبات قاسية . وأحد هذين العضوين كان «خليل ابراهيم» وأصله من طلبة مدرسة الطب . وقد شكا البارون من سلوكه من الشكوى فأعادته الحكومة إلى مصر وقررت عقابه بارساله إلى جبل قيسون (بالسودان) لمدة ثلاث سنوات وعند نهايتها يلحق جنديا باحدى فرق الجيش [1] . ولسنا نعرف هل نفذ هذا العقاب القاسي أم لم ينفذ ، ولكنا نعرف أن «خليل افندى إبراهيم — وهو طبيب وطنى برتبة بوزباشى» — ألحق ببعثة مونيخ فى مايو ١٨٦٢ بناء على طلب ناظرها الدكتور لاوتنر بك [2] ليكون مساعداً له فى إدارة البعثة ، فكان ذلك بداية عهد الاضطراب والفوضى والارتباك فى صفوف طلبة مونيخ .

سافر بهم لاوتنر إلى مونيخ فى يونية — يولية ١٨٦٢ واستأجر لهم بها منزلا ، ودعا نفرا من الأساتذة لتلقينهم العلوم وخاصة اللغتين الفرنسية والألمانية ، وقدم كتب التوصية التى حملها من مصر إلى سفير الدولة العثمانية فى فينا [3] .

بدأ لاوتنر منذ الأيام الأولى من مقامه فى مونيخ يشكو إبراهيم خليل (ويكتب

(١) انظر فيما سبق ص ١٣٣ — ١٣٥

(٢) دفتر ١ (مجلس الصحة — بعثة مونيخ) رقم ٣٠ه من كلوتبى الى لاوتنر فى أول مايو ١٨٦٢ .

(٣) محفظة ٢٨ (معية تركى) رقم ٥٣٥ من محمد شريف ناظر الخارجية إلى المعية فى ٧ ذى القعدة ١٢٧٨ ودفتر ٢ (بعثة مونيخ — مجلس الصحة) رقم ٥من لاوتنر الى كلوتبى فى ١٧ ديسمبر ١٨٦٢ .

أحيانا فى وثائق ذلك العهد خليل ابراهيم) ، ويعترف بأنه ارتكب خطأ عند ما استمع إلى إلحاحه واصطحبه إلى مونيخ . فإن حالة إبراهيم العصبية لا تجعله يستطيع أن يميز الحسن من القبيح ، وأثار عليه بكبريائه الطلبة حتى شكوه إلى بوليس المدينة [١] فاقترح لاوتنر على مجلس الصحة بالاسكندرية أن يأذن بإعادته إلى مصر أو إرساله إلى باريس وباستخدام موظف أوروبى بدله [٢] .

أما مجلس الصحة ، فلا يعجب لما بدا من إبراهيم خليل لما يعرف له من سابقة ولما هو عليه من خلق مضطرب ، وعرض الأمر على إسماعيل باشا — وكان قائمقاما فى مصر أثناء غياب سعيد باشا عنها — فأذن بانتقال إبراهيم إلى باريس ليكمل دروسه وينال الدكتوراه وتعين أوربى مكانه فى مونيخ [٣] .

أما الطلبة فكانوا قد بدأوا يشكون قلة المرتبات التى خصصت لهم بالنسبة لبعثة باريس : وهى ٧٠ قرشا فى الشهر يعطى منها كل منهم ٣٠ قرشا ويعطى الباقى (لوكلائهم) فى مصر . وبدأ بعضهم — على أثر انتقال ابراهيم خليل إلى باريس — يطلب انتقاله إليها . ويوافق ناظرهم على صحة شكواهم ويسوءه أنهم لم يذهبوا قط إلى المسرح ومرّ

---

(١) دفتر ٢ (بعثة مونيخ — مجلس الصحة) رقم ٥ من لاوتنر إلى كلوتشى فى ١٧ ديسمبر ١٨٦٢

(٢) دفتر ٢ (بعثة مونيخ — مجلس الصحة) رقم ٣ من لاوتنر إلى كلوتشى فى ٢٥ أغسطس ١٨٦٢

(٣) دفتر ١ (مجلس الصحة — بعثة مونيخ) رقم ٥ من كلوتشى الى لاوتنر فى ١١ سبتمبر ورقم ٦ فى ٢٧ سبتمبر ١٨٦٢

(الكرنفال) من غير أن يشهدوا مرقصا . . »[1] .

ولكن مجلس الصحة بالاسكندرية يرد بأن طلبة باريس كانوا يعملون مساعدين المدرسين بمدرسة الطب قبل سفرهم ، أما طلبة مونيخ فليسوا إلا تلامذة[2] .

فى تلك الأثناء كان الاضطراب يفشو بين صفوف الطلبة ، حتى انتهى الأمر إلى اصطدام بين الطلبة وأساتذتهم وسوق الطلبة إلى سجن المدينة ومحاكمة لاوتنر وصنيعته أوبرماير Obermayer (الذى عينه فى محل إبراهيم خليل) ، وقد كشف التحقيق عن مآسى مفجعة : ثبت أن لاوتنر ترك السلطة التامة لأوبرماير ، فلم يكن يرى التلاميذ إلا مرة فى كل ستة أسابيع ، وراح أوبرماير يسىء معاملة الطلاب حتى كان يركلهم بقدمه[3] .

وأدى الأمر إلى اصطدام دموى بين الطلبة وأوبرماير — وقد أصيب فيه ثلاثة منهم (مصطفى فايد وأحمد نديم ومحمد سالم) بجراح بالغة — وسيق الطلبة جميعاً ما عدا محمد حافظ ولطيف أغا إلى بوليس المدينة . ويعلل لاوتنر ذلك بأن « البعثة كانت تحمل بذور انحلالها »[4] .

---

(١) دفتر ٢ (بعثة مونيخ — مجلس الصحة) رقم ٦ من لاوتنر الى كلوتشى فى ١٨ فبراير ١٨٦٣

(٢) دفتر ١ (مجلس الصحة — بعثة مونيخ) رقم ١٠ من كلوتشى الى لاوتنر فى ١٠ يناير ١٨٦٣ (يظهر أن هناك خطأ فى قيد التاريخ بالدفتر)

(٣) دفتر ٢ (بعثة مونيخ — مجلس الصحة) رقم ١٢ من المحامى Chause Kempfeuhausen الى كلوتشى فى ١٢ يونية ١٢٦٣

(٤) دفتر ٢ (بعثة مونيخ — مجلس الصحة) رقم ٩ من لاوتنر الى كلوتشى فى ٢ يونيه ١٨٦٣

ونصب أحد أفاضل المحامين فى مونيخ نفسه للدفاع عن الطلبة ، فأثار صحافة المدينة وعطف ملك بافاريا على الطلاب المصريين ، حتى إنه أصدر قراراً بوضعهم تحت رعايته[١]، ووضعت البعثة مؤقتا تحت إشراف هذا المحامى ، ولكن لاوتنر احتفظ بالمال . وفى تلك الأثناء جرت محاكمة أوبرماير فحكم عليه بالحبس ثلاثة أشهر ، ثم حوكم لاوتنر استبدل بالحبس البسيط لمدة ثمانية أيام غرامة مالية [٢] .

وقرر الخديو اسماعيل — وقد حدث هذا الحادث بعد أشهر من ولايته الحكم فى مصر — إلغاء بعثة مونيخ ونقل طلبتها إلى باريس[٣] . وهكذا أسدل الستار على تلك المأساة .

ويذكر سمو الأمير عمر طوسون [٤] أن أعضاء هذه البعثة كانوا أحد عشر طالبا — ذلك لأنه لم يذكر شيئاً عن العضو (الثانى عشر) وهو خليل ابراهيم — وقد بقوا يدرسون بمونيخ إلى أوائل أغسطس ١٨٦٣ ثم نقلوا إلى فرنسا فى ٢٢ أغسطس من هذه السنة : وبقوا يتعلمون بها إلى سنة ١٨٧٠ حين عادوا إلى مصر على أثر حوادث

---

(١) دفتر ١ (مجلس الصحة — بعثة مونيخ) رقم ٢٢ من كلوتشى الى الدكتور بورجيير بك الطبيب الخاص للوالى وناظر مدرسة الطب فى ١١ يوليه ١٨٦٣

(٢) دفتر ٢ (بعثة مونيخ — مجلس الصحة) رقم ١٦ فى أول أغسطس ورقم ١٨ فى ٢٢ منه ورقم ٢١ فى ٢٤ نوفمبر ١٨٦٣ من المحامى الى كلوتشى

(٣) دفتر ١ (مجلس الصحة — بعثة مونيخ) رقم ٢٧ من كلوتشى الى المحامى فى ١١ سبتمبر ١٨٦٣

(٤) البعثات العلمية ... ص ٥٢٦ — ٥٤٤

حرب السبعين . وكان قد عاد بعضهم في سنة ١٨٦٨ أو ١٨٦٩ ، ثم أرسل فريق منهم إلى باريس ثانية في سنة ١٨٧١ ليتموا رسالة الدكتوراه . وهاك أسماءهم :

١ — مصطفى فايد (بك) : نال في امتحانات سنة ١٨٦٤ درجة (مرضي)وفي سنة ١٨٦٧ كان يستعد لأول امتحان من امتحانات الدكتوراه . قيل إن الخديو اسماعيل لما زار باريس واستعرض الطلاب المصريين أعجبه منه اعتدال قوامه وقوة بنيته فأمر بتحويله إلى دراسة الفنون الحربية ، وقد أتمها في سنة ١٨٧٠ ولما عاد ألحق بالجيش وترقى به .

٢ — إبراهيم صبري (بك) نال في امتحانات سنة ١٨١٤ درجة (مرضي جداً) وفي سنة ١٨٦٧ أتم دروس السنة الثالثة للدكتوراه . عاد إلى مصر في سنة ١٨٧٠ ثم رجع إلى باريس في سنة ١٨٧١ ليتم رسالة الدكتوراه ، وبعد عودته عين مدرسا بمدرسة الطب[1] .

٣ — أحمد نديم : اختبره مجلس تعليم البعثة بباريس في سنة ١٨٦٤ في الكيمياء والطبيعة والتاريخ الطبيعي فنال درجة (فائق) وفي سنة ١٨٦٧ كان على وشك الدخول في امتحان الدكتوراه وقد عاد إلى مصر على أثر حوادث سنة ١٨٧٠ ثم سافر ثانية إلى فرنسا في سنة ١٨٧١ . وعين بعد عودته مدرساً بمدرسة الطب .

٤ — حسن محمود (باشا) : نال في امتحانات سنة ١٨٦٤ درجة (مرضي جداً) وفي سنة ١٨٦٧ أتم دروس السنة الثالثة للدكتوراه ، وعين بعد عودته مدرساً بمدرسة الطب وترقى بها حتى أصبح أستاذ التشريح بها وناظراً عليها من سنة ١٨٨٩ إلى سنة ١٨٩١ وترك مؤلفات طبية كثيرة .

٥ — لطيف أغا (بك) : نال في امتحانات سنة ١٨٦٤ درجة (مرضي جداً)

---

(١) على مبارك : الخطط التوفيقية م ٣ ج ١١ ص ٩٠

وفى سنة ١٨٦٧ كان يستعد لأول امتحان من امتحانات الدكتوراه . وهو أرمنى الجنس عاد إلى مصر فى سنة ١٨٧٠ فعين مساعداً لمدرس التشريح بمدرسة الطب ثم أستاذاً للتشريح ثم انتقل إلى خدمة الصحة بالمديريات .

٦ — محمود رشدى البقلى : نال فى امتحانات سنة ١٨٦٤ درجة (مرضى) وفى سنة ١٨٦٧ كان يستعد لأول امتحان من امتحانات الدكتوراه . عاد إلى مصر فى سنة ١٨٧٠ فعين مساعداً لمدرس التشريح بالمدرسة ثم أستاذاً بها ثم نقل إلى الأقاليم ، وله قاموس طبى بالعربية والفرنسية[1] .

٧ — على فهمى : نال فى امتحانات سنة ١٨٦٤ درجة (مرضى) ولكن المنية عاجلته إذ توفى بباريس فى سنة ١٨٦٧ .

٨ — محمد حافظ (بك) : نال فى امتحانات سنة ١٨٦٤ درجة (مرضى) وفى سنة ١٨٦٧ أتم دروس السنة الثالثة للدكتوراه . عين بعد عودته طبيباً للرمد بالمستشفيات ثم مدرساً بالطب للولادة والرمد ، ثم كان وكيل نظارة المستشفيات فى سنة ١٨٧٤ وله مؤلف فى الرمد .

٩ — إبراهيم حسن (باشا) : نال فى امتحانات سنة ١٨٦٤ درجة (مرضى جداً) وفى سنة ١٨٦٧ أتم دروس السنة الثالثة بقسم الدكتوراه . عاد إلى مصر فى نهاية سنة ١٨٦٩ ثم أرسل ثانية إلى ألمانيا لدراسة الطب الشرعى فأحرز شهادته ورجع إلى مصر فعين فى سنة ١٨ ١ مدرساً للطب الشرعى بمدرسة الطب . وكان الطبيب الخاص

---

(١) المصدر السابق .

للأسرة الخديوية وسافر بمعية الخديو اسماعيل بعد عزله، ثم عين فى سنة ١٨٨٨ مفتشاً لعموم الصحة وتقلد نظارة مدرسة الطب من سنة ١٨٩١ إلى سنة ١٨٩٨ .

١٠ — محمد سالم (بك) : نال فى امتحانات سنة ١٨٦٤ درجة (مرضى جداً) وفى سنة ١٨٦٧ كان يستعد لأول امتحان من امتحانات الدكتوراه . عين بعد عودته بالجيش وقضى فيه معظم خدمته .

١١ — محمد السيد : نال فى امتحانات سنة ١٨٦٤ درجة (مرضى جداً) وفى سنة ١٨٦٧ كان يستعد لأول امتحان من امتحانات الدكتوراه . وقد توفى فى سنة ١٨٧٤

فتكون البعثات التى أرسلها سعيد باشا للدراسة فى أوروبا .

٥٧ طالبا إلى فرنسا[١]

١٢ « « مونيخ

فيكون المجموع ٦٩ طالبا لا ٤٨ كما ذكر المغفور له الأمير عمر طوسون[٢] .

---

(١) عدا طلبة بعثة المفروزة (١٢ طالبا) وثلاثة طلاب سبق أن ذكرناهم وأشرنا الى أننا لانستطيع أن نجزم بسفرهم الى فرنسا فى عهد سعيد .

(٢) يذهب أمين باشا سامى (التعليم فى مصر ص ١٦) الى أن سعيدا فى فترة ولايته أرسل الى أوربا ١٤ طالبا أنفق عليهم بها ٦٩٠٨٣ جنيها .

فهـــرس الأعـــلام

(أ)

(ب)

(ز)

(س)

مطبعة النصر ٢٢٢ شارع فاروق بمصر تليفون ٥٥١٦٩

١٩٤٥

